التفسير والمفسرون

بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره، وألوانه ومذاهب
مع عرض شامل لأشهر المفسرين، وتحليل كامل لأهم كتب التفسير
من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر

الدكتور محمد حسين الذهبي

أستاذ علوم القرآن والحديث
بكلية الشريعة - جامعة الأزهر

الجزء الثالث



مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

التفسير والمفسرون

بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره . وألوانه ومذاهبه .
مع عرض شامل لأشهر المفسرين . وتحليل كامل لأهم كتب التفسير
من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر

الدكتور محمد حسين الذهبي
استاذ علوم القرآن والحديث
كلية الشريعة - جامعة الأزهر

الجزء الثالث

الناشر
مكتبة وهبه
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

مطابع دار التراث العربى

ت : ٩٣٦١٤٥ - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا.

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله ، الذى أرسله ربه شاهدا ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد ..

فعقب استشهاد المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبى فى يوليو من عام ١٩٧٧ ، عثرت أسرته بين أوراقه على كراستين كتبهما فضيلته بخطه ، عبارة عن نقول أعدها فى الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٦٣ أثناء عمله أستاذاً بكلية الشريعة ببغداد .

ويبدو أنه - رحمه الله - كان يمهد بهذه النقول للتعليق عليها لتكون إضافة جديدة إلى بحثه الشامل عن "التفسير والمفسرون" عند الشيعة الإثنى عشرية والإسماعيلية - ولكن قضاء الله سبق فلم يتيسر له ذلك ، وبقيت النقول على حالتها كما كتبها دون إضافة أو تعليق .

ولما كانت هذه النقول مما ينطبق عليه وصف فضيلته من أنها "تحتوى على اتجاهات منحرفة فى التأويل ، فالكثير منها مملوء بخرافات وأباطيل لا يقرها عقل ولا شرع ، وكم فيها من لفظ قرآنى حُرِّف عن مدلوله الحقيقى ، إلى مدلولات لا وجود لها إلا فى عقول أصحابها" (١) .

لهذا رأينا نشر هذه النقول كما كتبها فضيلته ، لما لها من قيمة كبيرة فى موضوع التفسير والمفسرين ، وذلك بعد نقل صورة قلمية للشيعة - كما خطتها يراعة ابن حزم الظاهرى المتوفى عام ٤٥٦ هـ ، والشهرستانى

---

(١) انظر : الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم - للدكتور محمد حسين الذهبى - نشر مكتبة وهبة ١٩٨٦، ص ٦١.

المتوفى عام ٥٤٨ هـ - لتكون كمقدمة تأريخية تضع أمام القارئ صورة واضحة المعالم للشيعة منذ قيامها حتى عصرنا الحالى ، مروراً بالفرق التى نشأت عنها - مع التعليق على مواضع منها حين يجب التعليق .

يلى ذلك نبذة عن الشيعة وموقفها من تفسير القرآن الكريم - خاصة الإمامية الإثناعشرية والإسماعيلية - مما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبى فى الجزء الثانى من "التفسير والمفسرون" ، كتمهيد بين يدى البحث .

وحين نشأت الحاجة إلى التعليق على بعض هذه النقول ، رأينا أن يكون التعليق من نفس كلام فضيلته ليكون البحث كله مستلهما من فكره ، ما دمنا لا نملك الإضافة إليه من عند أنفسنا ، ولهذا استعنا بنفس الجزء من "التفسير والمفسرون" .

وقد خرّجنا الآيات القرآنية التى وردت فى هذه النقول بعد ضبطها وتصحيح الأخطاء التى وردت فى الكثير منها .

* * *

أما بالنسبة للنقول - موضوع البحث - فقد كتبها فضيلته بالقلم الرصاص فى كراستين .

الأولى منهما تتكون من ٢٩ صفحة - وبالصفحة ٢٠ سطرا ، ومرقمة من ١-٢٩ - وبأعلى الصفحة الأولى عبارة "سنة ١٩٦٠" . . . ثم :

"كتاب : أساس التأويل ، طبع منشورات دار الثقافة ببيروت ، تأليف الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون التميمى المغربى قاضى قضاة الدولة الفاطمية المتوفى سنة ٣٦٣هـ" .

- وتنتهى الكتابة فى صفحة ٣ فى وسط الصفحة بعبارة :

"وقال (ومهما يكن من أمر . . . . .)"

ثم عبارة : "يرجع إلى كتاب أساس التأويل ، وكتاب الرياض ليكمل البحث" . وبقية الصفحة خالية من الكتابة .

- وفى أول صفحة ٤ كتب فضيلته :

"أربعة كتب إسماعيلية منقولة عن النسخة الخطية هـ ٧٥ ، المحفوظة فى مكتبة أمبروسيانة - ميلانو ، عنى بتصحيحها د .شتروطمان للمجمع العلمى - غوتينغن .

"الرسالة الأولى : مسائل مجموعة من الحقائق العالمية والدقائق والأسرار السامية ، لمؤلف مجهول .

"الرسالة الثانية : رسالة الإيضاح والتبيين فى كيفية تسلسل ولادتى الجسم والدين ، لعلى بن محمد بن الوليد .

"الرسالة الثالثة : رسالة تحفة المرتاد وغُصة الأضداد ، لعلى بن محمد ابن الوليد .

"الرسالة الرابعة : رسالة الاسم الأعظم ، لمؤلف مجهول ، طبعت بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٨١هـ"

- وفى نهاية صفحة ١٥ كتب فضيلته :

"نقول من رسالة تحفة المرتاد وغُصة الأضداد . . قال - لاشئ" .

- وفى صفحة ١٦ :

"نقول من كتاب : مزاج التسنيم ، تأليف ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله بن إبراهيم الإسماعيلى السليمانى ، عنى بتصحيحه د . شتروطمان للمجمع العلمى غوتينغن ، عن النسخة الخطية هـ ٧٦ المحفوظة فى مكتبة أمبروسيانة - ميلانو" .

وقد عنى فضيلة الدكتور الشيخ الذهبى- رحمه الله - فى هذه الصفحة بفك رموز الكتابة السرية الموجودة بالكتاب- كما نقلها فى ص ٢٩ فى نهاية النصوص . . وفى آخر صفحة ٢٩ عبارة "بغداد ١٩٦٢/٥/٦" ثم الإمضاء .

* * *

● أما الكراسة الثانية فهى مكونة من ٦٢ صفحة - وبالصفحة ٢٠ سطرا - ومرقمة من ١ - ٦٠ ، ويوجد تكرار فى الترقيم عند ص ٣١ ، ص ٥٠ - وقد كتبها فضيلته أيضا بالقلم الرصاص .

- وجاء فى الصفحة الأولى منها :

"نقول عن كتاب الكافى لأبى جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى المتوفى سنة ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ ، طبع إيران سنة ١٣٨١هـ ، الناشر مكتبة الصدوق .

- وبصفحة ٢٤ عبارة "انتهى النقل من الكافى - إمضاء - كلية الشريعة - بغداد ١٩٦٣/١/٢٤ " .

- ص ٢٥ : "ترجمة مؤلف مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ملخصة من المقدمة التى كتبها محمود بن جعفر الموسوى الزرندى لمرآة الأنوار التى ذيلها بتوقيعه وبأنه كتبها فى طهران بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٧٥هـ ، ومرآة الأنوار طبع كالمقدمة لتفسير البرهان للبحرانى فى طهران فى سنة ١٣٧٤هـ" .

- ص.٣ : "إمضاء - كلية الشريعة - بغداد سنة ١٩٦٣" .

- ص ٣١ : "البرهان فى تفسير القرآن للسيد هاشم بن السيد سليمان ابن سيد إسماعيل بن سيد عبد الجواد الحسينى البحرانى التوبلى المتوفى سنة ١٠٩٧ ، أو ١١٠٩ هـ ، والكتاب طبع للمرة الأولى على الحجر فى طهران سنة ١٢٩٥ هـ فى مجلدين يبلغ عدد صفحاتهما ١١٤٨ صفحة ، وطبع للمرة الثانية فى أربع مجلدات يبلغ عدد صفحاتها ١٩٩٦ صفحة ، وذلك فى سنة ١٣٧٥ هـ " .

وتنتهى النقول بالصحيفة المرقمة ٦٠ من الكراسة الثانية ، وبهذا علمنا أن فضيلته قد كتبها فى الفترة من عام ١٩٦٠ - ١٩٦٣ ، أثناء عمله أستاذا بكلية الشريعة ببغداد ، كما قدمنا .

* * *

والمطالع لهذه النقول يلمس لأول وهلة اتجاه أصحابها إلى إخضاع النص القرآنى لمذهبهم ، وقسره على موافقة آرائهم وأهوائهم ، وتأويل ما يصادمهم من ذلك تأويلا لا ينافى مذهبهم ولا يعارض عقيدتهم .

ولقد استفحل الأمر إلى حد جعلهم يتسعون فى حماية مذهبهم وأهوائهم والترويج لها فى غير محيطهم ، بما أخرجوه للناس من تفاسير حمّلوا فيها كلام الله – سبحانه – على وفق أهوائهم ، ومقتضى نزعتهم ونحلتهم .

"وكان طبيعيا وهم ينتسبون إلى الإسلام ويعترفون بالقرآن ولو فى الجملة – نقول : ولو فى الجملة ، لأن أكثر الإمامية الإثنى عشرية يقولون بأن القرآن الكريم وقع فيه التحريف بالزيادة والنقصان وهو قول باطل من أساسه – كان طبيعياً والأمر كذلك – أن يبحثوا عن مستند يستندون إليه من القرآن الكريم ، ويحرصون كل الحرص على أن يكون القرآن شاهداً لهم لا عليهم ، فما وجدوه من الآيات القرآنية يمكن أن يكون – في نظرهم – دليلا على مذهبهم تمسكوا به ، وما وجدوه مخالفاً لمذهبهم ، حاولوا بكل ما يستطيعون أن يجعلوه موافقاً له ، أو على الأقل غير معارض ، ولو أدى ذلك إلى الخروج بالنص القرآنى عن معناه الذى سيق من أجله "[1] .

وهم فى أخذهم بالتقيّة – التى هى المداراة والمصانعة ، وهى عندهم مبدأ أساسى وجزء من الدين ، فى حين أنها لا تعدو أن تكون مبدأ سياسياً ، وباباً من أبواب النفاق والخداع تجل عنه رحمة الله سبحانه وتعالى – لا يتورعون عن الانحراف بالتأويل عن النهج القويم لفهم كتاب الله تعالى ، بما ينبو عن سياق السورة ، خدمة لمذهبهم وتركيزا لعقيدتهم ، ولو خالفوا فى ذلك ما عليه جمهور المفسرين ، أو تعارضوا مع أصول اللغة .

رحم الله الدكتور محمد حسين الذهبى ، وجزاه عن الإسلام خيراً .

ونسأله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يسدد خطانا ويحقق رجاءنا ، إنه سميع مجيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

١٩٨٨/٣/٢٦ محمد الأنور البلتاجى

* * *

---

(١) عن الاتجاهات المنحرفة ، مرجع سابق ، ص ٥٣ بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة : فى تاريخ الشيعة(*)

الشيعة : هم الذين شايعوا علياً - كرّم الله وجهه - على الخصوص وقالوا بخلافته نصاً ووصاية ، إما جلياً وإما خفياً(١) ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقيّة من عنده .

(*) قدمنا للبحث بهذه المقدمة التاريخية ، لنضع أمام القارئ صورة واضحة المعالم للشيعة منذ قيامها إلى عصرنا الحالى - مروراً بالفرق التى نشأت عنها - وكان فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى - رحمه الله - قد اكتفى فى بحثه بالتعريف بثلاث فرق منها فقط وهى : الإمامية الإثنى عشرية ، والإمامية الإسماعيلية ، والزيدية . . .وهى الفرق التى لا تزال موجودة إلى اليوم محتفظة بتعاليمها وآرائها .

(١) يستند الشيعة فى دعواهم بخلافة على كرم الله وجهه بالنص والوصاية على الحديث الذى أخرجه الطبرانى عن زيد بن أرقم قال : "خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بغدير خم (نبع فى واد قريب من الجحفة على الطريق بين مكة والمدينة ، مسكن بنى خزاعة وكنانة) ويقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم نزل به منصرفه من حجة الوداع ، تحت شجرات فقال : "أيها الناس ، يوشك أن أدعى فأجب ، وإنى مسئول وإنكم مسئولون ، فماذا أنتم قائلون" ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت ، فجزاك الله خيراً ، فقال : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث بعد الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور" ؟؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : "اللهم اشهد" ، ثم قال : "يا أيها الناس ، إن الله مولاى وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعنى علياً - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ، ثم قال : "يا أيها الناس ، إنى فرطكم ، وإنكم واردون على الحوض ، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإنى سائلكم حين تردون على الثقلين ، كيف تخلفونى فيهما ، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل ، سبب طرفه بيد الله تعالى ، وطرفكم بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتى وأهل بيتى ، فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض" اهـ .

ويدفع أهل السنة هذا الحديث بعدم تواتره عند أهل السنة ، ثم يقولون :"إن =

= حمل الصحابة على الصحة يستوجب تأويل حديث الغدير متواتراً كان أو غير متواتر ، ولذا قال أهل السنة : لفظ "المولى" يستعمل في معانى محدودة ورد بها القرآن العظيم ، فتارة يكون بمعنى الأولى ، كقوله تعالى مخاطباً للكفار : **"مأواكم النار ، هي مولاكم"** (الحديد :١٥) أى أولى بكم ، وتارة بمعنى الناصر ، كقوله عز اسمه : **"ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم"** (محمد :١١) وبمعنى الوارث كقوله سبحانه : **"ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون"** (النساء : ٣٣) أى ورثة ، وبمعنى العصبة نحو قوله عز وجل : **"وإنى خفت الموالى من ورائى"** (مريم :٥) ، وبمعنى الصديق : **"يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا"** (الدخان :٤١) ، وكذلك لفظ الولى يجئ بمعنى الأولى بالتصرف كقولنا: فلان ولى القصر ، وبمعنى الناصر والمحبوب ، قالوا : فلعل معنى الحديث : "من كنت ناصره ، أو صديقه ، أو حبيبه ، فإن علياً كذلك" ، وهذا المعنى يوافق كرامة السلف الصالح ، وإمامة الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم جميعا .

وربما جعلوا القرينة على إرادته من الحديث ، أن بعض من كان مع على فى اليمين رأى منه شدة فى ذات الله ، فتكلم فيه ونال منه ، وبسبب ذلك قام النبى صلى الله عليه وسلم يوم الغدير بما قام فيه من الثناء على الإمام ، وأشاد بفضله تنبيهاً إلى جلالة قدره ، ورداً على من تحامل عليه ، ويرشد بذلك أنه أشاد فى خطابه بعلى خاصة ، فقال : "من كنت وليه فعلى وليه" ، وبأهل البيت عامة فقال : "إنى تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، فكان كالوصية لهم بحفظه فى على بخصوصه ، وفى أهل بيته عموما ، وقالوا : وليس فيها عهد بخلافة ، ولا دلالة على إمامة" (المراجعات : أبحاث جديدة فى أصول المذهب والإمامة العامة ، من مطبوعات النجاح بالقاهرة ، الطبعة ١٧ ، سنة ١٩٧٦ ، ص.٢٣ ، المراجعة (٥٧) للشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر كتبها لإمام الشيعة فى مصر عبد الحسين شرف الدين العاملى ، فى الخامس والعشرين من المحرم سنة ١٣٣٠هـ) .

كما يحتج الشيعة فى الوصاية لعلى كرم الله وجهه بالحديث الذى أخرجه محمد بن حميد الرازى ، عن سلمة الأبرش عن ابن إسحاق عن أبى ربيعة الإيادى ، عن ابن بريدة ، عن أبيه بريدة ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لكل نبى وصى ووارث ، وإن وصيى ووارثى على بن أبى طالب" . وبالحديث الذى أخرجه الطبرانى فى الكبير والإسناد إلى سلمان الفارسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن وصيى وموضع سرى ، وخير من=

ويقولون : إن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هى قضية أصولية هو ركن الدين ، ولا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله وتفويضه إلى العامة وإرساله .

=أترك بعد ، ينجز عدتى ويقضى دينى : على بن أبى طالب" ويرون هذا نصاً صريحاً فى أنه الوصى ، وأنه أفضل الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم وأن فيه الدلالة الالتزامية على خلافته ، ووجوب طاعته .

ويستشهدون على مكانة على كرَّم الله وجهه ، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا ألم بالسيدة فاطمة رضى الله عنها ، كان يُذكِّرُها بنعمة الله ورسوله عليها ، إذ زوجها من أفضل أمته ، ليكون ذلك عزاء لها ، وسلوة عما يصيبها من طوارق الدهر ، ويسوقون الحديث الذى أخرجه أحمد فى الجزء الخامس من مسنده عن معقل بن يسار ، أن النبى صلى الله عليه وسلم عاد فاطمة رضى الله عنها فى مرض أصابها على عهده ، فقال لها : "كيف تجدينك" ؟ قالت : والله لقد اشتد حزنى واشتدت فاقتى وطال سقمى ، قال صلى الله عليه وسلم : "أو ما ترضين أني زوجتك أقدم أمتى سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلما" ؟

وينكر أهل السنة والجماعة أحاديث الوصية ، بما رواه البخارى فى صحيحه عن الأسود ، قال : ذكر عند عائشة رضى الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى إلى على رضى الله عنه ، فقالت : "من قاله ؟ لقد رأيت النبى وإنى لمسندته إلى صدرى فدعا بالطست فانخنست فمات ، فما شعرت ، فكيف أوصى إلى على" ؟

كما أخرج البخارى فى الصحيح عنها من عدة طرق أنها كانت تقول : "مات رسول الله بين حاقنتى وذاقنتى" ، وكثيرا ما قالت : "مات بين سحرى ونحرى" ، وربما قالت : "نزل به ورأسه على فخذى" فلو كانت ثمة وصية لما خفيت عليها .

وبما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : "ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ، ولا شاة ولا بعيرا ، ولا أوصى بشئ" .

وبما جاء فى الصحيحين عن طرحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبى أوفى : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم أوصى؟ قال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ثم تركها؟ قال : أوصى بكتاب الله" ويرون أن هذه الأحاديث أصح من الأحاديث التى يوردها الشيعة لثبوتها فى الصحيحين ، دون تلك المقدمة عند التعارض وأن عليها المعول (انظر : المراجعات ، المراجعة (٦٩) ص ٢٥٧) . =

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولى والتبرى قولاً وفعلاً وعقداً إلا فى حالة التقيّة .

ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك ، ولهم فى تعدية الإمامة كلام وخلاف كثير ، وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط .

وهم خمس فرق : كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية .

وبعضهم يميل فى الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه .

١- الكيسانية (١)

أصحاب كيسان(٢) مولى أمير المؤمنين عليّ - كرَّم الله وجهه - وقيل: تلميذ للسيد محمد ابن الحنفية(٣) ، ويعتقدون فيه إعتقاداً بالغاً من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار كلها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس .

= وإنما توسعنا فى الكلام عن هذا الموضوع لأنه الأساس الذى تقوم عليه دعوى الشيعة بأن الخلافة لعلى كرم الله وجهه منصوص عليها موصى بها من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا فالإمامة عندهم - لا تخرج من أولاده ، ويرون أنها قضية أصولية من أركان الدين ، وبهذا تثبت عندهم عصمة الأئمة فى الكبائر والصغائر كما جاء بنص الشهرستانى .

(١) فرقة إسلامية منقرضة ، كانت تقول بإمامة محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، المعروف بابن الحنفية .

(٢) كيسان مولى على بن أبى طالب ، وكيسان هذا هو الذى دل المختار بن أبى عبيد الثقفى على قتلة الحسين فانتقم منهم المختار وقتلهم شر قتلة ، وهناك من يقول إن الكيسانية سميت بهذا الاسم نسبة إلى المختار السالف الذكر فقد قيل إنه كان يسمى كيسان . (إسلام بلا مذاهب ، للدكتور مصطفى الشكعة ، ط الدار المصرية للطباعة والنشر ، ص ١٧٠) .

(٣) محمد ابن الحنفية : هو محمد بن على بن أبى طالب(١٦ - ٨١ هـ) ونسب إلى أمه - امرأة من بنى حنيفة اسمها خولة - قضى معظم حياته فى الحجاز بين مكة والمدينة ، عُرف بالفقه واعتزال الفتن ، ويرى بعض الشيعة أنه المهدى المنتظر .

ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل ، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها على رجال .. فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت ، فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ، ومن معد حقيقة الإمامة إلى غيره ثم متحير عليه متحير فيه ، ومن يدع حكم الإمامة فليس من الحيرة وكلهم حيارى منقطعون ، ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له ، ونعوذ بالله من الحيرة والجور بعد الكور .

• المختارية :

أصحاب المختار بن أبى عبيد[1] ، كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار شيعياً وكيسائياً ، قال بإمامة محمد ابن الحنفية بعد أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنهما ، وقيل : لا ، بل بعد الحسن والحسين ، وكان يدعو الناس إليه ويظهر أنه من رجاله ودعاته ، ويذكر علوماً مزخرفة ينوطها به .

ولما وقف محمد ابن الحنفية على ذلك تبرأ منه خاصة ، وأظهر لأصحابه عند العامة برأة ليصرف الناس عنه ليمشى أمره على إمارة الحسين ، وليجمع أمر زين العابدين[2] على أعداء أهل الدين ، وأنه

---

(١) المختار بن أبى عبيد الثقفى (ت ٦٧هـ) ، من زعماء الثائرين على بنى أمية ، اشترك فى ثورة "مسلم بن عقيل" فسجنه "عبيد الله بن زياد" ونفاه ، ثم ثار فى الكوفة طلباً بثأر الحسين رضى الله عنه ، وانتصر قائده "إبراهيم بن مالك الأشتر" على الجيش الأموى فى معركة "الخازر" حيث قُتل "عبيد الله بن زياد" قُتل فى محاولة يائسة للدفاع عن الكوفة وقد حاصره فيها "مصعب بن عمير"

(٢) زين العابدين : هو على بن الحسين (٣٨ - ٩٥هـ) ، رابع الأئمة عند الشيعة ، ولد وتوفى بالمدينة ، يعتبر المؤسس الثانى للمدرسة فى الإسلام ، تميز بإنجازاته فى تحرير العبيد ، كما تميز بأدب الدعاء ، جمعت أدعيته فى الصحيفة السجادية .

إنما يبث على الخلق ذلك ليتمشى أمره ويجتمع الناس عليه ، وإنما انتظم له ما انتظم بأمرين :

أحدهما : انتسابه إلى محمد ابن الحنفية علماً ودعوة ، والثانى : قيامه بثأر الحسين رضى الله عنه ، وإشتغاله ليلا ونهارا بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين.

ومن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى والبداء له معان ، فالبداء فى العلم - وهو أن يظهر له خلاف ما علم - ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد ، والبداء فى الإدارة - وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء فى الأمر - وهو أن يأمر بشئ ثم يأمر بعده بخلاف ذلك. ومن لم يجِّوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة فى الأوقات المختلفة متناسخة .

وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء ، لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحى يُوحى إليه، وإما برسالة من قِبل الإمام. فكان إذا وعد أصحابه بكون شئ وحدوث حادثة ، فإن وافق كَونه قوله ، جعله دليلا على صدق دعواه. وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم !!

وكان لا يفرق بين النسخ والبداء، قال : إذا جاز النسخ فى الأحكام جاز البداء فى الأخبار.

وقيل: إن السيد محمد ابن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل إليه أنه قد لبَّس على الناس أنه من دعاته ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التى ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة ، والتخاريف المموهة .

فمن مخاريقه : أنه كان عنده كرسى قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال : " هذا من ذخائر أمير المؤمنين على عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبنى إسرائيل " ، فكان إذا حارب خصومه يضعه فى الصف ويقول : "قاتلوا ولكم الظفر والنصر ، وهذا الكرسى محله فيكم محل التابوت فى بنى إسرائيل ، وفيه السكينة والبقية ، والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم" .

وحديث الحمامات البيض التى ظهرت فى الهواء - وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض - معروف ، الأسجاع التى ألفها أبرد تأليف مشهور .

وإنما حمله على الانتساب إلى محمد ابن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بحبه ، والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر فى العواقب ، وقد أخبره أمير المؤمنين عن أحوال الملاحم ، وأطلعه على مدارج المعالم ، قد اختار العزلة وآثر الخمول على الشهرة ، وقد قيل إنه كان مستودعا علم الإمامة حتى سلم الأمانة إلى أهلها ، وما فارق الدنيا حتى أقرها فى مستقرها ، وكان "السيد الحميرى" ، و"كثير" الشاعر من شعيته ، قال "كثير" فيه :

ألا إن الأئمـــة مـــن قريش ... ولاة الحـق أربعـة ســواء
على ، والثـــلاثة مـن بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فســبط ، سبــط إيمان وبر ... وسبــط غيبتــه كربــلاء
وسبط لا يــذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمـه اللـواء
يغيب ، ولا يرى فيهم زمانا ... برضوى ، عنده عسل وماء

وكان "السيد الحميرى" أيضا يعتقد أنه لم يمت ، وأنه فى جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلا كما ملئت جوراً ، وهذا هو الأول حكم بالغيبة ، والعود بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك فى بعض الجماعة حتى اعتقدوه دينا وركنا من أركان التشيع .

ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد ابن الحنفية فى سوق الإمامة ، وصار كل اختلاف مذهبا .

• الهاشمية :

أتباع أبى هاشم بن محمد ابن الحنفية ، قالوا بانتقال محمد ابن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه ، وانتقال الإمامة منه إلى ابنه هاشم .

قالوا : فإنه أفضى إليه أسرار العلوم ، وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس ، وتقدير التنزيل على التأويل ، وتصوير الظاهر على الباطن .

وقالوا : إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل شخص روحاً ، ولكل تنزيل تأويلا ، ولكل مثال فى هذا العالم حقيقة فى ذلك العالم ، والمنتشر فى الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع فى الشخص الإنسانى ، وهو العلم الذى استأثر علىٌّ (كرَّم الله وجهه) به ابنه محمد ابن الحنفية ، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبى هاشم ، وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً .

واختلف بعد أبى هاشم شيعته خمس فرق :

قالت فرقة : إن أبا هاشم مات منصرفا من الشام بأرض الشراة ، وأوصى إلى محمد بن عبد الله بن عباس ، وأنجزت فى أولاده الوصية حتى صارت الخلافة إلى أبى العباس .

قالوا : ولهم فى الخلافة حق لاتصال النسب ، وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه العباس أولى بالوراثة .

وفرقة قالت : إن الإمامة بعد موت أبى هاشم لابن أخيه الحسن بن علىّ ابن محمد ابن الحنفية .

وفرقة قالت : لا ، بل إن أبا هاشم أوصى إلى أخيه علىّ بن محمد ، وعلىّ أوصى إلى ابنه الحسن ، فالإمامة عندهم فى بنى الحنفية لا تخرج إلى غيرهم .

وفرقة قالت : إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى ، وأن الإمامة خرجت من بنى هاشم إلى عبد الله ، وتحولت روح أبى هاشم إليه .

والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة ، فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فأعرضوا عنه ، وقالوا بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

جعفر بن أبى طالب ، وكان من مذهب عبد الله : أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص ، وأن الثواب والعقاب فى هذه الأشخاص ، إما أشخاص بنى آدم ، وإما أشخاص الحيوانات!!

قال : وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلّت فيه ، وادعى الألوهية والنبوة معاً ، وأنه يعلم الغيب ، فعبدته شيعته الحمقى ، وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون فى الدنيا ، والثواب والعقاب فى هذه الأشخاص .

وتأوّل قوله تعالى : **"ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا"** . . . الآية[1] ، على أن من وصل إلى الإمام وعرفه ، ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يُطعم ووصل إلى الكمال والبلاغ .

وعنه نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق . . .وهلك عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه ، فمنهم من قال : إنه بعد حى لم يمت ويرجع ، ومنهم من قال : بل مات وتحوّلت روحه إلى إسحاق بن زيد بن الحارث الأنصارى ، وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ، ويعيشون عيش من لا تكليف عليه .

وبين أصحاب عبد الله بن معاوية ، وبين أصحاب محمد بن على خلاف شديد فى الإمامة ، فإن كل واحد منهما يدعى الوصية من أبى هاشم إليه ، ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد . "

• البيانية [2] :

أتباع بيان بن سمعان النهدى ، قالوا بانتقال الإمامة من أبى هاشم إليه ، وهم من الغلاة القائلين بألوهية أمير المؤمنين علىّ (كرّم الله وجهه) قال : حل فى علىّ جزء إلهى واتحد بجسده ، فبه كان يعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر ، وبه قلع باب خيبر .

---

(١) المائدة : ٩٣ .

(٢) أتباع بيان بن سمعان التميمى ، وقد ألهوا عليا وقالوا إن الألوهية انتقلت إليه بالتناسخ (إسلام بلا مذاهب ، ص١٧٥) .

وعن هذا قال : "والله ما خلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ، ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنور ربها مضيئة" . فالقوة الملكوتية فى نفسه كالمصباح فى المشكاة ، والنور الإلهى كالنور فى المصباح . قال : وربما يظهر علىّ فى بعض الأزمان .

وقال فى تفسير قوله تعالى : **"هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام"**[١] : أراد به علياً فهو الذى يأتى فى ظلل ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه !![٢]

ثم ادعى بيان أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهى بنوع من التناسخ ، ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة ، وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة .

وزعم أن معبوده على صورة إنسان ، عضواً فعضواً ، وجزءاً فجزءاً ، وقال : يهلك كله إلا وجهه لقوله تعالى : **" كل شئ هالك إلا وجهه "** !![٣]

ومع هذا الخزى الفاحش ، كتب إلى محمد بن علىّ بن الحسين الباقر ودعاه إلى نفسه ، وفى كتابه : "أسلم تسلم وترتقى من سلم ، فإنك لا تدرى حيث يجعل الله النبوة" ، فأمر الباقر أن يأكل رسوله "عمر بن أبى عفيف" - قرطاسه الذى جاء به ، فأكله فمات فى الحال . . وقد اجتمعت

---

(١) البقرة : ٢١.

(٢) لا شك أن مثل هذه الترهات قد أساءت إلى أهل البيت وأساءت إلى الشيعة أنفسهم ، ومن المضحك أن يظن بعض الشيعة أن عليا كرم الله وجهه لا يزال يعيش في السحاب ، فإذا أطلت سحابة قالوا : السلام عليك ياأبا الحسن ، وهؤلاء السحابيون يعرفون بالمنصورية نسبة إلى رئيسهم أبى المنصور الكسف الذى سمى بذلك لأنه كان يتأول قول الله تعالى : **" وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم "** (الطور : ٤٤) ، فالكسف عندهم هو على وهو في السحاب . (إسلام بلا مذاهب ، ص ١٧٥ ، ١٧٦).

(٣) القصص : ٨٨.

طائفة على بيان بن سمعان ودانوا بمذهبه ، فقتله خالد بن عبد الله القسرى على ذلك .

• **الرزامية :**

أتباع رزام ، ساقوا الإمامة من عليّ إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه أبى هاشم ثم منه إلى عليّ بن عبد الله بن عباس بالوصية ، وهؤلاء ظهروا بخراسان فى أيام أبى مسلم ، حتى قيل إن أبا مسلم كان على هذا المذهب لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبى مسلم فقالوا : له حظ فى الإمامة ، وادعوا حلول روح الإله فيه ، ولهذا أيده على بنى أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم .

وقالوا بتناسخ الأرواح ، وللمقنَّع الذى ادعى الإلهية لنفسه مخاريق أخرجها ، كان فى الأول على هذا المذهب وتابعه مبيضة ما وراء النهر ، وهؤلاء صنعة من الخرمية دانوا بترك الفرائض ، وقالوا : الدين معرفة الإمام فقط .

ومنهم من قال : الدين أمران : معرفة الإمام ، وأداء الأمانة ، ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى حال الكمال وارتفع عنه التكليف !!

ومن هؤلاء من ساق الإمامة إلى محمد بن عبد الله بن عباس ، من أبى هاشم بن محمد ابن الحنفية وصية إليه لا من طريق آخر .

وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية فى الأول واقتبس من دعاتهم العلوم التى اختصوا بها وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم ، وكان يطلب المستقر فيه فأنفذ إلى الصادق جعفر بن محمد : " إنى قد أظهرت الكلمة ودعوة الناس عن موالاة بنى أمية إلى موالاة أهل البيت ، فإن رغبت فلا مزيد عليك" فكتب إليه الصادق : "ما أنت من رجالى ، ولا الزمان زمانى" . فحاد إلى أبى العباس ابن محمد وقلده الخلافة ، وكذلك كتب إليه أبو مسلم فأحرق كتابه .

* * *

٢- الزيدية

أتباع زيد بن على بن الحسين بن عليّ (كرَّم الله وجهه) [(١)] ، ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة (رضى الله عنها) ولم يجوِّزوا ثبوت إمامة فى غيرهم ، إلا أنهم جوَّزوا أن يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخى خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة ، سواء أكان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين .

وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا فى أيام المنصور وقتلا على ذلك .

وجوَّزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة .

وزيد بن عليّ ، لما كان مذهبه هذا المذهب ، أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ فى الأصول لواصل بن عطاء الغزَّال[(٢)] رأس المعتزلة ، مع اعتقاد واصل بأن جده عليّ بن أبى طالب فى حروبه التى جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب ، وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه ، فاقتبس منه الاعتزال وصارت أصحابه كلها معتزلة ، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، فقال : كان عليّ بن أبى طالب أفضل

---

(١) زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (٨٠ - ١٢٢هـ) دعا إلى الثورة فى عهد هشام بن عبد الملك وحدد منهاجا لثورته أهم ما جاء فيه : جهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسم الفئ بين أهله بالسواء ، ورد المظالم . . وفشلت ثورته وقتل .

(٢) واصل بن عطاء : أبو حذيفة (ت١٣١هـ) ، رأس متكلمى المعتزلة وأكبر أركان هذه النحلة ، وإليه تنسب "الواصلية" ، ولد بالمدينة وانتقل إلى البصرة حيث اتصل بالحسن البصرى وعمرو بن عبيد ، لقب بالغزال لتصدقه على فقيرات معامل الغزل ، له : "السبيل إلى معرفة الحق" ، و"الخطب فى التوحيد والعدل" .

الصحابة ، إلا أن الخلافة فوِّضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة كان قريباً ، وسيف أمير المؤمنين عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد ، والضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هى ، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد ، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق فى الإسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا ترى أنه لما أراد فى مرضه الذى مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه زعق الناس وقالوا : لقد وليتَ علينا فظاً غليظاً . فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له فى الدين وفظاظة على الأعداء ، حتى سكَّنهم أبو بكر رضى الله عنه . وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم فيرجع إليه فى الأحكام ويحكم بحكمه فى القضايا" .

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه ، وعرفوا أنه لا يتبرأ عن الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة ، وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة ، لامن هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ، ويقتبس العلم ممـن يجوِّز الخطأ على جده فى قتال الناكثين والقاسطين ، ومن يتكلم فى القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت ، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطاً فى كون الإمام إماماً ، حتى قال له يوما : "على قضية والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج" .

ولما قُتل زيد بن على وصُلب ، قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان ، واجتمعت عليه جماعة كثيرة ، وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضى الله عنه بأنه يُقتل كما قُتل أبوه ، ويُصلب كما صُلب أبوه ، فجرى عليه الأمر كما أخبر ، وقد فوَّض الأمر بعده إلى محمد وإبراهيم الإمامين وخرجا بالمدينة ، ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا أيضاً ، وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم

وعرَّفهم أن آباءه رضى الله عنهم أخبروه بذلك كله ، وأن بنى أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض أهل البيت ، ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله بزوال ملكهم .

وكان يشير إلى أبى العباس وأبى جعفر ابنى محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، إنا لا نخوض فى الأمر حتى يتلاعب بها هذا وأولاده - إشارة إلى المنصور - فزيد بن علىّ قُتل بكناسة الكوفة ، قتله هشام بن عبد الملك ، ويحيى بن زيد قُتل بجوزجان خراسان ، قتله أميرها ، ومحمد الإمام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان ، وإبراهيم الإمام قُتل بالبصرة أمر بقتلهما المنصور .

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش ، فطلب مكانه ليُقتل فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الإسلام بعد ، فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علىّ فدانوا بذلك ونشأوا عليه ، وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين .

وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم ، وخالفوا بنى أعمامهم من الموسوية فى مسائل الأصول ، ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول ، وطعنت فى الصحابة طعن الإمامية ، وهم أصناف ثلاثة : **جارودية** ، **وسليمانية** ، **وبترية** : والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد .

• الجارودية :

أصحاب أبى الجارود[1] ، زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على علىّ كرَّم الله وجهه بالوصف دون التسمية ، والإمام بعده علىّ ،

---

(١) أبو الجارود : هو زياد بن أبى زياد المنذر (ت.١٥٠هـ) ، كان من الغلاة من أهل الكوفة ، وافترق أصحابه فرقاً متعددة .

والناس قصّروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف ، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك .. وقد خالف أبو الجارود فى هذه المقالة إمامه زيد بن علىّ ، فإنه لم يعتقد بهذا الاعتقاد .

واختلفت الجارودية فى التوفيق والسوق ، فساق بعضهم الإمامة من على إلى الحسن ثم الحسين ثم إلى علىّ بن الحسين زين العابدين ثم إلى زيد بن علىّ ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بإمامته .

وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الأمر إلى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى مات فى الحبس ، وقيل : إنه إنما بايع محمد بن عبد الله الإمام فى أيام المنصور ، ولما قُتل محمد بالمدينة بقى الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت ، فرُفِعَ حاله إلى المنصور فتم عليه ما تم .

والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا ، فمنهم من قال : إنه لم يُقتل وهو بعد حى وسيخرج فيملأ الأرض عدلا ، ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علىّ بن الحسين بن علىّ صاحب الطالقان ، وقد أُسر فى أيام المعتصم وحُمل إليه فحبسه فى داره حتى مات .

ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة ، فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير ، وقُتل فى أيام المستعين وحُمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر ، حتى قال فيه بعض العلوية :

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك أستلينك فى الكلام
وعز علىّ أن ألقاك إلا وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين زيد بن علىّ .

وأما أبو الجارود ، فكان يسمى "سرحوب" ، سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علىّ الباقر رضى الله عنه ، وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر ، قاله الباقر تفسيراً .

ومن أصحاب أبى الجارود : فضيل الرسان ، وأبو خالد الواسطى ، وهم مختلفون فى الأحكام والسير ، فزعم بعضهم أن علم ولد الحسن والحسين رضى الله عنهما كعلم النبى صلى الله عليه وسلم ، فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة ، وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفى غيرهم ، وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة .

• السليمانية :

أصحاب سليمان بن جرير ، وكان يقول : إن الإمامة شورى فيما بين الخلق ، ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنها تصح فى المفضول مع وجود الأفضل ، وأثبت إمامة أبى بكر وعمر حقا باختيار الأمة حقاً اجتهادياً ، وربما كان يقول : إن الأمة أخطأت فى البيعة لهما مع وجود علىّ خطأ لا يبلغ درجة الفسق ، وذلك الخطأ خطأ اجتهادى ، غير أنه طعن فى عثمان بالأحداث التى أحدثها وكفَّره لذلك ، وكفَّر عائشة والزبير وطلحة بإقدامهم على قتال علىّ ، ثم إنه طعن في الرافضة فقال : إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم . إحداهما : القول بالبدء ، فإذا أظهروا قولا أنه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ، ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قــالوا : بدا لله تعالى فى ذلك . والثانية : التقيّة ، وكل ما أرادوا تكلموا به ، فإذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا : إنما قلناه تقيّة وفعلناه تقيّة .

وتابعه على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة ، منهم جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وكثير النوى – وهو من أصحاب الحديث . قالوا : الإمامة من مصالح الدين ليس يحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده ، فإن ذلك حاصل بالعقل ، لكنها يحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء بين المتحاكمين وولاية اليتامى والأيامى وحفظ البيضة وإعلاء الكلمة ونصب القتال مع أعداء الدين ، وحتى يكون للمسلمين جماعة ولا يكون الأمر فوضى بين العامة فلا يشترط فيها أن يكون الإمام أفضل الأمة علماً وأقومهم رأياً وحكمة ، إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل .

ومالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك حتى جوَّزوا أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد ، ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل الاجتهاد فيراجعه فى الأحكام ويستفتى منه فى الحلال والحرام ، ويجب أن يكون فى الجملة ذا رأى متين وبصر فى الحوادث نافذ .

• الصالحية والبترية :

أصحاب الحسن بن صالح بن حي ، والبترية أصحاب كثير النوى الأبتر ، وهما متفقان فى المذهب ، وقولهم فى الإمامة كقول السليمانية ، إلا أنهم توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر . قالوا : إذا سمعنا الأخبار الواردة فى حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة ، قلنا : يجب أن يُحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنة ، وإذا رأينا الأحداث التى أحدثها من استهتاره بتربية بني أمية وبنى مروان واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة قلنا : يجب أن يحكم بكفره ، فتحيرنا فى أمره وتوقفنا فى حاله ، ووكلناه إلى أحكم الحاكمين .

وأما عليّ ، فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالإمامة ، لكنه سلّم الأمر لهم راضياً وفوَّض الأمر إليهم طائعاً وترك حقه راغباً ، فنحن راضون بما رضى مسلِّمون لما سلَّم لايحل لنا غير ذلك ، ولو لم يرض عليّ بذلك لكان أبو بكر هالكاً .

وهم الذين جوَّزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الأفضل راضيا بذلك ، وقالوا : من شهر سيفاً من أولاد الحسن والحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام ، وشرط بعضهم صباحة الوجه ، ولهم خبط عظيم فى إمامين وجد فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفيهما ، ينظر إلى الأفضل والأزهد ، وإن تساويا ينظر إلى الأمتن رأياً والأحزم أمراً ، وإن تساويا تقابلا ، فينقلب الأمر عليهم كلاً ويعود الطلب جذعاً والإمام مأموماً والأمير مأموراً ، ولو كانا فى قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره ويكون واجب الطاعة فى قومه ، ولو أفتى أحدهما بخلاف ما يفتى الآخر كان كل واحد منهما مصيبا ، وإن أفتى باستحلال دم الآخر .

وأكثرهم في زماننا[1] مقلدون لا يرجعون إلى رأى واجتهاد ، أما فى الأصول فيرون رأى المعتزلة حذو القذة بالقذة ، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت .

وأما فى الفروع ، فهم على مذهب أبى حنيفة إلا فى مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى رحمه الله .

والشيعة رجال الزيدية : أبو الجارود زياد المنذر العبدى جعفر بن محمد ، والحسن بن صالح ، ومقاتل بن سليمان ، والداعى ناصر الحق الحسن بن علىّ بن الحسن بن زيد بن عمرو بن الحسن بن علىّ ، والداعى الآخر صاحب طبرستان : الحسين بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن علىّ ، ومحمد بن نصر .

* * *

٣- الإمامية

هم القائلون بإمامة علىّ (كرّم الله وجهه) بعد النبى صلى الله عليه وسلم نصاً ظاهراً ويقيناً صادقاً من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين . قالوا : وما كان فى الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأياً ويسلك كل واحد طريقاً لا يوافقه فى ذلك غيره ، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه ، وينص على واحد هو الموثوق به والمعوّل عليه ، وقد عين علياً (كرّم الله وجهه) فى مواضع تعريضاً ، وفى مواضع تصريحاً .

أما تعريضاته ، فمثل أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة البراءة على الناس فى المشهد ، وبعث بعده علياً ليكون هو القارئ عليهم والمبلغ عنه إليهم ،

(١) أى زمن الشهرستانى المتوفى عام ٥٤٨ هـ .

وقال : "نزل عليَّ جبريل فقال : يبلغه رجل منك" - أو قال : من قومك - وهو يـدل على تقديـمه علـياً (كرَّم الله وجهه) ، ومثل ما كان يؤمِّر على أبى بكر وعـمر وغـيرهما من الصحابة فى البعوث ، وقد أمَّر عليهما عمرو بن العاص فى بعث ، وأسامة بن زيد فى بعث ، وما أمَّرَ على عليّ أحداً قط .

وأما تصريحاته ، فمثل ما جرى فى نأناة الإسلام حين قال : "من الذى يبايعنى على ماله"؟ فبايعته جماعة ، ثم قال : "من الذى يبايعنى على روحه وهو وصيى وولى هذا الأمر من بعدى"؟ فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين عليّ (كرَّم الله وجهه) يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك حتى كانت قريش تُعَيِّر أبا طالب أنه أمَّر عليك ابنك .

ومثل ما جرى فى كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى : **"يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أُنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته"**[1] فلما وصل إلى غدير خم أمر بالدرجات فقمن ، ونادوا : الصلاة جامعة ، ثم قال عليه السلام وهو على الرحال : "من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألا هل بلغت"؟ - ثلاثاً .

فادعت الإمامية أن هذا نص صريح ، فإنا ننظر من كان النبى صلى الله عليه وسلم مولى له وبأى معنى فتطرد ذلك فى حق عليّ وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه ، حتى قال عمر حين استقبل علياً : "طوبى لك يا على ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة" .

قالوا : وقول النبى صلى الله عليه وسلم : "أقضاكم عليّ" ، نص فى الإمامة ، فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون أقضى القضاة فى كل حادثة ، الحاكم على المتخاصمين فى كل واقعة ، وهو معنى قوله تعالى : **"أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم"**[2] ، فأولوا

---

(١) المائدة : ٦٧ . (٢) النساء : ٥٩ .

الأمر من إليه القضاء والحكم حق في مسألة الخلافة ، لما تخاصمت المهاجرون والأنصار كان القاضي في ذلك هو أمير المؤمنين عليّ دون غيره ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له فقال : "أفرضكم زيد ، أقرأكم أبَيّ ، أعرفكم بالحلال والحرام معاذ" كذلك حكم لعليٍّ بأخص وصف وهو قوله "أقضاكم عليّ ، والقضاء يستدعي كل علم وليس كل علم يستدعي القضاء .

ثم إن الإمامية تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً ، وأقله ظلماً وعدواناً وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم ، وقال الله تعالى : **"لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة"**(١) ، وكانوا إذ ذاك ألفاً وأربعمائة .

وقال تعالى ثناء على المهاجرين والأنصار : **" والذين اتبعوهم بإحسان"** فقال : **" والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه"**(٢) ، وقال : **"لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة"**(٣) ، وقال : **"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض"**(٤) ، وفي ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول ، فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "عشرة في الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح"؟ إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد منهم على الانفراد ، وإن نقلت هنات من بعضهم فليتدبر النقل ، فإن أكاذيب الروافض قليلة .

---

(١) الفتح : ١٨ .
(٢) التوبة : ١٠٠ .
(٣) التوبة : ١١٧ .
(٤) النور : ٥٥ .

ثم إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بين الحسن والحسين وعليّ ابن الحسين على رأى واحد ، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها حتى قال بعضهم : إن نيفاً وسبعين فرقة من الفرق المذكورة فى الخبر هو فى الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة ، وهم متفقون فى سوق الإمامة إلى جعفر بن محمد الصادق ، مختلفون فى المنصوص عليه بعده من أولاده ، إذ كان له خمسة أولاد وقيل ستة : محمد وإسحاق وعبد الله وموسى وإسماعيل وعليّ ، ومن ادعى منهم النص والتعيين محمد وعبد الله وموسى وإسماعيل وعليّ . . ثم منهم من مات وأعقب ، ومنهم من لم يعقب ... ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة ، ومنهم من قال بالسوق والتعدية كما سيأتى فى اختلافاتهم عند ذكر طائفة طائفة ، وكانوا فى الأول على مذهب أئمتهم فى الأصول ، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان ، اختار كل فرقة طريقة ، وصارت الإمامية بعضها معتزلة إما وعيدية وإما تفضيلية ، وبعضها إخبارية إما مشبهة وإما سلفية ، ومن ضل الطريق وتاه لم يبال الله به فى أى واد هلك .

• الباقرية والجعفرية الواقفة :

أصحاب أبى جعفر محمد بن عليّ الباقر وابنه جعفر الصادق وقالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين ، إلا أن منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الإمامة إلى أولادهما ، ومنهم من ساق ، وإنما ميزنا هذه فرقة دون الأصناف المتشيعة التى نذكرها لأن من الشيعة من توقف على الباقر وقال برجعته ، كما توقف القائلون بإمامة أبى عبد الله جعفر إبن محمد الصادق وهو ذو علم غزير فى الدين وأدب كامل فى الحكمة وزهد بالغ فى الدنيا وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للإمامة قط ، ولا نازع أحدا فى الخلافة ، ومن غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط ، ومن تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط ، وقيل : من آنس بالله توحش عن الناس ،

ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس . . وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة ، ومن جانب الأم بنتسب إلى أبى بكر رضى الله عنه . وقد تبرأ عما كان ينسب بعض الغلاة إليه وتبرأ عنه ولعنهم وبرئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبدء والتناسخ والحلول والتشبيه ، لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً وأراد أن يروجه على أصحابه ونسبه إليه وربطه به ، والسيد برئ من ذلك ومن الاعتزال والقدر أيضاً ، هذا قوله فى الإرادة :"إن الله تعالى أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا" .

وهذا قوله فى القدر : "هو أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض" .

وكان يقول فى الدعاء : "اللهم لك الحمد إن أطعتك ، ولك الحجة إن عصيتك ، لا صنع لى ولا لغيرى فى إحسان ، ولا حجة لى ولا لغيرى فى إساءة" .

فنذكر الأصناف الذين اختلفوا فيه وبعده ، لا على أنهم من تفاصيل أشياعه ، بل على أنهم منتسبون إلى أصل شجرته وفروع أولاده .

• الناووسية :

أتباع رجل يقال له "ناوس" ، وقيل نسبوا إلى قرية "ناوسا".. قالت : إن الصادق حى بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره ، وهو القائم المهدى . . ورووا عنه أنه قال : "لو رأيتم رأسى يدهده عليكم فى الجبل فلا تصدقوا ، فإنى صاحبكم صاحب السيف" .

وحكى أبو حامد الزوزنى أن الناوسية زعمت أن علياً مات وستنشق الأرض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا .

• الأفطحية :

قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح ، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه ، وأمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علىّ

وكان أسن أولاد الصادق ، زعموا أنه قـال : الإمامة فى أكبر أولاد الإمام ، وقال : الإمام من يجلس مجلسى ، وهو الذى جلس مجلسه ، وقال : الإمام لا يُغسله ولا يُصلى عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه إلا الإمام ، وهو تولى ذلك كله ، ودفع الصادق وديعة إلى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه وأن يتخذه إماماً ، وما طلبها منه أحد إلا عبد الله ، ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يوماً ومات ولم يعقب ولداً ذكراً .

• الشميطية :

أتباع يحيى بن أبى شميط ، قالوا إن جعفراً قال : "إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم" ، وقد قـال له والده : إن ولـد لك ولد فسميته باسمى فهو إمام ، فالإمام بعده ابنه محمد .

• الموسوية أو المفضلية :

فرقة واحدة قالت بإمامة موسى بن جعفر نصاً عليه بالاسم حيث قال الصادق : "سابعكم قائمكم" ، وقيل : "صاحبكم قائمكم ، ألا وهو سمى صاحب التوراة" .

ولما رأت الشيعة أن أولاد الصادق على تفرق ، فمن ميت فى حال أبيه لم يعقب ، ومن مختلف فى موته ، ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ميت غير معقب . .وكان موسى هو الذى تولى الأمر وقام به بعد موت أبيه رجعوا إليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمر ، وزرارة بن أعين ، وعمارة السباطى .

وروت الموسـوية عن الصـادق (رضى الله عنه) أنه قـال لبعض أصحابه : عد الأيام ، فعدها من الأحد حتى بلغ السبت ، فقال له : كم عددت؟ فقال : سبعة ، فقال جعفر : "سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور ، من لا يلهو ولا يلعب ، وهو سابعكم قائمكم هذا" - وأشار إلى موسى . وقال فيه أيضا : إنه شبيه بعيسى .

ثم إن موسى لما خرج وأظهر الإمامة حمله هارون الرشيد من المدينة

فحبسه عند عيسى بن جعفر ، ثم أشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندى إبن شاهك ، وقيل : إن يحيى بن خالد بن برمك سمّه فى رطب فقتله وهو فى الحبس ، ثم أخرج ودفن فى مقابر قريش ببغداد .

واختلف الشيعة بعده ، فمنهم من توقف فى موته وقال : لا ندرى أمات أم لم يمت - ويقال لهم "المطورة "- سماهم بذلك على بن إسماعيل فقال : ما أنتم إلا كلاب ممطورة ، ومنهم من قطع بموته - ويقال لهم "القطعية" ، ومنهم من توقف عليه وقال : إنه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم "الواقفية" .

● أسماء الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية : المرتضى ، والمجتبى ، والشهيد ، والسجاد ، والباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضى ، والتقى ، والنقى ، والزكى ، والحجة ، والقائم ، والمنتظر ، (١)

(١) المرتضى : علىّ بن أبى طالب (كرّم الله وجهه) (ت.٤٠ هـ) رابع الخلفاء الراشدين ، ربيب النبى صلى الله عليه وسلم وابن عمه وصهره على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، من أبطال المعارك الأولى التى خاضها المسلمون فى بدر وأحد وخيبر والخندق وحنين ، وكان من رأى فريق من المسلمين مبايعته بالخلافة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم لكن بيعته تمت بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أنهى بسرعة عصيان البصرة فى معركة الجمل وكاد ينهى عصيان معركة صفين لولا شبهات الخوارج ، وبينما هو يتهيأ لحسم الموقف اغتاله عبد الرحمن بن ملجم - أحد الخوارج - ويعتبر صاحب المدرسة الأولى فى الإسلام التى انبثق منها مجرى ثقافى عريض ، وبموته انتهى عصر الخلفاء الراشدين
- المجتبى : الحسن بن على رضى الله عنه ، (٣ - ٥٠ هـ) بكر أبناء علىّ وفاطمة رضى الله عنهما ، بايعه أهل الكوفة بعد مقتل أبيه ، ولكنه آثر عدم القتال وترك الخلاف ، فكاتب معاوية على الصلح بعد أن أيقن أن أهل العراق ليسوا جادين فى نصرته ، ثم عاد إلى المدينة حيث عاش بها بقية حياته .
- الشهيد : الحسين بن علىّ رضى الله عنه ، (٤-٦١ هـ) الابن الثانى لعلىّ وفاطمة رضى الله عنهما ، امتنع هو وعبد الله بن الزبير عن مبايعة يزيد بن معاوية ، بايعه أهل الكوفة فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة فبايعه ...ر.٣ شخص ، ولما تولى عبد الله بن زياد على الكوفة - ... يزيد بن معاوية - قبض على مسلم وأمر بقتله ، فسار الحسين رضى ... إلى العراق - فى مائة من أهل بيته - ودارت معركة كربلاء التى ...

. . . .

=باستشهاد الحسين رضى الله عنه في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ ، ولما حُملت رأسه إلى يزيد غضب لذلك وتألم ، ودُفن الرأس بالمدينة ، وقيل بعسقلان ، وقيل إن طلائع بن رزيك الوزير الفاطمى نقلها إلى القاهرة وبنى عليها مسجد الإمام الحسين ، أما الجسد فقد دفن فى كربلاء .

– السجّاد : على بن الحسين (زين العابدين) ، (٣٨ – ٩٥هـ) ، رابع الأئمة عند الشيعة ، لقب بزين العابدين لكثرة عبادته وورعه حتى قيل إنه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، أمه من سبايا الفرس من عقب أنوشروان ، اشترك مع أبيه فى موقعة كربلاء التى قتل بها الحسين ، وعاد بعدها إلى المدينة ، اشتهر ببره بالفقراء وتحرير العبيد وشدة حلمه ، وهو الذى قال فيه الفرزدق قصيدته المشهورة التى مطلعها : "هذا الذى تعرف البطحاء وطأته" ويعتبر المؤسس الثانى للمدرسة فى الإسلام .

– الباقر : محمد بن علىّ زين العابدين (٥٧ – ١١٤هـ) ، الإمام الخامس للشيعة ، ولد وتوفى بالمدينة ، تابع توسيع مدرسة أبيه وتخريج العلماء فيها من كل الأقطار الإسلامية .

– الصادق : جعفر بن محمد الباقر (٨٠ – ١٤٨ هـ) ، الإمام السادس للشيعة ، واليه ينسب المذهب الجعفرى الشيعى وعليه معظم الشيعة ، ولد وتوفى بالمدينة ، كانت مدرسته امتداداً لمدرسة أبيه الباقر ونجحت نجاحاً كبيراً فى نشر الثقافة الإسلامية وبلغ عدد المنتمين إليها فى المدينة أربعة آلاف من كل الأقطار الإسلامية وكان لها فرع فى الكوفة ، من أعظم إنجازات الصادق دعوته إلى التأليف والتدوين- وكان قبله قليل الحدوث – وبلغ ما ألف تلاميذه أربعمائة كتاب لأربعمائة مؤلف .

– الكاظم : موسى بن جعفر الصادق (١٢٨ – ١٨٣ هـ) ، الإمام السابع للشيعة ، ولد فى الأبواء قرب المدينة ، ومات مسموماً فى سجن هارون الرشيد فى بغداد ، إليه تنسب ضاحية بغداد "الكاظمية" التى تضم قبره وقبر حفيده محمد الجواد .

– الرضى : على الرضا بن موسى الكاظم (١٥٣ – ٢٠٣ هـ) ، الإمام الثامن للشيعة ، ولد فى المدينة وتوفى بطوس (خراسان) ومكان قبره اليوم مدينة مقدسة فى إيران تسمى مشهد ، جعله المأمون ولياً لعهده واستدعاه إلى مرو ثم توفى بطريق عودته مع المأمون إلى بغداد ، وقيل إن المأمون هو الذى سمه .

– التقى : محمد الجواد بن على الرضا (١٩٥ – ٢٢٠هـ) ، الإمام التاسع للشيعة ، ولد فى المدينة وتوفى ببغداد، ودُفن مع جده موسى الكاظم فيما عرف بعد ذلك باسم "الكاظمية" التى أصبحت من العتبات المقدسة . =

• الإسماعيلية الواقفية :

قالوا : إن الإمام بعد جعفر إسماعيل ، نصاً عليه باتفاق من أولاده ، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال : لم يمت إلا أنه أظهر موته تقيّة من خلفاء بني العباس وعقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ، ومنهم من قال : الموت صحيح ، والنص لا يرجع قهقرى ، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل ، وهؤلاء يقال لهم "المباركية" .

ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم "الباطنية" وسنذكر مذهبهم على الانفراد ، وإنما هذه فرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل المشهورة في الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة .

* * *

=- النقى : على الهادى بن محمد الجوّاد (٢١٤ - ٢٥٤هـ) ، الإمام العاشر للشيعة ، ولد فى المدينة وتوفى فى سامراء ، خاف المتوكل العباسى من ميل الناس إليه فى المدينة فاستدعاه إلى سامراء ، ولما دخل عليه استنشده المتوكل شعراً ، فأنشده قصيدة مطلعها :

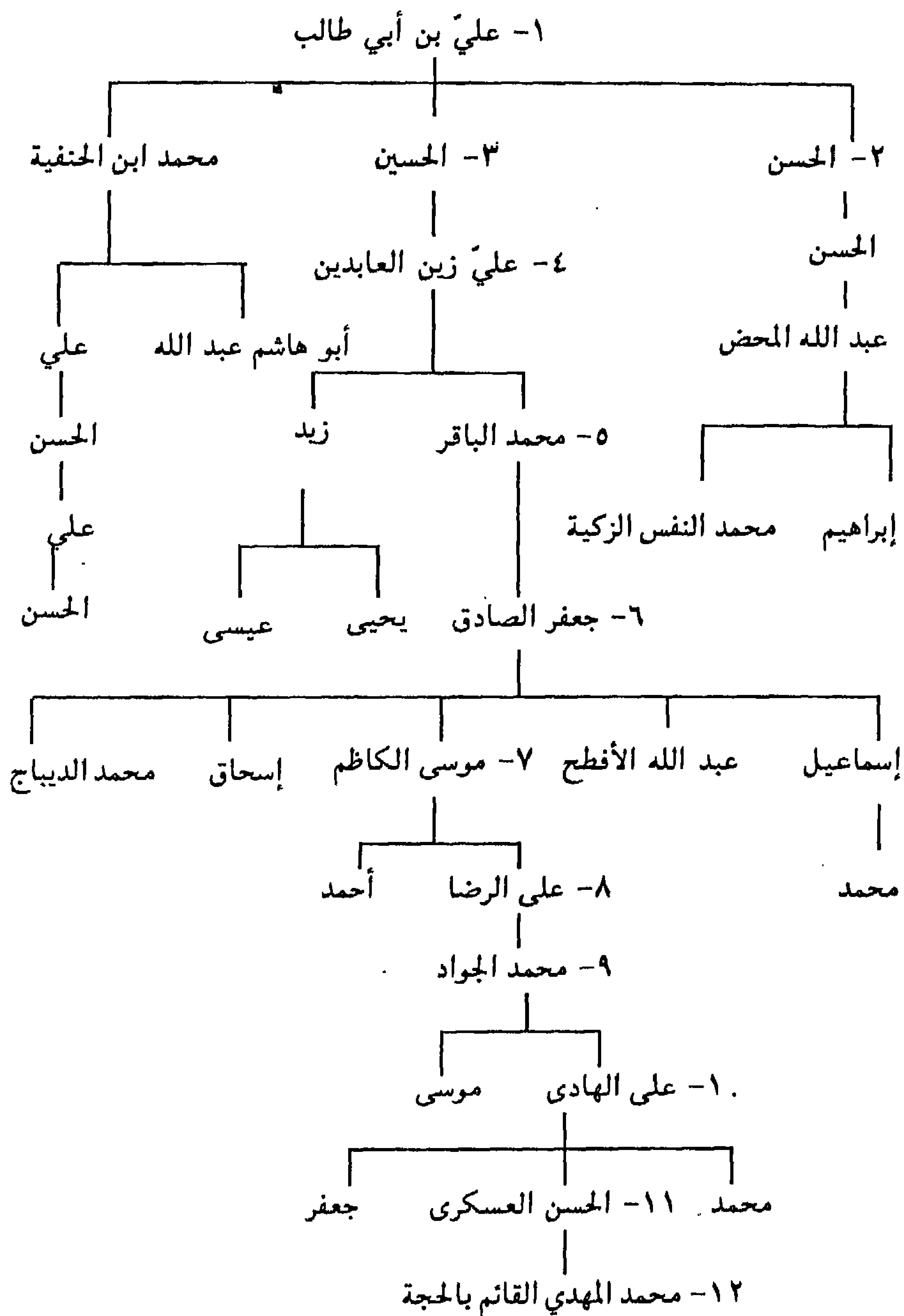
باتوا على قلل الجبال تحرسهم   غلب الرجال فما أغنتهم القلل

فبكى المتوكل ومن فى مجلة تأثراً .

- الزكى : الحسن العسكرى ابن على الهادى (٢٣١ - ٢٦٠هـ) ، الإمام الحادى عشر للشيعة ، لقب بالعسكرى لسكنه وأباه فى محلة تعرف بالعسكر بـ "سامراء" ، ولد فى المدينة وجاء سامراء مع أبيه الإمام على الهادى حين استدعاه المتوكل وتوفى فيها .

- الحجة ، والقائم ، والمنتظر : محمد المهدى بن الحسن العسكرى ، وهو الذى يزعم الشيعة أنه دخل سرداباً فى دار أبيه بـ" سر من رأى " واختفى عام (٢٦٠هـ) فى حياة أبيه ، وينتظر الشيعة خروجه ليملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جوراً .

وانظر : شجرة نسب الأئمة من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه .



شجرة نسب الأئمة من ولد علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه

• الإثنا عشرية أو الجعفرية :

إن الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا "قطعية" ساقوا الإمامة بعده فى أولاده ، فقالوا : الإمام بعد موسى علىّ الرضا ومشهده بـ"طوس" ثم بعده محمد التقى وهو فى مقابر قريش ثم بعده علىّ بن محمد النقى ومشهده بـ"قم" وبعده الحسن العسكرى الزكى وبعده ابنه القائم المنتظر الذى هو بـ"سر من رأى" ، وهو الثانى عشر . . هذا هو طريق الإثنى عشرية فى زماننا إلا أن الاختلافات التى وقعت فى حال كل واحد من هؤلاء الإثنى عشر والمنازعات التى جرت بينهم وبين إخوتهم وبنى أعمامهم وجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره رمقالة لم نوردها .

فاعلم أن من الشيعة من قال بإمامة أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه علىّ الرضا ، ومن قال بـ" علىّ " شك أولا فى محمد بن علىّ إذ مات أبوه وهو صغير غير مستحق للإمامة ولا علم عنده بمناهجها ، فثبت قوم على إمامته واختلفوا بعد موته .

فقال قوم بإمامة موسى بن محمد ، وقال قوم بإمامة علىّ بن محمد ويقولون هو العسكرى .

واختلفوا بعد موته أيضاً ، فقال قوم بإمامة الحسن بن علىّ ، وكان لهم رئيس يقال له علىّ بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام قوّى أسباب جعفر بن علىّ وأمال الناس إليه ، وأعانه فارس بن حاتم بن ماهوية ، وذلك أن محمداً قد مات وخلف الحسن العسكرى قالوا : امتحنا الحسن ولم نجد عنده علماً ، ولقبوا من قال بإمامة الحسن : "الحمارية" ، وقوّوا أمر جعفر بعد موت الحسن واجتمعوا بأن الحسن مات بلا خلف فبطلت إمامته لأنه لم يعقب ، والإمام لا يكون إلا ويكون له خلف وعقب ، وجاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادعاها عليه أنه فعل ذلك من حبل فى جواريه وغيره ، وانكشف أمرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من قال بإمامة الحسن وتفرقوا أصنافاً كثيرة فتثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر ورجع إليهم كثير ممن قال بإمامة الحسن ، منهم الحسن بن علىّ بن فضال وهو من أجَلّ أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث .

ثم قالوا بعد جعفر بعلى بن جعفر وفاطمة بنت على أخت جعفر .

وقال قوم بإمامة على بن جعفر دون فاطمة السيدة ، ثم اختلفوا بعد موت علّى وفاطمة اختلافاً كثيراً وغلا بعضهم فى الإمامة غلو أبى الخطاب الأسدى ، وأما الذين قالوا بإمامة الحسن افترقوا بعد موته إحدى عشرة فرقة وليست لهم ألقاب مشهورة ، ولكننا نذكر أقاويلهم :

الفرقة الأولى : قالت إن الحسن لم يمت وهو القائم ، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهراً لأن الأرض لا تخلو من إمام ، وقد ثبت عندنا أن القائم له غيبتان ، وهذه إحدى الغيبتين وسيظهر ويعُرف ثم يغيب غيبة أخرى .

الثانية : قالت إن الحسن مات لكنه يجئ وهو القائم ، لأنا رأينا أن معنى القائم هو القيام بعد الموت ، فنقطع بموت الحسن لا نشك فيه ، ولا ولد له فيجب أن يجئ بعد الموت .

الثالثة : قالت إن الحسن قد مات وأوصى إلى جعفر أخيه ورجعت إمامة جعفر .

الرابعة : قالت إن الحسن قد مات والإمام جعفر وإنا كنا مخطئين فى الائتمام به إذ لم يكن إماماً فلما مات ولا عقب له تبينا أن جعفراً كان محقا فى دعواه والحسن مبطلا .

الخامسة : قالت إن الحسن قد مات وكنا مخطئين فى القول ، وإن الإمام كان محمد بن علىّ أخو الحسن وجعفر لما ظهر لنا فسق جعفر وإعلانه به وعلمنا أن الحسن كان على مثل حاله إلا أنه كان يتستر عرفنا أنهما لم يكونا إمامين فرجعنا إلى محمد ووجدنا له عقباً وعرفنا أنه كان هو الإمام دون أخويه .

السادسة : قالت : ابناً ، وليس الأمر على ما ذكروا أنه مات ولم يعقب ، ولد قبل وفاة أبيه بسنتين فاستتر خوفاً من جعفر وغيره من الأعداء واسمه محمد وهو الإمام القائم المنتظر .

السابعة : قالت : إن له ابناً ولكنه ولد بعد موته بثمانية أشهر ، وقول من ادعى أنه مات وله ابن باطل لأن ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان .

الثامنة : قالت : صحت وفاة الحسن وصح أنه لا ولد له وبطل ما ادعى من الحبل فى سرية له وثبت أنه لا إمام بعد الحسن وهو جائز فى المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم وهى فترة وزمان لا إمام فيه والأرض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم .

التاسعة : قالت : إن الحسن قد مات وصح موته وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ولا ندرى كيف هو ، ولا نشك أنه قد ولد له ابن ولا ندرى قبل موته أو بعد موته إلا أنا نعلم يقيناً أن لا تخلو عن حجة وهو الخلف الغائب ، فنحن نتوالاه ونتمسك باسمه حتى يظهر بصورته .

العاشرة : قالت : نعلم أن الحسن قد مات ولا بد للناس من إمام ولا تخلو الأرض من حجة ولا ندرى من ولده أو من غيره .

الحادية عشر ، والثانية عشر : فرقة توقفت فى هذه المخابط وقالت : لا ندرى على القطع حقيقة الحال لكنا نقطع فى الرضا ونقول بإمامته وفى كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفية فى ذلك إلى أن يُظهر الله الحجة ويظهر بصورته فلا يشك فى إمامته من أبصره ولا يحتاج إلى معجزة وكرامة وبينة ، بل معجزته اتباع الناس بأسرهم إياه من غير منازعة ومدافعة .

فهذه جملة فرق الإثنا عشرية قطعوا على واحد واحد منهم ثم قطعوا على كل بأسرهم .

ومن العجب أنهم قالوا : الغيبة قد امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة ، وصاحبنا قال : إن خرج القائم وقد طعن فى الأربعين فليس

بصاحبكم ، ولسنا ندرى كيف ينقضى مايتان وخمسون سنة فى أربعين سنة[١] ، وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف يتصور؟ قالوا : أليس الخضر وإلياس عليهما السلام يعيشان فى الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب؟ فلم لا يجوز ذلك فى واحد من أهل البيت ؟ قيل لهم : ومع اختلافكم هذا ، كيف يصح لكم دعوى الغيبة؟ ثم الخضر عليه السلام مكلفاً بضمان جماعة والإمام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل والجماعة مكلفون بالاقتداء به والاستنان بسنته ، ومن لا يُرى كيف يُقتدى به؟ فلهذا صارت الإمامية متمسكين بالعدلية فى الأصول وبالمشبهة فى الصفات ، متحيرين تائهين ، وبين الإخبارية منهم والكلامية سفه وتكفير ، وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل .. أعاذنا الله من الحيرة .

ومن العجب أن القائلين بإمامة المنتظر - مع هذا الاختلاف العظيم - لا يستحيون فيدعون فيه أحكام الإلهية ويتأولون قوله تعالى : "**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة**"[٢] عليه ، قالوا : هو الإمام المنتظر الذى يرد إليه علم الساعة ويدعون فيه أنه لا يغيب عنا ويخبرنا بأحوالنا حين يُحاسب الخلق ، إلى تحكمات باردة وكلها عن العقول ردة .

لقد طفت تلك المعاهد كلها | وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر | على ذقن ، أو قارعاً سن نادم

* * *

٤- الغلاة

الغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق ، وهم على طرفى الغلو والتقصير ، وإنما نشأت

---

(١) يعجب الشهرستانى من مرور أكثر من ٢٥٠ عاما على غيبة الإمام الثانى عشر للشيعة وعدم ظهوره حتى عصره ، وقد مضت الآن (سنة ١٤٠٨هـ) على غيبته ما ينيف على الـ ١١٤٨ سنة ، ومع هذا لا يزالون ينتظرون رجوعه - فى سن الأربعين - ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا !!

(٢) التوبة : ١٠٥

شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام إلهية فى حق بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة ، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول وأبعد من التشبيه والحلول .

وبدع الغلاة محصورة فى أربع : التشبيه ، والبداء ، والرجعة ، والتناسخ .

ولهم ألقاب ، وبكل بلد لقلب ، يقال لهم بأصفهان : "الخرمية" و"الكودية" ، وبالرى "المزدكية" و"السنبارية" ، وبأذربيجان : "الذقولية" ، وبموضع المحمرة وبما وراء النهر : "المبيضة" .

• السبئية :

أصحاب عبد الله بن سبأ[1] الذى قال لعلىّ كرَّم الله وجهه : أنت أنت الإله ، فنفاه إلى المدائن وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم ، وكان فى

(١) عبد الله بن سبأ اليهودى : أول من دعا إلى تأليه علىّ كرَّم الله وجهه ، ونشر هذه الفتنة فى حياة علىّ نفسه ، ولم يكن يقصد من ذلك إلا الإساءة إلى الإسلام ، وقد نسبت إليه أموراً شيطانية هدامة ، فقد طوَّف فى الأمصار الإسلامية يمهد لدعوته الخبيثة فكان يُطرد حيناً ويوفق حيناً آخر ، ومن أهم تعاليمه الوصاية والرجعة ، فأما الوصاية : فهى أن لكل إمام وصىّ من قبله أى أن علياً وصى الرسول ، والحسن وصى علىّ ، والحسين وصى الحسن وهَكذا . وأما الرجعة : فهى أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيرجع ، ثم تحول بعد ذلك فقال إن علياً سيرجع ، وكان يقول حين قتل على : لو أتيتمونا بدماغه ألف مرة ما صدقنا موته ، ولا يموت من يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

واتخذ ابن سبأ من الوصاية ذريعة لتأليب المسلمين على عثمان ، فذكر لهم أن عثمان قد اغتصب الخلافة من علىّ بن أبى طالب ، وما فتئ يؤلب الناس على عثمان وينسب إليه من الأخطاء ما جعل حياته تنتهى بالشكل الذى انتهت به قتيلا يتلو كتاب الله . =

اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصىّ موسى مثل ما قال فى علىّ (كرّم الله وجهه) ، وهو أول من أظهر القول بالغرض بإمامة علىّ ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة ، وزعموا أن علياً حي لم يُقتل ، وفيه الجزء الإلهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذى يجئ من السحاب ؛ والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأنه سينزل بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علىّ (كرّم الله وجهه) واجتمعت عليه جماعة وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلهى فى الأئمة بعد علىّ .

• **الكاملية :**

أصحاب أبى كامل ، أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علىّ (كرّم الله وجهه) وطعن فى علىّ أيضاً بتركه طلب حقه ولم يعذره فى القعود . قال : وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق ، على أنه غلا فى حقه وكان يقول : الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص ، وذلك النور فى شخص يكون نبوة ، وفى شخص يكون إمامة وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة .. وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت .

والغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول ، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل أمة تلقوها من المجوس والمزدكية والهند

= ولم يقف الأمر بابن سبأ عند ذلك ، بل إمعاناً فى الكيد للعقيدة وضع علياً بن أبى طالب موضع الإله ، ولم يكن أمر الغالين الذين بذر فيهم ابن سبأ بذور الخبث والزيغ ليقف عند حد ، فقد ألهّوا أبناء علىّ : الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية ، ثم ألهّوا أبناءهم بعد ذلك ، وأدخلوا إلى الدين كثيرا من العادات الفارسية والمجوسية والبوذية ، فقالوا بتناسخ الأرواح ، وتحللوا من بعض أحكام الدين - إلى غير ذلك - غير أن كل ما أتوا به من بدع وانحرافات يتضاءل إلى جانب الإشراك بالله وتأليه علىّ وأبنائه (إسلام بلا مذاهب ، ص ١٦٦ ، ١٦٧) .

البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة . ومذهبهم أن الله تعالى قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان ، ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول . وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل ، أما الحلول بجزء فهو كإشراق الشمس فى كوة ، أو كإشراقها على البللور . . وأما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان .

ومراتب التناسخ أربعة : النسخ ، والمسخ ، والفسخ ، والرسخ[1] ، وأعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة ، وأسفل المراتب الشيطانية والجنية... وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهرا من غير تفصيل مذهبهم .

• العليائية :

أصحاب العليا بن ذراع الدوسى ، وقال قوم : هو الأسدى ، وكان يُفضّل علـياً على النبى صلى الله عليه وسلم ، وزعم أنه الذى بعث محمداً ، وسماه إلهاً ، وكان يقول بذم محمد ، وزعم أنه بُعث ليدعو إلى علىّ فدعا إلى نفسه ، ويسمون هذه الفرقة "الذمية" ومنهم من قال بآلهيتهما جميعا ويقدمون علياً فى أحكام الإلهية ويسمونهم "العينية" ومنهم من قال بآلهيتهما جميعا ويقدمون محمداً فى الإلهية ويسمونهم "الميمية" ، ومنهم من قال بإلهية خمسة أشخاص أصحاب الكساء : محمد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا : خمستهم شئ واحد والروح حالة فيهم بالسوية ، لا فضل لواحد على الآخر. .وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا : فاطم ، وفى ذلك يقول بعض شعرائهم :

توليت بعد الله فى الدين خمسة   نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطماً

---

(١) يقول مذهب التناسخ : إن الأرواح تتناسخ فى الأجساد وتنتقل من شخص إلى شخص ، وما يلقى من الراحة والتعب ، والدعة والنصب فمرتب على ما أسلفه قبل ، وهو فى بدن آخر جزاء على ذلك ، والإنسان - عندهم - أبدا فى أحد أمرين ، إما فى فعل وإما فى جزاء وهو ما فيه ، فإما مكافأة على عمل قدّمه وإما عمل ينتظر المكافأة عليه ، والجنة والنار فى هذه الأبدان ، وأعلى عليين درجة الملائكية أو النبوة ، وأسفل السافلين دركة الشياطين والجن ، فلا وجود أعلى من درجة الرسالة ، ولا وجود أسفل من درجة الشياطين .

• المغيرية :

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى ، ادعى أن الإمام بعد محمد بن علىّ ابن الحسين : محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة[١] ، وزعم أنه حى لم يمت[٢] . وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، وادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ، وبعد ذلك ادعى النبوة وغلا فى حق علىّ (كرّم الله وجهه) غلواً لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، فقال : إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب ينبع منه الحكمة . . .

(١) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ - المعروف بمحمد النفس الزكية - وكان قد استولى على مكة والمدينة أيام فى مستهل الدولة العباسية ، كما استولى أخوه إبراهيم على البصرة وما جاورها ، واستولى أخوهما الثالث إدريس على جزء من بلاد المغرب . .فأرسل أبو جعفر المنصور - الملك العباسى - إلى محمد النفس الزكية ، جيشاً كثيفاً والتحم الجيشان بالمدينة فى معركة كبيرة قُتل فيها محمد النفس الزكية ، ثم ثنى المنصور بجيش آخر أنفذه إلى العراق حتى التحم مع جيش إبراهيم فى معركة عرفت باسم "باب خمرين" أو "باخمرا " قُتل فيها إبراهيم .

وقال أنصار محمد النفس الزكية بإمامته بعد موت محمد الباقر مستندين إلى حديث نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى المهدى : "إن اسمه يُوافق اسمى واسم أبيه اسم أبى" . فلما قُـتل فى المعركة السالفة الذكر زعموا أنه لم يُقتل ولم يمت وأنه في جبل "حاجر" من ناحية نجد مقيم هناك إلى أن يُؤمر بالخروج ويملك الأرض وتُعقد له البيعة بمكة بين الركن والمقام (إسلام بلا مذاهب ، ص ١٧٨ ، ١٧٩) .

(٢) يزعم أنصار النفس الزكية أن الذى قتلته جيوش المنصور لم يكن النفس الزكية نفسه ، وإنما هو شيطان تمثل فى صورته .

وقد رد بعض رجال السنة عليهم قائلين لهم : إن أجزتم أن يكون المقتول بالمدينة غير محمد النفس الزكية وأجزتم أن يكون المقتول هنا شيطانا تصور فى صورته ، فأجيزوا بأن يكون المقتولون بكربلاء غير الحسين وأصحابه وإنما كانوا شياطين تصوروا للناس بصور الحسين وأصحابه ، وانتظروا حسيناً كما انتظرتم محمداً النفس الزكية ، وانتظروا علياً كما انتظرته السبئية منكم الذين زعموا أنه فى السحاب والذى قتله عبد الرحمن بن ملجم كان شيطانا تصور بصورة علىّ للناس (إسلام بلا مذاهب ، ص١٧٩) .

وزعم أن الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجاً ، قال : وذلك قوله : **"سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى"**(١) ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه ، فغضب من المعاصى فعرق فاجتمع من عرقه بحران ، أحدهما مالح والآخر عذب ، والمالح مظلم والعذب نيِّر ، فاطلع فى البحر النيِّر فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر ، وأفنى باقى ظله وقال : لا ينبغى أن يكون معى إله غيرى .

قال : ثم خلق الخلق كله من البحرين ، فخلق المؤمنين من البحر النيِّر ، والكفار من البحر المظلم ، وخلق ظلال الناس .

وأول ما خلق هو ظل محمد وعلىّ قبل ظلال الكل ، ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهى أن يمنعن علىّ بن أبى طالب من الإمامة فأبين ذلك ، ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل منعه من ذلك ، وضمن أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده ، فقبل منه وأقدما على المنع متظاهرين ، فذلك قوله : **"وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا"**(٢) .

وزعم أنه نزل فى عمر قوله تعالى : **" كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك "** (٣) .

ولما أن قُتلَ المغيرة ، اختلف أصحابه ، فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد ، كما كان يقول هو بانتظاره ، وقد قال المغيرة لأصحابه : انتظروه ، فإنه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام .

---

(١) الأعلى : ١ ، ٢ .
(٢) الأحزاب : ٧٢ .
(٣) الحشر : ١٦ .

• **المنصورية :**

أصحاب أبى منصور العجلى ، وهو الذى عزا نفسه بين أبى جعفر محمد بن على الباقر فى الأول ، فلما تبرأ عنه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه ، ولما توفى الباقر قال : انتقلت الإمامة إلىّ ، وتظاهر بذلك وخرج جماعة منهم بالكوفة فى بنى كندة حتى وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته ، فأخذه وصلبه .

زعم العجلى أن علياً (كرّم الله وجهه) هو الكسف الساقط من السماء ، وربما قال : الكسف الساقط من السماء هو الله عز وجل !!

وزعم حين ادعى الإمامة لنفسه أنه عُرِج به إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له : يا بنى انزل فبلّغ عنى ، ثم أهبطه إلى الأرض ، فهو الكسف الساقط من السماء !!

وزعم أيضاً أن الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع !!

وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت ، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام !!

وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمر الله تعالى بمعاداتهم ، وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم !!

واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم ، وهم صنف من الخرمية ، وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع عنه الخطاب أو وصل إلى الجنة وبلغ إلى الكمال .

ومما أبدعه العجلى أن قال : أول ما خلق الله هو عيسى ابن مريم ثم علىّ بن أبى طالب !!

• **الخطابية :**

أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري عنه واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه ، وزعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بإلهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه ، وهم أبناء الله وأحباؤه ، والإلهية نور في النبوة ، والنبوة نور في الإمامة ، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار .

وزعم أن جعفراً هو الإله في زمانه ، وليس هو المحسوس الذي يرونه ، ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها !!

ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة ، وافترقت الخطابية بعده فرقاً ، فزعمت فرقة أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له "معمر" ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب .

وزعموا أن الدنيا لا تفنى ، وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية .

واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ، ودانوا بترك الصلاة والفرائض ، وتسمى هذه الفرقة "معمرية" .

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب "يزيغ" ، وكان يزعم أن جعفراً هو الإله ، أي ظهر بصورته للخلق ، وزعم أن كل مؤمن يُوحى إليه ، وتأول قول الله تعالى : **"وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله"**(١) : أي بوحي من الله إليه ، وكذلك قوله تعالى : **"وأوحى ربك إلى النحل"**(٢) .

---

(١) آل عمران : ١٤٥ .   (٢) النحل : ٦٨ .

وزعم أن فى أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل ، وزعم أن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات ، لكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل : رفع إلى الملكوت . وادعوا كلهم معاينة أمواتهم وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشياً ، وتسمى هذه الطائفة "اليزيغية" .

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبى الخطاب "عمير بن بنان العجلى" وقالوا كما قالت الطائفة الأولى إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون ، وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة . يجتمعون فيها على عبادة الصادق ، فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميراً فصلبه فى كناسة الكوفة ، وتسمى هذه الطائفة "العجلية" .

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبى الخطاب "مفضل الصيرفى" وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته .

وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق وطردهم ولعنهم ، فإن القوم كلهم حيارى جاهلون ، بحال الأئمة تائهون .

• الكيالية :

أتباع أحمد بن الكيال ، وكان من دعاة واحد من أهل البيت بعد جعفر ابن محمد الصادق ، وأظنه من الأئمة المستورين ، ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برأيه الفائل وفكره العاطل ، وأبدع مقالة فى كل باب علمى على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة ، وربما عاند الحسن فى بعض المواضع ، ولما وقفوا على بدعته تبرأوا منه ولعنوه ، وأمروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ، ولما عرف الكيال ذلك صرف الدعوة إلى نفسه وادعى الإمامة أولا ، ثم ادعى أنه القائم ثانياً .

وكان من مذهبه أن كل من قدر الآفاق على الأنفس وأمكنه أن يبين مناهج العالمين - أعنى عالم الآفاق وهو العالم العلوى ، وعالم الأنفس وهو العالم السفلى ، كان هو الإمام ، وأن من قدر الكل فى ذاته ، وأمكنه أن يبين كل كلى فى شخصه المعين الجزئى ، كان هو القائم ،

قال : ولم يوجد فى زمن من الأزمان أحد يقدر هذا التقدير إلا أحمد الكيال ، فكان هو القائم ، وإنما قبله من انتمى إليه أولا على بدعته ، ذلك أنه الإمام ثم القائم ، وبقيت من مقالته فى العالم تصانيف عربية وعجمية كلها مزخرفة مردودة شرعا وعقلا :

قال الكيال : العوالم ثلاثة : العالم الأعلى ، والعالم الأدنى ، والعالم الإنسانى ، وأثبت فى العالم الأعلى خمسة أماكن : الأول مكان الأماكن وهو مكان فارغ لا يسكنه موجود ولا يدبره روحاني وهو محيط بالكل .

قال : والعرش الوارد فى الشرع عبارة عنه ، ودونه مكان النفس الأعلى ، ودونه مكان النفس الناطقة ، ودونه مكان النفس الحيوانية ، ودونه مكان النفس الإنسانية .

قال : وأرادت النفس الإنسانية الصعود إلى عالم النفس الأعلى فصعدت وخرقت المكانين - أعنى الحيوانية والناطقية - فلما قربت من الوصول إلي عالم النفس الأعلى كلت وانحسرت وتحيرت وتعفنت واستحالت أجزاؤها ، فأهبطت إلى العالم السفلى ومضت عليها أكوار وأدوار وهى فى تلك الحالة من العفونة والاستحالة ، ثم ساحت عليها النفس الأعلى وأفاضت عليها من أنوارها جزء التراكيب فى هذا العالم ، فحدثت وحدثت السموات والأرض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان ، ووقعت فى بلايا هذا التركيب تارة سروراً وتارة غماً ، وتارة فرحاً وتارة ترحاً ، وطوراً سلامة وعافية ، وطوراً بلية ومحنة ، حتى يظهرالقائم ويردها إلى حال الكمال وتنحل التراكيب وتبطل المتضادات ويظهر الروحانى على الجسمانى وما ذلك القائم إلا أحمد الكيال .

ثم دل على تعيين ذاته بأضعف ما يتصور وأوهى ما يقدر ، وهو أن اسم أحمد مطابق للعوالم الأربعة ، فالألف من اسمه فى مقابلة النفس الأعلى ، والحاء فى مقابلة النفس الناطقة ، والميم فى مقابلة النفس الحيوانية ، والدال فى مقابلة النفس الإنسانية . قال : فالعوالم الأربعة هى المبادئ والبسائط ، وأما مكان الأماكن فلا وجود فيه البتة .

ثم أثبت فى مقابلة العوالم العلوية العالم السفلى الجسمانى . قال : فالسماء خالية وهى فى مقابلة مكان الأماكن ، ودونها النار ودونها الهواء ودونها الأرض ودونها الماء ، وهذه الأربعة فى مقابلة العوالم الأربعة .

ثم قال : الإنسان فى مقابلة النار ، والطائر فى مقابلة الهواء ، والحيوان فى مقابلة الأرض ، والحوت فى مقابلة الماء ، فجعل مركز الماء أسفل المراكز ، والحوت أخس المركبات .

ثم قابل العالم الإنسانى الذى هو أحد الثلاثة وهو عالم الأنفس مع آفاق العالمين الأولين الروحانى والجسمانى .

قال : الحواس المركبة فيه خمس ، فالسمع فى مقابلة مكان الأماكن إذ هو فارغ ، وفى مقابلة السماء والبصر فى مقابلة النفس الأعلى من الروحانى ، وفى مقابلة النار من الجسمانى وفيه إنسان العين ، لأن الإنسان مختص بالنار . والشم فى مقابلة الناطق من الروحانى والهواء من الجسمانى ، لأن الشم من الهواء يتروح ويتنسم ، والذوق فى مقابلة الحيوانى من الروحانى والأرض من الجسمانى، والحيوان مختص بالأرض والطعم بالحيوان ، واللمس في مقابلة الإنساني من الروحانى والماء من الجسمانى ، والحوت مختص بالماء واللمس بالحوت ، وربما عبر عن اللمس بالكناية .

ثم قال : "أحمد : ألف وحاء وميم ودال ، وهو فى مقابلة العالمين ، أما فى مقابلة العالم العلوى الروحانى فقد ذكرنا ، وأما فى مقابلة العالم السفلى الجسمانى ، فالألف يدل على الإنسان ، والحاء على الحيوان ، والميم على الطائر ، والدال على الحوت ، فالألف من حيث استقامة القامة كالإنسان ، والحاء كالحيوان لأنه معوج منكوس ولأن الحاء من ابتداء اسم الحيوان ، والميم يشبه رأس الطير ، والدال يشبه ذنب الحوت .

ثم قال : "إن البارى تعالى إنما خلق الإنسان على شكل اسم أحمد ، فالقامة مثل الألف ، واليدان مثل الحاء ، والبطن مثل الميم ، والرجلان مثل الدال" .

ثم من العجب أنه قال : الأنبياء هم قادة أهل التقليد ، وأهل التقليد عميان ، والقائم قائد أهل البصيرة ، وأهل البصيرة أولوا الألباب ، وإنما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس ، والمقابلة كما سمعتها من أخس المقالات وأوهى المقابلات ، بحيث لا يستجيز عاقل أن يسمعها فكيف يرضى أن يعتقدها .

وأعجب من هذا كله تأويلاته الفاسدة ومقابلاته بين الفرائض الشرعية والأحكام الدينية وبين موجودات عالمي الآفاق والأنفس ، وادعاؤه أنه متفرد بها ، وكيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من أهل العلم بتقرير ذلك ، لا على الوجه المزيف الذى قرره الكيال ، وحمله الميزان على العالمين ، والصراط على نفسه ، والجنة على الوصول إلى علمه من البصائر ، والنار على الوصول إلى مايضاده .. ولما كانت أصول علمه ما ذكرناه ، فانظر كيف يكون حال الفروع .

* الهشامية :

أصحاب الهشامين : هشام بن الحكم[1] صاحب المقالة فى التشبيه ، وهشام بن سالم الجواليقى الذى نسج على منواله فى التشبيه ، وكان هشام ابن الحكم من متكلمى الشيعة وجرت بينه وبين أبى الهذيل مناظرات فى علم الكلام منها فى التشبيه ، ومنها فى تعلق علم البارى تعالى .

حكى ابن الراوندى عن هشام أنه قال : إن بين معبوده وبين الأجسام

(١) هشام بن الحكم : (ت.١٩٠هـ) ، كوفى من كبار أصحاب الإمام جعفر الصادق ، برع فى المناظرة والجدل وتقدم بذلك وهو شاب على شيوخ الشيعة ، وهو من أوائل المؤلفين فى الإسلام ، له كتاب "الألفاظ" فى أصول الفقه .

تشابهاً ما بوجه من الوجوه ، ولولا ذاك لما دلت عليه . حكى الكعبى عنه أنه قال : هو جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار ، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شئ . وقيل عنه إنه قال : هو سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة ، وأنه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان إلى مكان . وقال : هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة .

وحكى عنه أبوعيسى الوراق أنه قال : إن الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شئ من العرش ولا يفضل عن العرش شئ منه .

ومن مذهب هشام : أنه لم يزل عالماً بنفسه ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه : محدث أو قديم ، لأنه صفة والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو أو غيره أو بعضه ، وليس قوله فى القدرة والحياة كقوله فى العلم ، لأنه لا يقول بحدوثهما ، قال : ويريد الأشياء وإرادته حركة ليست غير الله ولا هى عينه .

وقال فى كلام البارى تعالى : إنه صفة لله تعالى ، لا يجوز أن يقال هو مخلوق ولا غير مخلوق .

وقال : الأعراض لا تصلح دلالة على الله تعالى ، لأن منها ما يثبت استدلالا ، وما يستدل به على البارى تعالى يجب أن يكون ضرورى الوجود .

وقال : الاستطاعة كل ما لا يكون الفعل إلا به كالآلات والجوارح والوقث والمكان .

وقال هشام بن سالم : إنه تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوّف وأسفله مصمّت ، وهو نور ساطع يتلألأ ، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم .

وقال هشام : الاستطاعة بعض المستطيع ، وقد نقل عنه أنه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة ، ويفرق بينهما بأن النبى يوحى إليه فينبه على وجه الخطأ فيتوب منه ، والإمام لا يوحى إليه فيجب عصمته .

وغلا هشام بن الحكم فى حق علىّ حتى قال إنه إله واجب الطاعة ، وهذا هشام بن الحكم صاحب غور فى الأصول لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة ، فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه ، وذلك أنه ألزم العلاف فقال : إنك تقول : البارى عالم بعلمه وعلمه ذاته ، فيشارك المحدثات فى أنه عالم بعلم ، ويباينها فى أن علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين ، فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالأقدار؟ .. إلى غير ذلك .

ووافقه ذرارة بن أعين فى حدوث علم الله تعالى ، وزاد عليه بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته ، وأنه لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالماً ولا قادرا ولا حياً ولا سميعاً ولا بصيراً ولامريداً ولا متكلماً .

وكان يقول بإمامة عبد الله بن جعفر ، فلما فاوضه فى مسائل ولم يجده بها مليًا رجع إلى موسى بن جعفر . وقيل أيضاً : إنه لم يقل بإمامته ، إلا أنه أشار إلى المصحف فقال : هذا إمامى ، وأنه كان قد التوى على جعفر بعض الالتواء . وحكى عن الزرارية ، أن المعرفة ضرورية ، وأنه لا يسع جهل الأئمة ، فإن معارفهم كلها ضرورية وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهم عندهم أولى ضرورى ، ونظرياتهم لا يدركها غيرهم .

• النعمانية :

أصحاب محمد بن النعمان أبى جعفر الأحول ، الملقب بشيطان الطاق ، والشيعة تقول : هو مؤمن الطاق . وافق هشام بن الحكم فى أن الله تعالى لا يعلم شيئا حتى يكون ، والتقدير عنده الإرادة ، والإرادة فعله تعالى .

وقال : إن الله تعالى نور على صورة إنسان ، ويأبى أن يكون جسماً ، لكنه قال : قد ورد فى الخبر أن الله قد خلق آدم على صورته ، وعلى صورة الرحمن ، فلا بد من تصديق الخبر .

ويحكى عن مقاتل بن سليمان مثل مقالته فى الصورة ، وكذلك يحكى عن داوود الجواربى رنعيم بن حماد المصرى وغيرهما من أصحاب الحديث ، أنه الله تعالى ذو صورة وأعضاء .

ويحكى عن داوود أنه قال : اعفونى عن الفرج واللحية ، واسألونى عما وراء ذلك فإن فى الأخبار ما يثبت ذلك .

وقد صنف ابن النعمان كتباً جمة للشيعة منها : أفعل لم فعلت .. ومنها : أفعل لا تفعل ، ويذكر فيها أن كبار الفرق أربعة : القدرية ، والخوارج ، والعامة ، والشيعة . ثم عين الشيعة بالنجاة فى الآخرة من هذه الفرق .

وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن النعمان أنهما أمسكا عن الكلام فى الله ، ورويا عمن يوجبان تصديقه أنه سئل عن قول الله : **"وأن إلى ربك المنتهى"**[1] ؟ قال : إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا ، فأمسكا عن القول فى الله والتفكر فيه حتى ماتا ، هذا نقل الوراق .

• اليونسية :

أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين ، زعم أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب تعالى ، إذ قد ورد فى الخبر : أن الملائكة تئط أحياناً من وطأة عظمة الله تعالى على العرش ، وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتباً فى ذلك .

---

(١) النجم : ٤٢

• النصيرية والإسحاقية[1] :

من غلاة الشيعة ، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم ، وبينهم خلاف فى كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت ، قالوا : ظهور الروحانى بالجسد الجسمانى أمر لا ينكره عاقل ، إما فى جانب الخير كظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابى ، والتمثل بصورة البشر ، وإما فى جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الإنسان حتى يعمل الشر بصورته ، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه ، فلذلك نقول : إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من علىّ عليه السلام ، وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية ، فظهر الحق بصورتهم ونطق بألسنتهم وأخذ بأيديهم ، فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم ، وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلىّ دون غيره ، لأنه كان مخصوصاً بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الأسرار ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : "أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر" ، وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقتال المنافقين إلى علىّ ، وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم وقال : "لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا فى عيسى ابن مريم وإلا قلت فيك مقالاً" ، وربما أثبتوا له شركة فى الرسالة إذ قال : "فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله ، ألا وهو خاصف النعل" فعلم التأويل ، وقتال المنافقين ، ومكالمة الجن ، وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية ، من أدل الدليل على أن علىّ فيه جزء إلهى وقوة ربانية ، أو يكون هو الذى أظهر الإله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه ، وعن هذا قالوا : كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض ، قال : كنا أظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ، فتلك الظلال وتلك الصورة العرية عن الاظلال هى حقيقة وهى مشرقة بنور

---

(١) النصيرية (أو العلويون) : طائفة تقطن جبل العلويين وشمالى سوريا (سهول حمص وحماة وحلب) ، دعوا كذلك نسبة إلى محمد بنُ نصير مؤسس الطائفة أو راعيها (ت.٢٦٠هـ) .

الرب تعالى إشراقًا لاينفصل عنها سواء أكانت فى هذا العالم أو فى ذلك العالم ، وعن هذا قال : أنا من أحمد كالضوء من الضوء ، يعنى لا فرق بين النورين إلا أن أحدهما أسبق والثانى لاحق به . قال له : وهذا يدل على نوع شركة ، فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهى ، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة فى النبوة ، ولهم اختلافات أخر لم نذكرها .

وقد نجزت الفرق الإسلامية وما بقت إلا فرقة الباطنية ، وقد أوردهم أصحاب التصانيف فى كتب المقالات ، إما خارجة عن الفرق وإما داخلة فيها.. وبالجملة هم قوم يخالفون اثنتين وسبعين فرقة .

• رجال الشيعة ومصنفو كتبهم :

من الزيدية : أبو خالد الواسطى ، ومنصور بن الأسود ، وهارون بن سعيد العجلى ، ووكيع بن الجراح ، ويحيى بن آدم ، وعبد الله بن موسى ، وعلى بن صالح ، والفضل بن دكين من الجارودية ، وأبو حنيفة بترية ، وخرج محمد بن عجلان مع الإمام ، وخرج إبراهيم بن عباد بن عوام ، ويزيد بن هارون ، والعلاء بن راشد ، وهشيم بن بشر ، والعوام بن حوشب ، ومسلم بن سعيد مع إبراهيم الإمام .

ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة : سالم بن أبى الجعد ، وسالم بن أبى حفصة ، وسلمة بن كميل ، وتوبة بن أبى فاختة ، وحبيب بن أبى ثابت أبو المقدام ، وشعبة ، والأعمش ، وجابر الجعفى ، وأبو عبد الله الجدلى ، وأبو إسحاق السبيعى ، والمغيرة ، وطاووس ، والشعبى ، وعلقمة ، وهبيرة بن بريم ، وحبة الغرنى ، والحارث الأعور .

ومن مؤلفى كتبهم : هشام بن الحكم ، وعلى بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن ، وشكال ، والفضل بن شاذان ، والحسين بن اشكاب ، ومحمد بن عبد الرحمن بن رقية ، وأبوسهل النوبختى ، وأحمد بن يحيى الراوندى ، ومن المتأخرين : أبو جعفر الطوسى .

* * *

٥- الإسماعيلية(١)

ذكرنا أن الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الإثنا عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء

(١) الإسماعيليون : هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه ، ولم يختلفوا عن بقية المذاهب الإسلامية إلا بهذا القول حتى خلافة المستنصر الفاطمى ، فلما تولى الخلافة بعده ابنه أحمد المستعلى انشق عن خلافته فريق من الإسماعيليين بزعامة الحسن بن الصباح ، وبايعوا لأخيه نزار ، وبعد أن فشلت ثورتهم فى الإسكندرية ، انتقل الحسن بن الصباح إلى قلعة "الموت" ، وعندما أعلن الحسن بن محمد زعيم النزاريين (عام ٥٥٨هـ) إلغاء الشعائر الدينية والامتناع عن إقامة الفرائض ، أصبح النزاريون (أو الحشاشون) مغايرين لأصحاب المذهب الإسماعيلي الفاطمى ، فى حين ظلوا يحملون اسم الإسماعيلية حتى الآن ، وهم أتباع أغاخان ، أما الآخرون فهم المعروفون اليوم باسم البهرة أو السبعية .

وتسميتهم "الحشاشون" مأخوذة من الكلمة الأفرنجية (Assassins) وهى بمعنى "فاتك" أطلقها عليهم الصليبيون لاشتهارهم بالاغتيال ، ويبدأ تاريخهم باحتلال "الموت" (عام ٤٨٣هـ) على يد الحسن الصباح ، واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم للوزير السلجوقى نظام الملك (عام ٤٨٥هـ) ، وعمل السلاجقة على إخضاعهم عبثا ، فاستولوا علي قلاع مصياف ، وعليقة وقدموس (عام ٥٣٦ هـ) ، عرف رئيسهم بـ"شيخ الجبل" ، وقد قضى عليهم المغول (٦٥٤ - ٦٥٩هـ) ووجه إليهم بيبرس الضربة القاتلة (عام ٦٧١هـ).

والسبعية : اسم يطلق على الإسماعيلية المستعلية ، لأنهم انفصلوا عن الشيعة ابتداء من الإمام السابع ، وهم المعروفون اليوم باسم "البهرة" وعلى هذا الرأى كان الخلفاء الفاطميون .

والدعوة عند الإسماعيلية على درجات ، لكل درجة اسم خاص بمن يشغلها.. فهناك الناطق والأساس والحجة ، فالناطق يبلغ الكلام المنزل ، والأساس يئوله ، والحجة يثبت صدق رسالة الأساس .

فالنبى محمد صلى الله عليه وسلم عندهم ناطق ، وعليّ بن أبى طالب (كرّم الله وجهه) أساس .

وتقوم فلسفتهم علي اعتبار العقل الكلى مجمع صفات الله ، وتنال السعادة بالعلم ولاينال العلم إلا بحلول العقل الكلى فى الأئمة بعد الناطق . ويلاحظ أن نظرية الفيض تلعب دوراً هاماً ، ولهم كتب كثيرة ما يزال أغلبها مخطوطاً . ويوجد الإسماعيليون الآن فى إيران وأواسط آسيا وأفغانستان والهند وعمان والشام وزنجبار وتنزانيا .

الأمر ، قالوا : ولم يتزوج الصادق على أمه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله فى حق خديجة وكسنة علىّ فى حق فاطمة .

وذكرنا إختلافهم فى موته فى حال حياة أبيه ، فمنهم من قال : إنه مات ، وإنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة ، كما نص موسى إلى هارون عليهما السلام ثم مات هارون فى حال حياة أخيه ، وإنما فائدة النص إنتقال الإمامة منه إلى أولاده ، فإن النص لا يرجع قهقرى ، والقول بالبداء محال ، ولا ينص الإمام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه ، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة .

ومنهم من قال : إنه لم يمت ، لكن أظهر موته تقّية عليه ، حتى لا يُقصد بالقتل ، ولهذا القول دلالات ، منها أن محمداً كان صغيراً وهو أخوه لأمه مضى إلى السرير الذى كان إسماعيل نائما عليه ورفع الملأة فأبصره وهو قد فتح عينه ، وعدا إلى أبيه مفزعاً وقال : عاش أخى ، عاش أخى ، قال والده : إن أولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة . قالوا : وما السبب فى الاستشهاد على موته وكتب المحضر عليه ، ولم يعهد ميتاً سجل على موته؟!

وعن هذا ، لما رفع إلى المنصور أن إسماعيل بن جعفر مر بالبصرة على مقعد فدعا فبرئ بإذن الله ، بعث المنصور إلى الصادق أن إسماعيل فى الأحياء ، وأنه رؤى بالبصرة ، فأنفذ السجل إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة .

قالوا : وبعد إسماعيل ، محمد ، ابن إسماعيل السابع التام ، وإنما تم دور السبعة به ، ثم ابتدأ بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون فى البلاد ويظهرون الدعاة جهراً .

قالوا : ولن تخلو الأرض قط من إمام حى قاهر ، إما ظاهر مكشوف ، وإما باطن مستور . فإذا كان الإمام ظاهراً يجوز أن يكون حجته مستورة ، وإذا كان الإمام مستوراً فلابد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين .

وقالوا : إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة ، كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع .

والنقباء تدور أحكامهم على اثنى عشر ، قالوا : وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة .

ثم بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدى والقائم بأمر الله وأولادهم نصاً بعد نص على إمام بعد إمام ، ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية ، وكانت لهم دعوة فى كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان ، فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة .

وأشهر ألقابهم "الباطنية" وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم .

فبالعراق : يسمون الباطنية[1] ، والقرامطة[2] ، والمزدكية .

---

(١) الباطنية : فرق إسماعيلية تقول بالوحدانية ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكنهم فى نفس الوقت يقولون أن لكل ظاهر باطنا ، وأن لكل تنزيل تأويلا ، تأويلا ظاهرا وتأويلا باطنا ، فالتأويل الظاهر للإيمان وللقرآن يتفق إلى حد كبير مع التشريعات السنية ، ولعلهم قد عمدوا إلى هذه التأويلات الظاهرية لكى يردوا على أهل السنة ممن رموهم بالزيغ والكفر ، وقد جعلوا من شروط الإيمان أن يؤمن الإسماعيلى بالظاهر والباطن معا ، والإيمان بواحد منهما دون الآخر يعتبر خروجا على المذهب وكفرا (إسلام بلا مذاهب ص ٢٣٥) .

(٢) القرامطة : أصحاب دعوة ، كانوا يدينون بمذهب الإسماعيلية ، اتخذوا الدعوة إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أغراضهم ، وعرفوا بذلك نسبة إلى أحد دعاتهم ، حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط ، انتشرت دعوتهم باليمن حين بعث الإمام الإسماعيلى ، الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، اثنين من الدعاة إلى اليمن هما على بن الفضل الحميرى اليمنى الأصل ، ومنصور بن حسن الكوفى ، للدعوة له ، ونجح على بن الفضل نجاحا كبيرا فى نشر الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ، أما منصور بن حسن فتغلب على جزء من بلاد اليمن ، وجعل مركز دعوته فى "مسور" .

وبخراسان : التعليمية ، والملحدة ..

وهم يقولون : نحن إسماعيلية ،لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص .. ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج .. فقالوا فى البارى تعالى : إنا لا نقول هو موجود ولا لاموجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك فى جميع الصفات ، فإن الإثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهة التى أطلقنا عليه ، وذلك تشبيه ، فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفى المطلق ، بل هو إله المتقابلين والحاكم بين المتضادين .

ويقولون فى هذا أيضاً عن محمد بن على الباقر أنه قال : لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر ، فهو عالم وقادر بمعنى أنه وهب العلم والقدرة ، لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة ، أو وصف بالعلم والقدرة .

فقيل فيهم : إنهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن جميع الصفات .

قالوا : وكذلك نقول فى القدم إنه ليس بقديم ولا محدث ، بل القديم أمره وكلمته ، والمحدث خلقه وفطرته ، أبدع بالأمر العقل الأول الذى هو تام بالفعل ، ثم بتوسطه أبدع النفس الثانى الذى هو غير تام ، ونسبة النفس إلى العقل إما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة . والبيض إلى الطير ، وإما نسبة الولد إلى الوالد والنتيجة إلى المنتج ، وإما نسبة الأنثى إلى الذكر والزوج إلى الزوج[١] .

(١) وبهذا ينكرون صفات الله أو يكادون ، ويعللون ذلك بأن الله تعالى فوق متناول العقل ، ومن أجل ذلك يقولون : لا نقول موجود ولا نقول غير موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وعلى ذلك فلا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفى المطلق ، بل هو إله المتقابلين ، وخالق المتخاصمين ، والحاكم بين المتضادين ، وليس هو بالقديم ، كما أنه ليس بالمحدث ، فالقديم أمره وكلمته ، وبالحديث خلقه وفطرته .

قالوا : ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال ، واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة ، فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس ، وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامت بتدبير النفس أيضاً فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان ، واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان[1] .

وكان نوع الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار ، وكان عالمه فى مقابلة العالم كله .

---

(١) هنا يقول الإسماعيليون : إن الله تعالى لم يخلق العالم خلقاً مباشراً ، بل أبدع العقل الكلى بعمل من أعمال الإرادة ، والعقل الكلى محل لجميع الصفات الإلهية ، وفى نظرهم الإله ممثلا فى مظاهره الخارجية ، ويعللون هذه الفلسفة فيقولون : لما كانت الصلاة لا يمكن أن تُؤدى لكائن لا يُدرك ، فهى تؤدى – فى رأيهم – لمظهره الخارجى وهو العقل الذى أصبح تبعاً لذلك الإله الحقيقى من وجهة نظرهم ، ولما كان الإنسان غير قادر على معرفة ذات الله وإنما يعرف العقل وحده ، فإنهم يسمون العقل "الحجاب" أو "المحل" أو "الصلة" ، ولبلوغ السعادة عندهم ينبغى على الإنسان تحصيل العلم ، ولا يمكن تحصيل السعادة التى هى العلم إلا بحلول العقل الكلى فى إنسان هو النبى ، وفى الأئمة الذين يخلفونه ، والعقل الحال يسمى"ناطقا" ، والنفس الحالة تسمى "أساسا" ، والناطق هو النبى الذى يبلغ الكلام المنزل ، والأساس هو الإمام الذى يفسره معتمدا على التأويل ، ولذلك يقولون إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو "الناطق" وعلياً كرمّ الله وجهه هو الأساس .

فالخالق إذن – عندهم – تبعا لهذا الاعتقاد هو العقل الكلى والنفس الكلية ، وبمعنى آخر أن ما يقوله جمهور المسلمين عن الله تعالى خلعه الإسماعيليون على العقل الكلى الذى هو الإله عندهم ، وهم لم يذهبوا هذا المذهب فى التعريف بالله ولم يركبوا هذا المركب الصعب عبثاً ، بل عمدوا إلى ذلك لإسباغ صفة خاصة على الإمام الذى قالوا إنه من البشر ، فقالوا إن العقل الكلى فى العالم العلوى ، يقابله الإمام فى العالم الجسمانى ، وانتهوا من ذلك إلى أن جميع الأسماء والصفات التى خلعت على العقل الكلى هى أيضاً أسماء وصفات خلعت على الإمام ، لأن الإمام مثل للعقل الكلى ، فأسماء الله تعالى جميعاً هى أسماء للإمام . (إسلام بلا مذاهب ص ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

وفى العالم العلوى عقل ونفس كلى ، وجب أن يكون فى هذا العالم عقل شخصى هو كل ، وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ، ويسمونه الناطق وهو النبى ، ونفس مشخصه هو كل أيضاً وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه إلى الكمال ، أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام ، أو حكم المزدوج الذكر ، ويسمونه الأساس وهو الوصى .

قالوا : ولما تحركت الأفلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع ، كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبى ، والوصى فى كل زمان دائراً على سبعة سبعة حتى ينتهى إلى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع .

وإنما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس إلى حال كمالها ، وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها ووصولها إلى مرتبة فعلا ، وذلك هو القيامة الكبرى ، فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات ، وتنشق السماء وتتناثر الكواكب وتبدل الأرض غير الأرض ، وتطوى السموات كطى السجل للكتاب المرقوم فيه ، ويحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصى ، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلى ، وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل ، فمن وقت الحركة إلى السكون هو المبتدأ ، ومن وقت السكون إلى مالا نهاية له هو الكمال .

ثم قالوا : ما من فريضة وسنة وحكم من أحكام الشرع ، من بيع وإجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية ، إلا وله وزان من العالم عددا فى مقابلة عدد ، وحكماً فى مقابلة حكم ، فإن الشرائع عوالم روحانية أمرية ، والعوالم شرائع جسمانية خلقية .

وكذلك التركيبات فى الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والأجسام ، والحروف المفردة نسبتها إلى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة إلى المركبات من الأجسام ، ولكل حرف وزان فى العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية فى النفوس ، فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان ، وقد قدر الله تعالى أن يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه .

فعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر أعداد الكلمات والآيات ، وأن التسمية مركبة من سبعة واثنى عشر ، وأن التهليل مركب من أربع كلمات فى إحدى الشهادتين وثلاث كلمات فى الشهادة الثانية ، وسبع قطع فى الأولى وست فى الثانية واثنا عشر حرفاً فى الثانية . وكذلك فى كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه إلا ويعجز عن ذلك خوفاً عن مقابلته بضده .

وهذه المقابلات كانت طريقة أسلافهم ، قد صنَّفوا فيها كتباً ، ودعوا الناس إلى إمام فى كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ويهتدى إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم .

ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح[1] دعوته ، وقصر عن الإلزامات كلمته ، واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع .

---

(١) الحسن بن الصباح (ت٥١٨هـ) : داع فاطمى ، عارض أنصار المستعلى وأيد أتباع نزار وهرب به من القاهرة إلى الإسكندرية فثار هناك ففشلت ثورته وقتل نزار ، ففر إلى إيران حيث أسس طائفة "الحشاشون" عام (٤٨٣ هـ) فى قلعة الموت الجبلية التى اتخذها مقراً لدعوته ، وكان أهم ما يميز هذه الفرقة الإسماعيلية هو اتخاذ الاغتيال وسيلة للتخلص من أعدائها ، وكان يرأسها "السيد" أو "شيخ الجبل" صاحب الأمر والنهى ، ويليه الدعاة الذين يتلقون أوامرهم منه وينفذون تعليماته ، وكان الدعاة منقسمين إلى مراتب حسب إطلاعهم على أسرار الفرقة .

وكانت مرتبة الفدائيين أهم المراتب وذلك لقيامهم باغتيال الأعداء ، وكان شيخ الجبل يكافئهم على أعمالهم التى كانوا يتدربون عليها - بإدخالهم من حين لآخر فى جنة غناء قائمة داخل الحصن ، حيث يسمح لهم بتعاطى الحشيش وممارسة كل أنواع الملذات الحسية .

وقد خلف ابن الصباح بعد وفاته ستة من شيوخ الجبل ، كان لهم أهمية سياسية كبيرة ، واتسع نطاق دعوتهم حتى شمل الشام ، وفى عام ٦٥٤هـ هاجم هولاكو قلعة الموت وقضى على الفرقة ، كما قضى عليهم فى الشام بيبرس سلطان المماليك عام ٦٧١هـ ، وقد بقيت منهم فئات متفرقة فى سوريا وإيران والهند .

وكان بدء صعوده إلى قلعة الموت فى شعبان سنة (٤٨٣ هـ) ، وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد إمامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه ، فعاد ودعا الناس أول دعوة إلى تعيين إمام صادق قائم فى كل زمان ، وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة ، وهو أن لهم إماماً وليس لغيرهم إمام ، وإنما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عوداً على بدء بالعربية والعجمية على هذا الحرف ، ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلى العربية ولا معاب على الناقل ، والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل ، والله الموفق والمعين .

فنبدأ بالفصول الأربعة التى ابتدأ الدعوة بها وكتبها عجمية فعربتها...

قال للمفتى : فى معرفة البارى تعالى أحد قولين ، إما أن يقول : أعرف البارى تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج إلى تعليم معلم ، وإما أن يقول : لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم صادق .

قال : ومن أفتى بالأول فليس له الإنكار على عقل غيره ونظره ، فإنه متى أنكر فقد علم ، والإنكار تعليم ودليل على أن المنكر عليه يحتاج إلى غيره .

قال : والقسمان ضروريان ، فإن الإنسان إذا أفتى بفتوى أو قال قولا ، فإما أن يقول من نفسه أو من غيره ، وكذلك إذا اعتقد عقداً ، فإما أن يعتقده من نفسه أو من غيره .

هذا هو الفصل الأول وهو كسر على أصحاب الرأى والعقل .

وذكر فى الفصل الثانى : أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم ، أفيصلح كل معلم على الإطلاق ، أم لابد من معلم صادق؟ قال : ومن قال إنه يصلح كل معلم ما ساغ له الإنكار على معلم خصمه ، وإذا أنكر فقد سلم أنه لابد من معلم معتمد صادق.. قيل : وهذا كسر على أصحاب الحديث .

وذكر فى الفصل الثالث : أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق ، أفلا بد من معرفة المعلم أولا والظفر به ثم التعلم منه ، أم جاز من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه؟ ، والثانى رجوع إلى الأول ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا بمقدم ورفيق ، فالرفيق ثم الطريق .. وهو كسر على الشيعة .

وذكر فى الفصل الرابع : أن الناس فرقتان ، فرقة قالت : يُحتاج فى معرفة البارى تعالى إلى معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه أولا ، ثم التعلم منه .. وفرقة أخذت من كل علم من معلم وغير معلم .

وقد تبين بالمقدمات السابقة أن الحق مع الفرقة الأولى ، فرأسهم يجب أن يكون رأس المحققين ، وإذا تبين أن الباطل مع الفرقة الثانية ، فرؤساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين .

قال : وهذه الطريقة التى عرفتنا المحق بالحق معرفة مجملة ، ثم نعرف بعد ذلك الحق بالمحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دوران المسائل ، وإنما عنى بالحق ههنا الاحتياج ، وبالمحق المحتاج إليه .

وقال : بالاحتياج عرفنا الإمام ، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج ، كما بالجواز عرفنا الوجوب ، أى واجب الوجود ، وبه عرفنا مقادير الجواز من الجائزات ، قال : والطريق إلى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة .

ثم ذكر فصولا فى تقرير مذهبه ، إما تمهيداً وإما كسراً على المذاهب ، وأكثرها كسر وإلزام واستدلال بالاختلاف على البطلان وبالاتفاق على الحق . منها فصل الحق والباطل ، والصغير والكبير .

يذكر أن فى العالم حقاً وباطلا ، ثم يذكر أن علامة الحق هى الوحدة وعلامة الباطل هى الكثرة ، وأن الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأى ، والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الإمام ، والرأى مع الفرق المختلفة وهى مع رؤسائهم ، وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه ، والتمايز بينهما من وجه التضاد فى الطرفين ، والترتب فى أحد الطرفين ميزانا يزن به جميع ما يتكلم فيه .

قال : وإنما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها ، من النفى والإثبات ، أو النفى والاستثناء . قال : فما هو مستحق النفى باطل ، وما هو مستحق الإثبات حق .

ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر المتضادات ، ونكتته أن يرجع فى كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم ، وأن التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً ، وأن النبوة هى النبوة والإمامة معاً حتى تكون نبوة ، وهذا هو منتهى كلامه وقد منع العوام عن الخوض فى العلوم ، وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة إلا من عرف كيفية الحال فى كل كتاب ودرجة الرجال فى كل علم ، ولم يتعد بأصحابه فى الإلهيات عن قوله : إن إلهنا إله محمد .

قال : أنا وأنتم تقولون إلهنا إله العقول : أى ما هدى إليه عقل كل عاقل .

فإن قيل لواحد منهم : ما تقول فى البارى تعالى وأنه هل هو واحد أم كثير؟ عالم قادر أم لا؟ لم يجب إلا بهذا القدر : إن إلهى إله محمد وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ، والرسول هو الهادى إليه .. وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم : أفنحتاج إليك أو نسمع هذا منك أو نتعلم عنك ، وكم قد ساهلت القوم فى الاحتياج وقلت : أين المحتاج إليه؟ وايش يقدر لى فى الإلهيات؟ وماذا يرسم فى المعقولات؟ إذ المعلم لا يعنى لعينه ، وإنما يعنى ليعلم ، وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد ، وليس يرضى عاقل بأن يستفد مذهباً على غير بصيرة ، وأن يسلك طريقاً من غير بينة ، فكانت مبادئ الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات ، **"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما"**(١)

* * *

---

(١) النساء : ٦٥ .

ويقول أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى (ت٤٥٦هـ) تحت عنوان : "ذكر شنع الشيعة" : " أهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوائف ، أولها الجارودية من الزيدية ، ثم الإمامية من الرافضة ، ثم الغالية .

فأما الجارودية ، فإن طائفة منهم قالت : إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب القائم بالمدينة على أبى جعفر المنصور ، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فقُتل محمد بن عبد الله بن الحسن رحمه الله .. فقالت هذه الطائفة : إن محمد المذكور حى لم يُقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً .

وقالت طائفة أخرى منهم : إنه يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب القائم بالكوفة أيام المستعين ، فوجه إليه محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بأمر المستعين ابن عمة الحسن بن إسماعيل بن الحسين ، وهو ابن أخى طاهر بن الحسين ، فقُتل يحيى بن عمر رحمه الله .. فقالت الطائفة المذكورة : إن يحيى بن عمر هذا حى لم يُقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وقالت طائفة منهم : إن محمد بن القاسم بن علىّ بن عمر بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، القائم بالطالقان أيام المعتصم ، حى لم يمت ولا قُتل ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وقالت الكيسانية - وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد - وهم عندنا شعبة من الزيدية فى سبيلهم : إن محمد بن علىّ بن أبى طالب - وهو ابن الحنفية - حى بجبال رضوى عن يمينه أسد وعن يساره نمر ، تحدثه الملائكة ، يأتيه رزقه غدواً وعشياً ، لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وقال بعض الروافض الإمامية – وهى الفرقة التي تدعى المطورة – إن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب[1] حى لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وقالت طائفة منهم – وهم الناووسية – أصحاب ناوس المصرى مثل ذلك فى أبيه جعفر بن محمد[2] ، وقالت طائفة منهم مثل ذلك فى أخيه إسماعيل بن جعفر .

وقالت السبئية – أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى اليهودى – مثل ذلك فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزادوا أنه فى السحاب.. فليت شعرى فى أى سحابة هو من السحاب والسحاب كثير فى أقطار الهواء ، مسخر بين السماء والأرض كما قال الله تعالى .. وقال عبد الله بن سبأ إذ بلغه قتل علىّ رضى الله عنه : لو أتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وقال بعض الكيسانية بأن أبا مسلم السراج حى لم يمت ، وسيظهر ولا بد ، وقال بعض الكيسانية بأن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب حى بجبال أصبهان إلى اليوم ولا بد له من أن يظهر ، وعبد الله هذا هو القائم بفارس أيام مروان بن محمد ، وقتله أبو مسلم بعد أن سجنه دهراً ، وكان عبد الله هذا ردى الدين ، معطلا ، مستصحبا للدهرية . .

قال أبو محمد[3] : فصار هؤلاء فى سبيل اليهود القائلين بأن ملكصيدوق بن عامر بن أرفشخد بن سام بن نوح ، والعبد الذى وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب ريقا بنت بنؤال بن ناخور بن تارخ على إسحاق ابنه عليه السلام ، والياس عليه السلام ، وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام ، أحياء إلى اليوم ، وسلك هذا السبيل بعض تركى الصوفية ، فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيان إلى اليوم ،

---

(١) يقصد موسى الكاظم سابع الأئمة الإثنى عشرية .
(٢) يقصد جعفر الصادق سادس الأئمة الإثنى عشرية .
(٣) يعنى ابن حزم نفسه .

وادعى بعضهم أنه يلقى إلياس فى الفلوات ، والخضر فى المروج والرياض ، وأنه متى ذُكر حضر على ذكراه .

قال أبو محمد : فإن ذكر فى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها ، وفى ألف موضع فى دقيقة واحدة كيف يصنع ، ولقد لقينا من يذهب إلى هذا خلقاً وكلمناهم ، منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بـ"طلبيرة" ، وهو مع ذلك من أهل العناية وسعة الرواية ، ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب ، وأخبرنى أنه جالس الخضر وكلمه مرارا أو غيره كثير .

هذا مع سماعهم قول الله تعالى : **"ولكن رسول الله وخاتم النبيين"**(١) ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا نبى بعدى" ، فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبياً فى الأرض ، حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآثار المسندة الثابتة فى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام فى آخر الزمان؟!

وكفار برغواطة إلى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذى شرع لهم دينهم .

وقالت القطيعية من الإمامية الرافضة كلهم ، وهم جمهور الشيعة ، ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم ، بأن محمد بن الحسن بن علىّ ابن محمد بن علىّ بن موسى بن جعفر بن علىّ بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب(٢) حى لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا ، وهو عندهم المهدى المنتظر .

ويقول طائفة منهم : إن مولد هذا الذى لم يخلق قط فى سنة سنتين ومائتين ، سنة موت أبيه ، وقالت طائفة منهم : بل بعد موت أبيه بمدة ، وقالت طائفة منهم : بل فى حياة أبيه ، ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد ابن على بن موسى ، وأنها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن أمه يقرأ القرآن ، وأن أمه "نرجس" ، وأنها كانت هى القابلة . وقال جمهورهم : بل أمه "سقيل" ، وقالت طائفة منهم : بل أمه "سوسن" .

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .

(٢) يقصد محمد المهدى بن الحسن العسكرى الإمام الثانى عشر من أئمتهم ، والذى دخل السرداب ، ولا يزالون ينتظرون عودته.

وكل هذا هوس ، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكراً ولا أنثى ، فهذا أول نوك[1] الشيعة ومفتاح عظيماتهم وأخفها وإن كانت مهلكة .

ثم قالوا كلهم إذ سئلوا عن الحجة فيما يقولون؟ يقولون : حجتنا الإلهام ، وأن من يخالفنا ليس لرشدة [2] فكان هذا طريفاً جداً .

ليت شعرى ما الفرق بينهم وبين عيار مثلهم يدعى فى إبطال قولهم الإلهام ، وأن الشيعة ليسوا لرشدة ، أو أنهم نوكة أو أنهم جملة ذوو شعبة من جنون فى رؤوسهم ؟

وما قولهم فيمن كان منهم ثم صار فى غيرهم ، أو من كان فى غيرهم فصار منهم ، أتراه ينتقل من ولادة الغية إلى ولادة الرشدة ، ومن ولادة الرشدة إلى ولادة الغية ؟

فإن قالوا : حكمه لما يموت عليه ، قيل لهم : فلعلكم أولاد غية إذ لا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم إلى خلاف ما هو عليه .

والقوم بالجملة ذوو أديان فاسدة وعقول مدخولة وعديمو حياء ، ونعوذ بالله من الضلال .

وذكر عمرو ابن خولة الجاحظ - وهو وإن كان أحد المجان ومن غلب عليه الهزل وأحد الضالين المضلين ، فإننا ما رأينا له فى كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتاً لها وإن كان كثيراً لا يراد كذب غيره - قال : أخبرنى أبو إسحاق إبراهيم النظام ، وبشر بن خالد ، أنهما قالا لمحمد بن جعفر الراضى - المعروف بشيطان الطاق - : ويحك ، أما استحييت من الله أن تقول فى كتابك فى الإمامة : إن الله تعالى لم يقل قط فى القرآن : **"ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله**

---

(١) النوك : الحمق ، يقال : نوك نوكا ، ونواكا : حمق .

(٢) يقال : ولد رشدة ، ولرشده : صحيح النسب ، أو من نكاح صحيح ، وفى الحديث "من ادعى ولدا لغير رشدة ، فلا يرث ولا يورث" ويقال فى نقيضه : هو ولد غية : أي ولد زنية .

معنا"[١] قالا : فضحك والله شيطان الطاق ضحكاً طويلا حتى كأنا نحن الذين أذنبنا .

قال النظام : وكنا نكلم على بن ميتم الصابونى وكل من شيوخ الرافضة ومتكلميهم ، فنسأله : أرأى أم سماع عن الأئمة؟ فينكر أن يقوله برأى ، فتخبره بقوله فيها قبل ذلك ، فوالله ما رأيته خجل من ذلك ولا استحيا لفعله هذا قط .

ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً : أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ، ونقص منه كثير ، و بُدِّل منه كثير - حاشا عليَّ بن الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبى طالب - وكان إمامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلك ، فإنه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله ، وكذلك صاحباه أبو يعلى ميلاد الطوسى وأبو القاسم الرازى .

قال أبو محمد : القول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صريح ، وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الأرواح ، وبهذا يقول السيد الحميرى الشاعر - لعنه الله - ويبلغ الأمر بمن يذهب إلى هذا إلى أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه ، على أن روح أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فيه !!

فاعجبوا لهذا الحمق الذي لا نظير له ، وما الذي خص هذا البغل الشقى أو الحمار المسكين بنقل الروح إليه دون سائر البغال والحمير .

وكذلك يفعلون بالعنز على أن روح أم المؤمنين[٢] رضى الله عنها فيها! !

---

(١) التوبة : ٤ .
(٢) يقصد السيدة عائشة رضى الله عنها .

وجمهور متكلميهم كهشام بن الحكم الكوفى ، وتلميذه أبى علىّ الصكاك وغيرهما ، يقول : إن علم الله تعالى محدث ، وإنه لم يكن يعلم شيئاً حتى أحدث لنفسه علماً ، وهذا كفر صريح .

وقد قال هشام هذا فى حين مناظرته لأبى الهذيل العلاف : إن ربه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وهذا كفر صريح .

وكان داوود الجوازى من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الإنسان . ولا يختلفون فى أن الشمس ردت على علىّ بن أبى طالب مرتين ، أفيكون فى صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء والجرأة على الكذب أكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق ؟ !

وطائفة منهم تقول : إن الله تعالى يريد الشئ ويعزم عليه ، ثم يبدو له فلا يفعله ، وهذا مشهور للكيسانية .

ومن الإمامية من يجيز نكاح تسع نسوة ! !

ومنهم من يُحرِّم الكرنب لأنه إنما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك ، وهذا من قلة الحياء قريب مما قبله .

وكما يزعم كثير منهم أن علياً لم يكن له سمى قبله ، وهذا جهل عظيم ، بل كان فى العرب كثير يسمون بهذا الاسم ، كعلىّ بن بكر بن وائل ، وإليه يرجع كل بكرى فى العالم فى نسبه ، وفى الأزد علىّ وفى بجيلة علىّ وغيرها ، كل ذلك فى الجاهلية مشهور ، وأقرب من ذلك : عامر بن الطفيل يكنى أبا علىّ . . ومجاهراتهم أكثر مما ذكرنا .

ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار ، وفى الكيسانية من يقول إن الدنيا لا تفنى أبداً .

ومنهم طائفة تسمى النحلية – نسبوا إلى الحسن بن علىّ بن ورصند النحلى – كان من أهل نفطة من عمل قفصة وقسطيلية من كور إفريقيا ، ثم نهض هذا الكافر إلى السوس فى أقاصى بلاد المصامدة ، فأضلهم

وأضل أمير السوس أحمد بن إدريس بن يحيى بن إدريس بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن عليّ بن أبى طالب ، فهم هناك كثير سكان فى ربض مدينة السوس ، معلنون بكفرهم ، وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين ، لايأكلون شيئا من الثمار زُبّل أصله ، ويقولون إن الإمامة فى ولد الحسن دون ولد الحسين - ومنهم أصحاب أبى كامل - ومن قولهم : إن جميع الصحابة رضى الله عنهم كفروا بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ جحدوا إمامة عليّ ، وأن علياً كفر إذ سلم الأمر إلى أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، ثم قال جمهورهم : إن علياً ومن اتبعه رجعوا إلى الإسلام إذ دعا إلى نفسه بعد قتل عثمان ، وإذ كشف وجهه وسلّ سيفه ، وأنه وإياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الإسلام كفارا مشركين ، ومنهم من يرد الذنب فى ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يبين الأمر بياناً رافعاً للإشكال .

قال أبو محمد : وكل هذا كفر صريح لا خفاء به .

فهذه مذاهب الإمامية - وهى المتوسطة فى الغلو من فرق الشيعة - وأما الغالبة من الشيعة فهم قسمان ، قسم : أوجبت النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لغيره ، والقسم الثانى : أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود ، وكفروا أشنع الكفر .

فالطائفة التى أوجبت النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم فرق : فمنهم الغرابة ، وقولهم : إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أشبه بعليّ من الغراب بالغراب ، وإن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحى إلى عليّ ، فغلط جبريل بمحمد ، ولا لوم على جبريل فى ذلك لأنه غلط ، وقالت طائفة منهم : بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه .. لعنهم الله .

قال أبو محمد : فهل سُمع بأضعف عقولا وأتم رقاعة من قوم يقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يشبه عليّ بن أبى طالب ، فياللناس!! أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبى ابن إحدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام ؟ !

ثم محمد عليه الصلاة والسلام فوق الربعة إلى الطول ، قويم القناة ، كث اللحية ، أدعج العينين ، ممتلئ الساقين - صلى الله عليه وسلم - قليل شعر الجسد أفرع . .

وعليّ دون الربعة إلى القصر ، منكب شديد الانكباب كأنه كسر ثم جبر ، عظيم اللحية قد ملأت صدره من منكب إلى منكب إذ التحى ، ثقيل العينين ، دقيق الساقين ، أصلع عظيم الصلع ، ليس فى رأسه شعر إلا فى مؤخره يسير ، كثير شعر اللحية ، فاعجبوا لحمق هذه الطبقة ! !

ثم لو جاز أن يغلط جبريل - وحاشا لروح القدس الأمين - كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه على غلطه ثلاثا وعشرين سنة . ثم أظرف[1] من هذا كله من أخبرهم بهذا الخبر ومن خرّفهم بهذه الخرافة ، وهذا لا يعرفه إلا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام ، ثم شاهد خلافه ، فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين ، ما دام لله فى عالمه خلق .

وفرقة قالت بنبوة عليّ ، وفرقة قالت بأن عليّ بن أبى طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم ، وعليّ بن الحسين ، ومحمد بن عليّ ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلى بن موسى ، ومحمد بن على ، والحسن بن محمد ، والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم .

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط ، وهم طائفة من القرامطة ، وفرقة قالت بنبوة عليّ وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية . وقد حام المختار حول أن يدعى النبوة لنفسه ، وسجع أسجاعاً وأنذر بالغيوب عن الله ، واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة ، وقال بإمامة محمد ابن الحنفية .

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد ، مولى بجيلة بالكوفة ، وهو الذى أحرقه خالد بن عبد الله القسرى بالنار ، وكان لعنه الله يقول : إن معبوده

---

(١) أى أعجب .

صورة رجل على رأسه تاج ، وأن أعضاؤه على عدد حروف الهجاء ، الألف للساقين . .ونحو ذلك مما لا ينطق لسان ذى شيعة من دين به – تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

وكان لعنه الله يقول : إن معبوده لما أراد أن يخلق الخلق تكلم باسمه الأكبر فوقع على تاجه ، ثم كتب بأصبعه أعمال العباد من المعاصى والطاعات ، فلما رأى المعاصى ارفض به عرقاً فاجتمع من عرقه بحران ، أحدهما ملح مظلم والثانى نيّر عذب ، ثم اطلع فى البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار ، فأخذه فقلع عين ذلك الظل ومحقه ، فخلق من عينيه الشمس وشمساً أخرى ، وخلق الكفار من البحر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب ، فى تخليط لهم كثير !

وكان مما يقول : إن الأنبياء لم يختلفوا قط فى شئ من الشرائع .

وقد قيل : إن جابر بن يزيد الجعفى الذى يروى عن الشعبى ، كان خليفة المغيرة بن سعيد إذ حرقه خالد بن عبد الله القسرى ، فلما مات جابر خلفه بكر الأعور الهجرى ، فلما مات فوَّضوا أمرهم إلى عبد الله بن المغيرة رئيسهم المذكور ، وكان لهم عدد ضخم بالكوفة .

وآخر ما وقف عليه المغيرة بن سعيد القول بإمامة محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين ، وتحريم ماء الفرات ، وكل ماء نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة ، فبرئت منه عند ذلك القائلون بالإمامة فى ولد الحسين .

وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمى ، صلبه وأحرقه خالد بن عبد الله القسرى مع المغيرة بن سعيد فى يوم واحد ، وجبن المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب جبناً شديداً حتى ضُم إليها قهراً ، وبادر بيان بن سمعان إلى الحزمة فاعتنقها من غير إكراه ولم يظهر منه جزع ، فقال خالد لأصحابهما : فى كل شئ أنتم مجانين ، هذا كان ينبغى أن يكون رئيسكم لا هذا الفسل .

وكان بيان - لعنه الله - يقول : إن الله تعالى يفنى كله حاشا وجهه فقط ، وظن المجنون أنه تعلق فى كفره هذا بقول الله تعالى : " **كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك**"(١) ، ولو كان له أدنى عقل أو فهم ، لعلم أن الله تعالى إنما أخبر بالفناء عما على الأرض فقط بنص قوله الصادق : " **كل من عليها فان**" ، ولم يصف عز وجل بالفناء غير ما على الأرض ، ووجه الله تعالى هو الله وليس هو شيئاً غيره ، وحاشا لله من أن يُوصف بالتبعيض ، والتجزئ ، هذه صفة المخلوقين المحدودين لا صفة من لا يُحَد ، ولا له مثل .

وكان لعنه الله يقول : إنه المعنى بقوله تعالى : "**هذا بيان للناس**"(٢) .

وكان يذهب إلى أن الإمام هو هاشم بن عبد الله بن محمد ابن الحنفية ، ثم هى فى سائر ولد علىّ كلهم .

وقالت فرقة منهم بنبوة منصور المستير العجلى ، وهو الملقب بالكسف ، وكان يقال إنه المراد بقول الله عز وجل : "**وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً**" (٣) ، وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة .

وكان لعنه الله يقول : إنه عُرِج به إلى السماء ، وأن الله تعالى مسح رأسه بيده وقال له : ابنى ، اذهب فبلّغ عنى ، وكان يمين أصحابه : لا والكلمة .

وكان لعنه الله يقول : بأن أول من خلق الله تعالى عيسى ابن مريم ، ثم علىّ بن أبى طالب .

وكان يقول بتواتر الرسل ، وأباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم ، وقال : إنما هم أسماء رجال ، وجمهور الرافضة اليوم على هذا ، وأسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وأصحابه به كلهم خنّاقون رضاخون ، وكذلك أصحاب المغيرة بن سعيد .

---

(١) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) آل عمران : ١٣٨
(٣) الطور : ٤٤ .

ومعناهم فى ذلك ، أنهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذى ينتظرونه ، فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة ، والخشبية بالخشب فقط .

وذكر هشام بن الحكم الرافضى فى كتابه المعروف بالميزان - وهو أعلم الناس بهم لأنه جارهم بالكوفة وجارهم فى المذهب - أن الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ، ويقولون : نُعَجِّل المؤمن إلى الجنة والكافر إلى النار .

وكانوا بعد موت أبى منصور يؤدون الخمس مما يأخذون ممن خنقوه إلى الحسن بن أبى المنصور ، وأصحابه فرقتان ، فرقة قالت : إن الإمامة بعد محمد بن علىّ بن الحسن صارت إلى محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين ، وفرقة قالت : بل إلى أبى المنصور الكسف ولا تعود فى ولد علىّ أبداً .

وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة ، وإن وقع هذه الدعوة لهم فى حائك لطريفة(١)

وفرقة قالت بنبوة معمر بائع الحنطة بالكوفة .

وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة ، وكان لعنه الله يقول لأصحابه : لو شئت أن أعيد هذا التبن تبراً لفعلت ، وقدم إلى خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة فتجلد وسب خالداً ، فأمر خالد بضرب عنقه فقُتل إلى لعنة الله .

وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية .

وقالت فرقة فى أولئك شيعة بنى العباس بنبوة عمار الملقب بخداش ، فظفر به أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسرى فقتله إلى لعنة الله.

---

(١) أى عجيبة .

والقسم الثانى من فرق الغالية ، الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل ، فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى لعنه الله ، أتوا إلى علىّ بن أبى طالب فقالوا مشافهة : أنت هو . فقال لهم : ومن هو ؟ قالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يُرمون فى النار : الآن صح عندنا أنه الله ، لأنه لا يُعَذِب بالنار إلا الله . .وفى ذلك يقول رضى الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناراً ودعوت قنبراً

يريد قنبر مولاه ، وهو الذى تولى طرحهم فى النار . .نعوذ بالله من أن نفتتن بمخلوق أو يفتتن بنا مخلوق فيما جل أو دق ، فإن محنة أبى الحسن رضى الله عنه من بين أصحابه رضى الله عنهم كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من الرسل عليهم السلام .

وهذه الفرقة باقية إلى اليوم(١) فاشية عظيمة العدد ، يسمون العليائية ، منهم كان إسحاق بن محمد النخعى الأحمر الكوفى وكان من متكلميهم ، وله فى ذلك كتاب سماه "الصراط" نقض عليه البهنكى والفياض لما ذكرنا ، ويقولون إن محمداً رسول علىّ .

وقالت طائفة من الشيعة - يعرفون بالمحمدية - : إن محمداً عليه السلام هو الله - تعالى الله عن كفرهم - ومن هؤلاء كان البهنكى والفياض بن علىّ ، وله فى هذا المعنى كتاب سماه "القسطاس" ، وأبوه الكاتب المشهور الذى كتب لإسحاق بن كنداج أيام ولايته ، ثم لأمير المؤمنين المعتضد ، وفيه يقول البحترى القصيدة المشهورة التى أولها :

شط من ساكن الغدير مزاره   وطوته البلاد والله جاره

والفياض هذا - لعنه الله - قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب ، لكونه من جملة من سعى به أيام المعتضد ، والقصة مشهورة .

---

(١٨)أى إلى أيام ابن حزم الذى مات عام ٤٥٦ هـ

وفرقة قالت بإلاهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبياً نبياً إلى محمد عليه السلام ، ثم بإلاهية عليّ ، ثم بإلاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن عليّ ثم جعفر بن محمد ووقفوا ههنا ، وأعلنت الخطابية بذلك نهاراً بالكوفة فى ولاية عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، فخرجوا صدر النهار فى جموع عظيمة فى أزر وأردية محرمين ينادون بأعلى أصواتهم : لبيك جعفر .. لبيك جعفر . قال ابن عياش وغيره : كأنى أنظر إليهم يومئذ . فخرج إليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم .

ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بإلاهية محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد وهم القرامطة ، وفيهم من قال بإلاهية أبى سعيد الحسن بن بهرام الجبائى وأبنائه بعده ، ومنهم من قال بإلاهية أبى القاسم النجار القائم باليمن فى بلاد همدان المسمى بالمنصور .

وقالت طائفة منهم بإلاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده إلى يومنا هذا[1] ، وقالت طائفة بإلاهية أبى الخطاب محمد بن أبى زينب مولى بنى أسد بالكوفة ، وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الألوف ، وقالوا : هو إله ، وجعفر بن محمد إله ، إلا أن أبا الخطاب أكبر منه .

وكانوا يقولون : جميع أولاد الحسن أبناء الله وأحباؤه ، وكانوا يقولون : إنهم لا يموتون ولكنهم يُرفعون إلى السماء ، وأشبه على الناس بهذا الشيخ الذى ترون .

ثم قالت طائفة منهم بإلاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه ، وكان من أصحاب أبى الخطاب ، لعنهم الله أجمعين .

وقالت طائفة بإلاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعى الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله أيام المقتدر .

---

(١) أى فى عهد ابن حزم .

وقالت طائفة بإلاهية محمد بن على بن السمعانى الكاتب المقتول ببغداد أيام الراضى ، وكان أمر أصحابه أن يفسق الأرفع قدراً منهم به ليولج فيه النور ، وكل هذه الفرق ترى الاشتراك فى النساء .

وقالت طائفة منهم بإلاهية شباس المقيم فى وقتنا هذا حياً بالبصرة ، وقالت طائفة منهم بإلاهية أبى مسلم السراج ، ثم قالت طائفة من هؤلاء بإلاهية المقنع الأعور القصار القائم بثأر أبى مسلم ، واسم هذا القصار هاشم ، وقُتل لعنه الله أيام المنصور ، وأعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وأفناهم إلى لعنة الله .

وقالت الرنودية بإلاهية أبى جعفر المنصور ، وقالت طائفة منهم بإلاهية عبد الله بن الخرب الكندى الكوفى وعبدوه ، وكان يقول بتناسخ الأرواح ، وفرض عليهم تسعة عشر صلاة فى اليوم والليلة ، فى كل صلاة خمسة عشر ركعة ، إلى أن ناظره رجل من متكلمى الصفرية ، وأوضح له براهين الدين فأسلم وصح إسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه ، وأعلم أصحابه بذلك وأظهر التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بإلاهيته ولعنوه وفارقوه ، ورجعوا كلهم إلى القول بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

وبقى عبد الله بن الخرب على الإسلام وعلى مذهب الصفرية إلى أن مات ، وطائفته اليوم تُعرف بالخربية وهى من السبأية القائلين بإلاهية علىّ ، وطائفة تدعى النصرية غلبوا فى وقتنا هذا على جند الأردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة(١) .

ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعن الحسن والحسين ابنى علىّ رضى الله عنهم وسبهم بأقذع السب وقذفهم بكل بلية ، والقطع بأنها وابنيها - رضى الله عنهم ولعن مبغضيهم - شياطين تصوروا فى صورة الإنسان ، وقولهم فى عبد الرحمن بن ملجم

---

(١) كل ذلك كان أيام ابن حزم .

المرادى قاتل علىّ رضى الله عنه : على علىّ لعـنة الله ورضى الله عن بن ملجم - فيقول هؤلاء : إن عبد الرحمن بن ملجم المرادى أفضل أهل الأرض وأكرمهم فى الآخرة ، لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره .

فاعجبوا لهذا الجنون ، واسألوا الله العافية من بلاء الدنيا والآخرة ، فهى بيده لا بيد أحد سواه ، جعل الله حظنا منها الأوفى .

واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى إلى الإسلام ، فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فإن من الصوفية من يقول : إن من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع ، وزاد بعضهم : واتصل بالله تعالى ! !

وبلغنا أن بنيسابور اليوم فى عصرنا هذا رجلا يكنى أبا سعيد أبا الخير - هكذا معاً - من الصوفية ، مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ، ومرة يصلى فى اليوم ألف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة ، وهذا كفر محض ، ونعوذ بالله من الضلال[1] .

* * *

وبعد . . .

يقول الله تعالى : **"وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب"**[2] .

ويقول سبحانه : **"وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين"**[3] .

ويقول جل شأنه : **"يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا**

(١) انظر : الفصل بين الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، جـ ٤ ص ١٣٧ - ١٤٤ نشر مكتبة السلام العالمية ، وكذا : الملل والنحل للشهرستانى - مطبوع بهامش الفصل المذكور جـ ١ ص ١٥١ - ١٦١ ، جـ ٢ ص ٢ - ٣٠.

(٢) الحشر : ٧ . (٣) الأنفال : ٤٦ .

الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا"[1] .

ويقول جل وعلا : **"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً"**[2] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم" قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : "فمن" ؟[3] .

وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "افترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة . . والذى نفسى بيده ، لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، فواحدة فى الجنة واثنتان وسبعون فى النار" ، قيل : يا رسول الله من تراهم ؟ قال : "الجماعة"[4] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار"[5] .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) النساء : ٦٥ .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه ابن ماجه .
(٥) رواه أبو داوود .

الله عليه وسلم يقول : "إن الحلالَ بيّن والحرام بيّن ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس .. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب"(١) .

صدق الله العظيم . . وصدق رسوله الكريم .

فاللهم ربنا : أصلح فساد قلوبنا ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، وجنبنا يارب الشبهات ، واحفظ قلوبنا من الزيغ والضلال ، واهدنا إلى صراطك المستقيم .

* * *

---

(١) متفق عليه .

بين يدى البحث :

الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن

• كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم :

الشيعة فى الأصل ، هم الذين شايعوا علياً وأهل بيته ووالوهم ، وقالوا : إن علياً هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الخلافة حق له ، استحقها بوصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى لا تخرج عنه فى حياته ، ولا عن أبنائه بعد وفاته ، وإن خرجت عنهم فذلك يرجع إلى واحد من أمرين :

أحدهما : أن يغتصب غاصب ظالم هذا الحق لنفسه .

ثانيهما : أن يتخلى صاحب الحق عنه فى الظاهر ، تقية منه ، ودرءاً للشر عن نفسه وعن أتباعه .

وهذا المذهب الشيعى ، من أقدم المذاهب الإسلامية ، وقد كان مبدأ ظهوره فى آخر عهد عثمان رضى الله عنه[1] ثم نما واتسع على عهد علىّ رضى الله عنه ، إذ كان كلما اختلط رضى الله عنه بالناس تملكهم العجب ، واستولت عليهم الدهشة ، مما يظهر لهم من قوة دينه ، ومكنون علمه ، وعظيم مواهبه ، فاستغل الدعاة كل هذا الإعجاب وأخذوا ينشرون مذهبهم بين الناس .

ثم جاء عصر بنى أمية وفيه وقعت المظالم على العلويين ، ونزلت بهم محن قاسية ، أثارت كامن المحبة لهم ، وحركت دفين الشفقة عليهم ، ورأى الناس فى علىّ وذريته شهداء هذا الظلم الأموى ، فاتسع نطاق هذا المذهب الشيعى وكثر أنصاره . ويظهر لنا أن هذا الحب لعلىّ وأهل بيته ،

(١) وقيل عند انتخاب الخليفة الأول بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتفضيلهم على من سواهم ، ليس بالأمر الذى جَدَّ وحدث بعد عصر الصحابة ، بل وجد من الصحابة من كان يحب علياً ويرى أنه أفضل من سائر الصحابة ، وأنه أولى بالخلافة من غيره ، كعمار بن ياسر ، والمقداد ابن الأسود ، وأبى ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، وجابر بن عبد الله .. وغيرهم كثير .

غير أن هذا الحب والتفضيل لم يمنع أصحابه من مبايعة الخلفاء الذين سبقوا علياً رضى الله عنه ، لعلمهم أن الأمر شورى بينهم ، وأن صلاح الإسلام والمسلمين لابد له من شمل متحد وكلمة مجموعة ، كما أن الأمر لم يصل بهم إلى القول بالمبدأ الذى تكاد تتفق عليه كلمة الشيعة ، ويرونه قوام مذهبهم وعقيدتهم وهو "أن الإمامة ليست من مصالح العامة التى تُفوَّض إلى نظر الأمة ، ويعين القائم بها بتعيينهم ، بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز للنبى إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهمْ ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر ، وأن علياً رضى الله عنه ، هو الذى عيَّنه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه" . (مقدمة ابن خلدون ص ٢١٨) .

لم يكن الشيعة جميعاً متفقين فى المذهب ، والعقيدة ، بل تفرقت بهم الأهواء فانقسموا إلى فرق عدة ، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلى عاملين قويين ، كان لهما كل الأثر تقريباً فى تعدد فرق الشيعة وتفرق مذاهبهم .

أولهما : اختلافهم فى المبادئ والتعاليم ، فمنهم من تغالى فى تشيعه وتطرف فيه إلى حد جعله يُلقى على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم ، ويرمى كل من خالف علياً وحزبه بالكفر . ومنهم من اعتدل فى تشيعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطَّأ من خالفهمْ ، ولكن ليس بالخطأ الذى يصل بصاحبه إلى درجة الكفر .

وثانيهما : الاختلاف فى تعيين الأئمة ، وذلك أنهم اتفقوا جميعاً على إمامة علىّ رضى الله عنه ، ثم على إمامة ابنه الحسن من بعده ، ثم على

إمامة الحسين من بعد أخيه . ولما قُتِل الحسين على عهد يزيد بن معاوية تعددت وجهة نظر الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين رضى الله عنه :

ففريق يرى أن الخلافة بعد قتل الحسين انتقلت إلى أخيه من أبيه ، محمد بن علىّ ، المعروف بابن الحنفية ، فبايعوه بها .

وفريق ثان : يرى حصر الإمامة فى ولد علىّ من فاطمة ، وقد أصبحت بعد قتل الحسين حقاً لأولاد الحسن ، لأنه أكبر إخوته فلا يؤثر بها غير أولاده ، وهم ينتظرون كبرهم ليبايعوا أرشدهم .

وفريق ثالث : يرى ما يراه الفريق الثانى من حصرها فى ولد علىّ من فاطمة ، غاية الأمر أنه يقول : إن الحسن قد تنازل عنها فسقط حق أولاده فيها ، وبقيت الإمامة حقاً لأولاد الحسين الذى قُتِل من أجلها فهم أولى بالانتظار .

بلغ عدد الفرق التى انقسم إليها الشيعة حداً كبيراً من الكثرة ، منها من تغالى فى تشيعه وتجاوز بمعتقداته حد العقل والإيمان ، ومنها من اعتدل فى تشيعه فلم تبالغ كما بالغ غيرها .

ولست بمستوعب كل هذه الفرق ، ولكنى سأقتصر على فرقتين هما : الزيدية ، والإمامية "الإثنا عشرية" ، و "الإسماعيلية" ، لأنى لم أعثر على مؤلفات فى التفسير لغير هاتين الفرقتين من فرق الشيعة .

* * *

○ الزيدية :

أما الزيدية ، فهم أتباع زيد بن علىّ بن الحسين رضى الله عنهم ، طمحت نفسه إلى استرداد الخلافة ، فخرج على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، ولكن أتباعه خذلوه وتفرّقوا عنه فقُتِل وصُلِب ، ثم أُحرق جسده . وقد ورد فى سبب تفرق أصحابه عنه وخذلانهم له "أنه لما اشتد

القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك ، قال الذين بايعوه : ما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فقال زيد : أثنى عليهما جدى علىّ ، وقال فيهما حسناً ، وإنما خروجى على بنى أمية ، فإنهم قاتلوا جدى علياً ، وقتلوا جدى حسيناً ، فخرجوا عليه ورفضوه ، فسموا رافضة بذلك السبب" . (التبصير فى الدين ص ١٨) .

والزيدية أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية ، إذ أنها لم تغل فى معتقداتها ، ولم يُكَفِّر الأكثرون منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ترفع الأئمة إلى مرتبة الإله أو إلى درجة النبيين .

* * *

• قوام مذهب الزيدية :

وقوام مذهب زيد وأتباعه إلى ما قبل طروء التغير عليه والتفرق بين أصحابه ، هو ما يأتى :

١- أن الإمام منصوص عليه بالوصف لا بالاسم ، وهذه الأوصاف هى : كونه فاطمياً ، ورعاً ، سخياً ، يخرج داعياً الناس لنفسه .

٢- أنه يجوز إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه بتوفر هذه الصفات فيه .

وبنوا على هذا أنه لو وقع اختيار أولى الحل والعقد على إمام تتوفر فيه هذه الصفات مع وجود من تتوفر فيه صحت إمامته ، ولزمت بيعته ، ولهذا قالوا بصحة إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما .

ولقد كان من مذهب الزيدية جواز خروج إمامين فى قطرين مختلفين لا فى قطر واحد ، كما كان من مذهبهم أن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو مخلد فى النار ، وهذا هو عين مذهب المعتزلة . ويظهر أن هذه العقيدة

تسربت من المعتزلة إلى الزيدية فقالوا بها كما قالوا بكثير من مبادئهم . والسر فى ذلك هو أن زيداً رحمه الله تتلمذ لواصل بن عطاء ، فأخذ عنه آراءه الاعتزالية وقال بها .(الملل والنحل للشهرستانى جـ٢ ص ٢٠٨) .

غير أن الزيدية لم يدوموا على وحدتهم المذهبية زمناً طويلا ، بل تفرقوا واختلفت عقائدهم . وقد ذكر لنا صاحب المواقف أنهم تفرقوا إلى ثلاث فرق ، وذكر لكل فرقة خصائصها ومميزاتها وعقائدها . (المواقف جـ ٨ ص ٣٩٠) ، ولا نطيل بذكر ذلك . ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إليه فى موضعه .

* * *

• الإمامية[1] :

أما الإمامية فهم القائلون بأن النبى صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علىّ رضى الله عنه نصاً ظاهراً ، لا بطريق التعريض بالوصف كما يقول الزيدية ، كما أنهم يحصرون الإمامة بعد علىّ فى ولده من فاطمة رضى الله عنها .

وأصحاب هذا المذهب قد بالغوا فى تشيعهم ، وتعدوا حدود العقل والشرع ، فَكَفَّروا الكثير من الصحابة ، واعتبروا أبا بكر وعمر مغتصبين للخلافة ظالمين لعلىّ رضى الله عنه ، فأوجبوا التبرؤ منهما ، ولم يسلم من هذا التطرف إلا نفر قليل ، كالعلامة الطبرسى صاحب التفسير .

وقد اتفق الإمامية على إمامة علىّ رضى الله عنه ، ثم انتقلت الإمامة إلى ابنه الحسن بالوصية له من أبيه ، ثم إلى أخيه الحسين من بعده ، ثم

---

(١) الإمامية : نسبة إلى الإمام لأنهم أكثروا من الاهتمام به ، وركزوا كثيراً من تعاليمهم حوله .

إلى ابنه علىّ زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد الباقر ، ثم إلى ابنه جعفر الصادق ، ثم اختلفوا بعد ذلك فى سوق الإمامة ، وانقسموا إلى فرق عدة أشهرها فرقتان : الإمامية الإثنا عشرية والإمامية الإسماعيلية .

* * *

• الإمامية الإثنا عشرية :

أما الإماميــة الإثــنا عشرية ، فيرون أن الإمــامة بعد جعـفر الصــادق انتقلت إلى ابــنه موسى الكاظم ، ثم إلى ابـنه علىّ الرضا ، ثم إلى ابنه محمد الجواد ، ثم إلى ابنه علىّ الهادى ، ثم إلى ابنه الحسن العسكرى ، ثم الى ابنه محمد المهدى المنتظر وهو الإمام الثانى عشر ، ويزعمون أنه دخل سردابا فى دار أبيه بـ"سر من رأى" ولم يعد بعد ، وأنه سيخرج فى آخر الزمـان ، ليملأ الدنيا عدلا وأمناً ، كما مُلِئَت ظلماً وخوفاً .

وهؤلاء قد جاوزوا الحد فى تقديسهم للأئمة ، فزعموا أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء . وقالوا : إن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت على الكفر ، وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة فى الأئمة .

* * *

• أشهر تعاليم الإمامية الإثنى عشرية :

وأشهر تعاليــم الإمامية الإثنى عشرية أمور أربعة : العصمة ، والمهدية ، والرجعة ، والتقية .

أما العصمة : فيقصدون منها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر فى كل حياتهم ، ولا يجوز عليهم شئ من الخطأ والنسيان .

وأما المهدية : فيقصدون منها الإمام المنتظر الذى يخرج فى آخر

الزمان فيملأ الأرض أمناً وعدلا ، بعد أن مُلئَت جوراً وخوفاً . وأول من قال بهذا هو كيسان مولى عليّ بن أبى طالبَ فى محمد ابن الحنفية . ثم تسربت إلى طوائف الإمامية ، فكان لكل منها مهدى منتظر[1] .

وأما الرجعة : فهى عقيدة لازمة لفكرة المهدية ، ومعناها : أنه بعد ظهور المهدى المنتظر ، يرجع النبى صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا ، ويرجع علىّ ، والحسن ، والحسين ، بل وكل الأئمة ، كما يرجع خصومهم ، كأبى بكر وعمر ، فيقتص لهؤلاء الأئمة من خصومهم ، ثم يموتون جميعا ، ثم يحيون يوم القيامة

وأما التقية : فمعناها المداراة والمصانعة ، وهى مبدأ أساسى عندهم ، وجزء من الدين يكتمونه عن الناس ، فهى نظام سرى يسيرون على تعاليمه ، فيدعون فى الخفاء لإمامهم المختفى ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر ، فإذا قَويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة فى وجه الدولة القائمة الظالمة .

هذه هى أهم تعاليم الإمامية الإثنى عشرية ، وهم يستدلون على كل ما يقولون ويعتقدون بأدلة كثيرة ، غير أنها لا تسلم لهم ، ولا تثبت مدعاهم . ونحن نمسك عنها وعن ردها خوف الإطالة ، وسيمر بك - إن شاء الله تعالى - شئ من ذلك .

* * *

---

(١) وردت بعض الأحاديث فى شأن المهدى ، رواها الترمذى وأبو داوود وابن ماجه وغيرهم ، كقوله عليه السلام "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لطوّل الله ذلك حتى يبعث فيه رجلا منى أو من أهل بيتى ، يواطئ اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى" ومثل قوله "لو لم يبق إلا يوم ، لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا" وقد وقع بين المسلمين خلاف فى شأن المهدى هذا ، فمنهم من يقول به ، ومنهم من ينكره ، ولكن لم نر من المسلمين من ذهب مذهب الإمامية فى تعيين المهدى ودعواهم أنه الإمام الثانى عشر الذى اختفى حيا ليظهر فى آخر الزمان .

● الإمامية الإسماعيلية :

وأما الإمامية الإسماعيلية ، فيرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه إسماعيل ، بالنص من أبيه على ذلك ، قالوا : وفائدة النص مع أنه مات قبل أبيه هو بقاء الإمامة فى عقبه ، ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم ، وهو أول الأئمة المستورين ، وبعده تتابع أئمة مستورون إلى أن ظهر بالدعوة الإمام عبد الله المهدى رأس الفاطميين .

ثم إن هؤلاء الإمامية الإسماعيلية لقبوا بسبعة ألقاب ، وبعض هذه الألقاب أسماء لبعض فرقهم ، وهذه الألقاب هى ما يأتى :

١- **الإسماعيلية** : لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق كما قلناه .

٢- **الباطنية** : لقولهم بالإمام الباطن - أى المستور - أو لقولهم بأن للقرآن ظاهراً وباطناً ، والمراد منه باطنه دون ظاهره .

٣- **القرامطة** : لأن أولهم الذى دعا الناس إلى مذهبهم رجل يقال له حمدان قرمط[١] .

٤- **الحرمية** : لإباحتهم المحرمات والمحارم .

٥- **السبعية** : لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع سبعة : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، ومحمد المهدى المنتظر سابع النطقاء ، وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته ، ولابد فى كل عصر من سبعة بهم يقْتدى وبهم يُهتدى .

٦- **البابكية أو الخرمية** : لاتباع طائفة منهم بابك الخرمى الذى خرج بأذربيجان .

---

(١) قرمط : قرية من قرى واسط ، أو نسبة لقرمطة فى خطوه - وقيل فى خطه ، وقرمطة الخطا تتابعها .

٧- **المحمرة :** للبسهم الحمرة أيام بابك ، أو لتسميتهم المخالفين لهم حميراً . (المواقف جـ ٨ ص ٣٨٨ - ٣٨٩) .

* * *

هذا ولا يفوتنا أن نقول : إن هذه الطوائف من الشيعة قد باد معظمها ، وأشهر ما بقى منها إلى اليوم ثلاث فرق ، هى : الإمامية الإثنا عشرية ، والإمامية الإسماعيلية - وهم المسمون بالباطنية ، والزيدية .

أما الإمامية الإثنا عشرية ، فينتشرون اليوم فى بلاد إيران ، وبلاد العراق كما يوجد منهم جماعة بالشام .

وأما الإسماعيلية ، فينتشرون فى بلاد الهند ، كما يوجدون فى نواح أخرى متفرقة ، وزعيمهم أغاخان الزعيم الهندى الإسماعيلى المعروف . (وهو من نسل الحسن بن الصباح صاحب قلعة الموت ، والحسن هذا من نسل علىّ بن أبى طالب ، ١هـ من ضحى الإسلام جـ ٣ ص ٢٢٥) .

وأما الزيدية فيوجدون ببلاد اليمن .

إذن فالأجدر بنا أن نمسك عن موقف هذه الفرق البائدة من تفسير القرآن ، ما دامت قد بادت ولم يبق لها أثر ، وما دمنا لم نقف لها على شئ فى التفسير أكثر من هذه النبذ المتفرقة التى وجدناها للبعض منهم وجمعناها من بطون الكتب المختلفة .

والذى يستحق عنايتنا وبحثنا بعد ذلك ، هو تلك الفرق الثلاث التى لا تزال موجودة إلى اليوم محتفظة بتعاليمها وآرائها . وسنبدأ أولا بالإمامية الإثنى عشرية ، ثم بالإمامية الإسماعيلية ، ثم بالزيدية .

* * *

• موقف الإمامية الإثنى عشرية من تفسير القرآن الكريم :

للإمامية الإثنى عشرية معتقدات يدينون بها ، وينفردون بها عمن عداهم من طوائف الشيعة . وهم حين يعتقدون هذه المعتقدات لابد لهم -

ما داموا يقرون بالإسلام ويعترفون بالقرآن ولو بوجه ما - أن يقيموا هذه العقائد على دعائم من نصوص القرآن الكريم ، وأن يدافعوا عنها بكل ما يمكنهم من سلاح الجدل وقوة الدليل .

* * *

• موقفهم من الأئمة وأثر ذلك فى تفسيرهم :

وإذا نحن استعرضنا هذه المعتقدات وجدنا أن أهمها يدور حول أئمتهم ، فهم يلقون على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم ، ويرون أن الأئمة "أركان الأرض أن تميد بأهلها ، وحجة الله البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى" ويرون أن الإمامة "زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين" . (ضحى الإسلام جـ ٣ ص ٢١٥ نقلا عن أصول الكافى ص ٩٣) .

ولما كان الإمام عندهم فوق أن يُحكم عليه ، وفوق الناس فى طينته وتصرفاته ، فإنا نراهم يعتقدون بأن له صلة روحية بالله تعالى كتلك الصلة التى للأنبياء والرسل ، وأنه مُشَرِّع ومُنَفِّذ ، وأن الله قد فوَّض النبى والإمام فى الدين ، ويروون عن الصادق أنه قال : "إن الله خلق نبيه على أحسن أدب وأرشد عقل ، ثم أدَّب نبيه فأحسن تأديبه فقال : **"خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"**[١] ، ثم أثنى الله عليه فقال : **"وإنك لعلى خلق عظيم"**[٢] ، ثم بعد ذلك فوَّض إليه دينه ، فوَّض إليه التشريع فقال : **"وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"**[٣] ، و**"من يطع الرسول فقد أطاع الله"**[٤] ، الله فوَّض دينه إلى نبيه . ثم أن نبى الله فوَّض كل ذلك إلى عليّ وأولاده سلمتم وجحده الناس ، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله ، وما جعل الله لأحد خيراً فى خلاف أمرنا" . (الوشيعة ص ٨٧) .

---

(١) الأعراف : ١٩٩ .
(٢) القلم : ٤ .
(٣) الحشر : ٧ .
(٤) النساء : ٨٠ .

وحيث إن الله تعالى خلق النبى وكل إمام بعده على أحسن أدب وأرشد عقل ، فلا يختار النبى ولا الإمام إلا ما فيه صلاح وثواب ، ولا يخطر بقلب النبى ولا بقلب الإمام ما يخالف مشيئة الله وما يناقض مصلحة الأمة . فيفوّض الله تعيين بعض الأمور إلى رأى النبى ورأى الإمام مثل الزيادة فى عدد ركعات الفرض ومثل تعيين النوافل من الصلاة والصيام ، وذلك إظهاراً لكرامة النبى والإمام ، ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحى ، ثم لم يكن الاختيار إلا بالإلهام ، وله فى الشرع شواهد : حرَّم الله الخمر ، وحرَّم النبى كل مسكر فأجازه الله ، وفرض الله الفرائض ولم يذكر الجد ، فجعل النبى للجد السدس ، وكان النبى يُبشِر ويُعطِى الجنة على الله ويُجيزه الله .

وأيضاً فوَّض الله النبى والأئمة من بعده أمور الخلق ، وأمور الإدارة والسياسة من التأديب والتكميل والتعليم ، وواجب على الناس طاعتهم فى كل ذلك ، قالوا : وهذا حق ثابت دلت الأخبار عليه .

وأيضا فوَّضهم الله تعالى فى البيان ، بيان الأحكام والإفتاء وتفسير آيات القرآن وتأويلها ، ولهم أن يبينوا ولهم أن يسكتوا ، ولهم فوق ذلك البيان كيفما أرادوا وعلى أى وجه شاءوا تقيَّة منهم وعلى حسب الأحوال والمصلحة . والتفويض بهذا المعنى يَدَّعون أنه حق ثابت لهم ، والأخبار ناطقة به وشاهدة عليه . يقول صاحب الكافى "سأل ثلاثة من الناس الصادق عن آية واحدة فى كتاب الله فأجاب كل واحد بجواب ، أجاب ثلاثة بأجوبة ثلاثة ، واختلاف الأجوبة فى مسألة واحدة كان يقع إما على سبيل التقيَّة وإما على سبيل التفويض" (الوشيعة ص ٨٩) .

وهناك نوع آخر من التفويض يثبتونه للنبى والأئمة ، ذلك هو أن النبى أو الإمام له أن يحكم بظاهر الشريعة ، وله أن يترك الظاهر ويحكم بما يراه وما يلهمه الله من الواقع وخالص الحق فى كل واقعة ، كما كان لصاحب موسى فى قصة الكهف ، وكما وقع لذى القرنين .(الوشيعة ص ٨٩) .

ثم كان من توابع هذه العقيدة التى يعتقدونها فى أئمتهم أن قالوا

بعصمة الأئمة ، وقالوا بالمهدى المنتظر ، وقالوا بالرجعة ، وقالوا بالتقيّة ، وهذه كلها عقائد رسخت فى أذهانهم وتمكنت من عقولهم ، فأخذوا بعد هذا ينظرون إلى القرآن الكريم من خلال هذه العقائد ففسروا القرآن وفقاً لهواهم ، وفهموا نصوصه وتأولوها حسبما تمليه عليهم العقيدة ويزينه لهم الهوى .. وهذا تفسير بالرأى المذموم ، تفسير من اعتقد أولاً ، ثم فسر ثانياً بعد أن اعتقد .

* * *

● تأثر الإمامية الإثنى عشرية بآراء المعتزلة وأثر ذلك فى تفسيرهم :

هذا وإن الإمامية الإثنى عشرية لهم فى نصوص القرآن التى تتصل بمسائل علم الكلام نظرة تتفق إلى حد كبير مع نظرة المعتزلة إلى هذه النصوص نفسها ولم يكن بينهم وبين المعتزلة خلاف إلا فى مسائل قليلة ، ويظهر أن هذا الارتباط الوثيق الذى كان بين الفريقين راجع إلى تتلمذ الكثير من شيوخ الشيعة وعلمائهم لبعض شيوخ المعتزلة ، كما يظهر لنا جلياً أن هذا الارتباط فى التفكير شئ قديم غير جديد ، فالحسن العسكرى ، والشريف المرتضى ، وأبو على الطبرسى ، وغيرهم من قدماء الشيعة ، ينظرون هذه النظرة الاعتزالية فى تفاسيرهم التى بأيدينا ، والتى تعرضنا لبعضها وسنعرض لبعضها الآخر قريباً ، بل إننا نجد الشريف المرتضى فى أماليه يحاول محاولة جدية أن يجعل علياً رضى الله عنه معتزلياً أو رأس المعتزلة على الأصح ، وقد تقدمت لنا مقالته التى عرضنا لها عند الكلام عن أماليه[1] . وليس من شك فى أن هذه النظرات

(١) يرى بعض العلماء أن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله ، والحسن- ابنا محمد ابن الحنفية - وعن أبى هاشم أخذ واصل بن عطاء (مقدمة تبيين كذب المفترى ص ١٠ ، ١١ - ويقول أبو الحسن الطرائفى الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧هـ فى كتابه "رد أهل الأهواء والبدع" : عندما بايع الحسن بن على معاوية وسلم له الأمر ، اعتزل جماعة من أصحاب على الحسن ومعاوية وجميع الناس ولزموا منازلهم ، وقالوا : نشتغل بالعلم والعبادة ، فسموا بذلك معتزلة" (أهـ من هامش تبيين كذب المفترى ص ١٠).

الاعتزالية كان لها أثر كبير فى تفسيرهم ، وسنقف على شئ من ذلك إن شاء الله تعالى .

* * *

• تأثرهم بمذاهبهم الفقهية والأصولية فى تفاسيرهم :

ثم إن الشيعة لهم فى الفقه وأصوله آراء خالفوا بها من سواهم ، فمثلا نجدهم يذكرون أن أدلة الفقه أربعة وهى : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ودليل العقل . أما الكتاب فلهم رأى فيه سنعرض له فيما بعد .

وأما السنة فهم غير أمناء عليها ولا ملتزمين ما صح منها ، وسنعرض لها فيما بعد أيضاً .

وأما الإجماع فليس حجة بنفسه ، وإنما يكون حجة إذا دخل الإمام المعصوم فى المجمعين ، أو كان الإجماع كاشفاً عن رأيه فى المسألة ، أو كان الإجماع عن دليل معتبر ، فهو فى الحقيقة داخل فى الكتاب أوالسنة .

وأما دليل العقل عندهم فلا يدخل فيه القياس ، ولا الاستحسان ، ولا المصالح المرسلة ، لأن ذلك كله ليس حجة عندهم(١) .

وفى الفقه لهم مخالفات يشذون بها ، فمثلا تراهم يقولون : إن فرض الرجلين فى الوضوء هو المسح دون الغسل ، ولا يجوّزون المسح على الخفين ، وجوّزوا نكاح المتعة ، وجوّزوا أن تورث الأنبياء ، ولهم مخالفات فى نظام الإرث ، كإنكارهم للعول مثلا ، ولهم مخالفات كثيرة غير ذلك فى مسائل الاجتهاد .

لهذا كان طبيعياً أن يقف الإمامية الإثنا عشرية من الآيات التى تتعلق

---

(١) انظر أعيان الشيعة جـ ١ ص ٤٧٧ - وقد مثل لدليل العقل بالبراءة من التكليف بواجب لم يرد فيه نص . انظر ص ٢٣٦ من كتاب أصول الاستنباط للسيد على تقى الحيدرى طبع شركة النشر والطباعة العراقية سنة ١٩٥ .

بالفقه وأصوله موقفا فيه تعصب وتعسف ، حتى يستطيعوا أن يخضعوا هذه النصوص ويجعلوها أدلة لآرائهم ومذاهبهم ، كما كان طبيعياً ، أن يتأولوا ما يعارضهم من الآيات والأحاديث . بل ووجدناهم أحياناً يزيدون فى القرآن ما ليس منه ويدعون أنه قراءة أهل البيت ، وهذا إمعان منهم فى اللجاج ، وإغراق فى المخالفة والشذوذ .

* * *

● إحتيالهم على تركيز عقائدهم وترويجها :

ويظهر لنا أن الإمامية الإثنى عشرية لم يجدوا فى القرآن كل ما يساعدهم على أغراضهم وميولهم ، فراحوا (أولا) يَدّعون أن القرآن له ظاهر وباطن بل وبواطن كثيرة ، وأن علم جميع القرآن عند الأئمة ، سواء فى ذلك ما يتعلق بالظواهر وما يتعلق بالبواطن ، وحجروا على العقول فمنعوا الناس من القول فى القرآن بغير سماع من أئمتهم .

وراحوا (ثانياً) يَدّعون أن القرآن وارد كله أو جله فى أئمتهم ومواليهم ، وفى أعدائهم ومخالفيهم كذلك .

وراحوا (ثالثا) يَدّعون أن القرآن حُرِّف وبُدِّل عما كان عليه زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل هذا لا أعتقد إلا أنه من قبيل الاحتيال على تركيز عقائدهم وإيهام الناس أنها مستقاة من القرآن الذى هو المنبع الأساسى والأول للدين .

وأعجب من هذا أنهم أخذوا يُموِّهون على الناس ، ويغرون العامة بما وضعوه من أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته ، وطعنوا على الصحابة إلا نفراً قليلا منهم ، ورموهم بكل نقيصة فى الدين ، ليجدوا لأنفسهم من وراء ذلك ثغرة يخرجون منها عندما تأخذ بخناقهم الأحاديث الصحيحة التى يرويها هؤلاء الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويحسن بنا ألا نمر سراعاً على هذه النقط الأربعة بالذات ، بل علينا أن نقف أمامها وقفة طويلة ودقيقة حتى نستطيع أن نقف على مدى هذه

الأوهام والدعاوى التى كان لها أكبر الأثر فى اتجاه التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية ، فنقول وبالله التوفيق :

١- ظاهر القرآن وباطنه

يقول الإمامية الإثنا عشرية : إن القرآن له ظاهر وباطن ، وهذه حقيقة نقرهم عليهم ولا نعارضهم فيها بعد ما صح لدينا من الأحاديث التى تقرر هذا المبدأ فى التفسير ، غاية الأمر أن هؤلاء الإمامية لم يقفوا عند هذا الحد ، بل تجاوزوا إلى القول بأن للقرآن سبعة وسبعين بطناً ، ولم يقتصروا على ذلك بل تمادوا وادعوا أن الله تعالى جعل ظاهر القرآن فى الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة ، وجعل باطنه فى الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما .

● حرصهم على التوفيق بين ظاهر القرآن وباطنه :

ولقد كان من أثر هذا الرأى فى القرآن ، أن اشتد حرص هؤلاء القائلين به على أن يعقدوا صلة بين المعانى الظاهرة والمعانى الباطنة للقرآن ، ويعملوا بكل ما فى وسعهم وطاقتهم على إيجاد مناسبة بينهما حتى يقرّبوا هذا المبدأ من عقول الناس ويجعلوه أمرا سائغاً مقبولا . ومن أمثلة هذا التوفيق والربط بين ظاهر القرآن وباطنه ، قوله تعالى : **"مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات"** [١] ، فهم يقرون أن هذا الظاهر مراد الله تعالى ، ومراد له مع هذا الظاهر معنى آخر باطنى هو علوم الأئمة عليهم السلام ، ويقولون : إن الجامع بين المعنيين هو الانتفاع بكل منهما وبمثل هذا يوفقون بين المعانى الظاهرة والباطنة ، حتى لا يكون مستبعداً إرادة الله لمعنى خاص بحسب ما يدل عليه ظاهر اللفظ ، وإرادته لمعنى آخر بحسب ما يدل عليه باطن الأمر .

---

(١) محمد : ١٥ .

• حملهم الناس على التسليم بما يدعون من المعانى الباطنة للقرآن :

وكأنى بالإمامية الإثنى عشرية بعد أن ربطوا بين ظاهر القرآن وباطنه ، وجمعوا بينهما بجامع التناسب والتشابه ..كأنى بهم يعتقدون أن مثل هذا الربط لا يكفى فى حمل الناس على أن يذهبوا مذهبهم هذا ، فحاولوا أن يحملوهم عليه من ناحية العقيدة والإرهاب الدينى ، الذى يشبه الإرهاب الكنسى للعامة فى العصور المظلمة ، من حمل الناس على ما يوحون به إليهم بعد أن حظروا عليهم إعمال العقل ، وحالوا بينهم وبين حريتهم الفكرية ، فقالوا : إن الإنسان يجب عليه أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه على السواء ، كما يجب عليه أن يؤمن بمحكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، ولابد أن يكون ذلك على سبيل التفصيل إن وصل إليه علم ذلك مفصلا عن آل البيت ، ويكفى فيه الإجمال إن لم يصل إليه التفصيل . قالوا : ولا يجوز أن ينكر الباطن بحال ، وعليه أن يسلم بكل ما وصل إليه من ذلك عن طريق آل البيت وإن لم يفهم معناه ، ولو أن إنساناً آمن بالظاهر وأنكر الباطن لكفر بذلك ، كما لو أنكر الظاهر وآمن بالباطن أو الظاهر والباطن جميعاً .

وحرصاً منهم على تعطيل عقول الناس ومنعهم من النظر الحر فى نصوص القرآن الكريم ، قالوا : إن جميع معانى القرآن ، سواء منها ما يتعلق بالظاهر وما يتعلق بالباطن ، اختُص بها النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده ، فهم الذين عندهم علم الكتاب كله ، لأن القرآن نزل فى بيتهم "وأهل البيت أدرى بما فى البيت" أما من عداهم من الناس فلا يرون أدنى شبهة فى قصور علمهم ، وعدم إدراكه لكثير من معانى القرآن الظاهرة ، فضلا عن معانيه الباطنة ، قالوا : ولهذا لا يجوز لإنسان أن يقول فى القرآن إلا بما وصل إليه من طريقهم ، غاية الأمر أنهم جوَّزوا لمن أخلص حبه وانقياده لله ولرسوله ولأهل البيت واستمد علومه من أهل البيت حتى أنس من نفسه العلم والمعرفة .. جوَّزوا لمثل هذا أن يستنبط من القرآن ما يتيسر له ، لأنه بحبه لآل البيت وأخذه عنهم صار كأنه منهم وقد قيل "سلمان منا آل البيت" .

* * *

• أثر التفسير الباطنى فى تلاعبهم بنصوص القرآن :

ولقد كان من نتائج هذا التفسير الباطنى للقرآن أن وجد القائلون به أمام أفكارهم مضطرباً بالغاً ومجالاً رحباً ، يتسع لكل ما يشاؤه الهوى وتزينه لهم العقيدة ، فأخذوا يتصرفون فى القرآن كما يحبون ، وعلى أى وجه يشتهون ، بعد ما ظنوا أن العامة قد انخدعت بأوهامهم وسلموا بأفكارهم ومبادئهم .

فقالوا – مثلا – : إن من لطف الله تعالى أن يشير بواسطة المعانى الباطنة لبعض الآيات إلى ما سيحدث فى المستقبل من حوادث ، ويعدون هذا من وجوه إعجازه ، ثم يُفرّعون على هذه القاعدة ما يشاؤه لهم الهوى ، وما يزينه فى أعينهم داعى العقيدة وسلطانها ، فيقولون مثلا فى قوله تعالى : "**لتركبن طبقاً عن طبق**"(١) ، إنه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء .

كذلك مكّن لهم القول بباطن القرآن من أن يقولوا : إن اللفظ الذى يُراد به العموم ظاهراً كثيراً ما يراد به الخصوص بحسب المعنى الباطن ، فمثلا لفظ «الكافرين» الذى يراد به العموم ، يقولون : هو فى الباطن مخصوص بمن كفر بولاية علىّ .

كما مكّنهم أيضاً من أن يصرفوا الخطاب الذى هو موجه فى الظاهر إلى الأمم السابقة أو إلى أفراد منها ، إلى من يصدق عليه الخطاب فى نظرهم من هذه الأمة بحسب الباطن ، فمثلا قوله تعالى : "**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**"(٢) يقولون فيه : قوم موسى فى الباطن هم أهل الإسلام .

ولقد مكنهم أيضاً من أن يتركوا أحيانا المعنى الظاهر ويقولوا بالباطن وحده ، كما فى قوله تعالى : "**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم**

(١) الانشقاق : ١٩ .   (٢) الأعراف : ١٥٩ .

لا تجد لك علينا نصيرا"[1] ، فالظاهر غير مراد عندهم ، ويقولون : عنى بذلك غير النبى ، لأن مثل هذا لا يليق أن يكون موجهاً للنبى عليه الصلاة والسلام ، وإنما هو معنى به من قد مضى ، أو هو من باب "إياك أعنى واسمعى ياجارة" .

كذلك مكّنهم هذا المبدأ من إرجاع الضمير إلى ما لم يسبق له ذكر ، كما فى قوله تعالى : "**قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله**"[2] ، حيث يفسرون "أو بدله" بمعنى أو بدل علياً . ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر ، ولم يكن الكلام مسوقاً فى شأن خلافته وولايته .

ومما ساغ لهم أن يقولوه بعد تقريرهم لمبدأ القول بالباطن : أن تأويل الآيات القرآنية لا يجرى على أهل زمان واحد ، بل عندهم أن كل فقرة من فقرات القرآن لها تأويل يجرى فى كل آن ، وعلى أهل كل زمان ، فمعانى القرآن على هذا متجددة . حسب تجدد الأزمنة وما يكون فيها من حوادث . بل وساغ لهم ما هو أكثر من ذلك فقالوا : إن الآية الواحدة لها تأويلات كثيرة مختلفة متناقضة ، وقالوا : إن الآية الواحدة يجوز أن يكون أولها فى شئ وآخرها فى شئ آخر . ولا شك أن باب التأويل الباطنى باب واسع يمكن لكل من ولجه أن يصل منه إلى كل ما يدور بخلده ويجيش بخاطره .

وليس لقائل أن يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرّح بأن للقرآن باطناً ، وإن المفسرين جميعاً يعترفون بذلك ويقولون به ، فكيف توجه اللوم إلى الإمامية وحدهم ؟ ليس لقائل أن يقول ذلك ، لأن الباطن الذى أشار إليه الحديث وقال به جمهور المفسرين ، هو عبارة عن التأويل الذى يحتمله اللفظ القرآنى ، ويمكن أن يكون من مدلولاته . أما الباطن الذى يقول به الشيعة فشئ يتفق مع أذواقهم ومشاربهم ، وليس فى اللفظ القرآنى الكريم ما يدل عليه ولو بالإشارة .

* * *

---

(١) الإسراء : ٧٤، ٧٥ . (٢) يونس : ١٥ .

• مخلصهم من تناقض أقوالهم فى التفسير :

ثم إن الإمامية الإثنى عشرية ، أحسوا بخطر موقفهم وتحرجه عندما جوّزوا أن يكون للآية الواحدة أكثر من تفسير واحد مع التناقض والاختلاف بين هذه التفاسير . فأخذوا يموّهون على العامة ويضللونهم ، فقرروا من المبادئ ما أوجبوا الاعتقاد به أولا على الناس.ليصلوا بعد ذلك إلى مخلص يتخلصون به من هذا المأزق الحرج ، فكان من هذه المبادئ التى قرروها وأوجبوا الاعتقاد بها ما يأتى :

أولا : أن الإمام مفوّض من قِبَلِ الله فى تفسير القرآن .

ثانياً : أنه مفوّض فى سياسة الأمة .

ثالثاً : التقيّة .

وكل واحد من هذه الثلاثة يمكن أن يكون مخلصاً للخروج من هذا التناقض الذى وقع فى تفاسيرهم التى يروونها عن أئمتهم ، فكون الإمام مفوّضاً من قِبَلِ الله فى تفسير القرآن مخلص لهم ، لأن باب التفويض واسع . وكونه مفوضاً فى سياسة الأمة مخلص أيضاً ، لأن الإمام أعلم بالتنزيل والتأويل ، وأعلم بما فيه صلاح السائل والسامع ، فهو يجيب كل إنسان على حسب ما يرى فيه صلاح حاله ، والقول بالتقيّة مخلص أوسع من سابقيه ، لأن الإمام له أن يسكت ولا يجيب . تقيّة منه "قيل عند الباقر : إن الحسن البصرى يزعم أن الذين يكتمون العلم تؤذى ريح بطونهم أهل النار ، فقال الباقر : فهلك إذن مؤمن آل فرعون ، ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحًا ، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً ، لا يوجد العلم إلا ههنا .. وأشار إلى صدره .(الوشيعة ص ٨) .

وللإمام أن يجيب بحسب الأحوال وما يرى فيه المصلحة .. تقيّة منه أيضاً ، وبنوا على هذا "أن الإمام إن قال قولا على سبيل التقيّة ، فللشيعى أن يأخذ به ويعمل بما قاله الإمام إن لم يتنبه الشيعى إلى أن قول الإمام كان على سبيل التقيّة" . (الوشيعة ص ٨٢) .

ونحن لا نظن أن الأئمة كانوا يلجأون إلى هذه التقيّة .. تقيّة الخداع

في الأخبار ، والنفاق في الأحكام ، وإنما هي تمحلات يتمحلونها ، ليخلّصوا بها أنفسهم من هذا الارتباك الذي وقعوا فيه .

* * *

٢- موقف القرآن من الأئمة وأوليائهم وأعدائهم

ثم إن الإمامية الإثنى عشرية ، قرروا أن الإقرار بإمامة عليّ ومن بعده من الأئمة والتزام حبهم وموالاتهم ، وبُغض مخالفيهم وأعدائهم ، أصل من أصول الإيمان ، بحيث لا يصلح إيمان المرء إلا إذا حصل ذلك ، مع الإقرار بباقي الأصول ، كما قرروا وجوب طاعة الأئمة ، واعتقاد أفضليتهم على الخلائق أجمعين .

قرر الإمامية هذا كله ، ثم أخذوا ينزلون نصوص القرآن على ما قرروه ، بل وزادوا على ذلك فقالوا : إن كل آيات المدح والثناء وردت في الأئمة ومن والاهم ، وكل آيات الذم والتقريع وردت في مخالفيهم وأعدائهم ، بل ويدّعون ما هو أكثر من ذلك فيقولون : إن جل القرآن بل كله ، أنزل في الإرشاد إليهم ، والإعلان بهم ، والأمر بموافقتهم ، والنهي عن مخالفتهم .

ولقد كان من أثر زعمهم أن القرآن جله أو كله وارد في أئمتهم ومن والاهم ، وفي أعدائهم ومن وافقهم ، أن قالوا : إن ما نسبه الله إلى نفسه بصيغة الجمع أو ضميرة سره أن أراد إدخال النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة معه . قالوا : وهو مجاز شائع معروف ، بل وبالغوا فقالوا : إن الأئمة هم المقصودون بالذات أحياناً كما في قوله تعالى : **"وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون"**[1] ، حيث رووا عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال فيها : إن الله أعظم وأعز وأجل من أن يُظلم ، ولكن خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته ، حيث يقول " **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**"[2] بمعنى الأئمة منا .(مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص ٣٩) .

---

(١) البقرة : ٥٧ . (٢) المائدة : ٥٥ .

وأعجب من هذا ، أنهم جعلوا لفظ الجلالة ، والإله والرب ، مراداً به الإمام وكذا الضمائر الراجعة إليه سبحانه ، وتأولوا ما أضافه الله إلى نفسه من الإطاعة والرضا والغنى والفقر مثلا ، بما يتعلق بالإمام كإطاعته ، ورضاه وغناه وفقره .. إلخ ، ويعدون ذلك من قبيل المجاز الشائع المعروف . ولكن لا شيوع لمثل هذا المجاز ولامعرفة لنا به إذ المجاز المتعارف عليه بين العلماء هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى ، وأين العلاقة هنا ؟ . وإذا تكلفوا العلاقة فأين القرينة الصارفة للفظ عن حقيقته ؟ ثم ..لِمَ هذا التكلف والعدول إلى المجاز ، وقد تقرر أنه لا يُعدل إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة ؟

* * *

٣- تحريف القرآن وتبديله

وأحسب أن الإمامية الإثنى عشرية ، عَزَّ عليهم أن يكون القرآن غير صحيح فى عقيدتهم بالنسبة للأئمة وموافقيهم ، وبالنسبة لأعدائهم ومخالفيهم ، وكأنى بهم وقد تساءلوا فيما بينهم فقالوا : إذا كان القرآن جله وارداً فى شأن الأئمة وشيعتهم ، وفى شأن أعدائهم ومخالفيهم ، فلِمَ لَمْ يأت القرآن بذلك صريحاً مع أنه المقصود أولا وبالذات ؟ ولِمَ اكتفى بالإشارة الباطنة فقط ؟ ...كأنى بهم بعد هذا التساؤل ، وبعد هذا الاعتراض الذى أخذ بخناقهم ، راحوا يتلمسون للتخلص منه كل سبيل ، فلم يجدوا أسهل من القول بتحريف القرآن وتبديله ، فقالوا : إن القرآن الذى جمعه علىّ عليه السلام . وتوارثه الأئمة من بعده ، هو القرآن الصحيح الذى لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ، أما ما عداه فمحرف ومبدل ، حُذف منه كل ما ورد صريحاً فى فضائل آل البيت ، وكل ما ورد صريحاً فى مثالب أعدائهم ومخالفيهم . وأخبار التحريف متواترة عند الشيعة ، ولهم فى ذلك روايات كثيرة يروونها عن آل البيت ، وهم منها براء .

يروى الكافى عن الصادق : أن القرآن الذى نزل به جبريل على محمد سبعة عشر ألف آية ، والتى بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان

وثلاث وستون آية ، والبواقى مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه علىّ . (الوشيعة ص ٢٣) .

ويقولون : إن سورة «لم يكن» كانت مشتملة على اسم سبعين رجلا من قريش بأنسابهم وآبائهم . وإن سورة « الأحزاب » كانت مثل سورة « الأنعام » أسقطوا منها فضائل أهل البيت . وإن سورة « الولاية » أسقطت بتمامها .. وغير ذلك من خرافاتهم .

وأخف ما لهم فى هذا الموضوع هو "أن جميع ما فى المصحف كلام الله ، إلا أنه بعض ما نزل والباقى مما نزل عند المستحفظ لم يضع منه شئ وإذا قام القائم يقرؤه الناس كما أنزله الله على ما جمعه أمير المؤمنين علىّ" . (الوشيعة ص ٢٧) .

ولقد اصطدم مدعو التحريف والتبديل ، بنصوص من القرآن صريحة فى هدم مدعاهم هذا ، فمن تلك النصوص قوله تعالى : **"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"**(١) ، ولكن سرعان ما تخلصوا منها بالتأويل فقالوا : **"وإنا له لحافظون"** .. أى عند الأئمة ، وبمثل هذا التأويل يتخلصون من باقى النصوص المعارضة لهم .

واصطدموا أيضاً بأمرين آخرين لهما عظيم الخطر على عقائدهم ومبادئهم .

أولهما : كيف تعتمدون فى تعاليمكم ومعتقداتكم على هذا القرآن الذى بأيدينا وقد جزمتم بوقوع التحريف والتبديل فيه ؟

ثانيهما : كيف توجبون على الناس أن يعترفوا بفضائل آل البيت ، ويتبرأوا من أعدائهم ومخالفيهم ، والحجة غير قائمة عليهم بعد أن حُذف كل ذلك من القرآن ؟

---

(١) الحجر : ٩

وقد أجابوا عن الأول : بأن التحريف إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال ، كحذف اسم عليّ ، وآل محمد ، وأسماء المنافقين .

وأجابوا عن الثاني : بأن الله تعالى علم ما سيكون من وقوع التحريف والتبديل فى القرآن ، فلم يكتف بما جاء صريحاً فى فضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم ، بل أشار إلى ذلك ودل عليه بحسب بطون القرآن وتأويله ، وهذا قد سلم من التحريف والتبديل قطعاً ، فبقيت الحجة قائمة على الناس ، وإن بدلّوا الظاهر وحرّفوه .

والحق أن الشيعة هم الذين حرّفوا وبدّلوا ، فكثيرا ما يزيدون فى القرآن ما ليس منه ، ويدّعون أنه قراءة أهل البيت ، فمثلا نراهم عند قوله تعالى : **"يا أيها الرسول بَلّغ ما أنزل إليك من ربك"**(١) ، يزيدون : "فى شأن على" ، وهى زيادة لم ترد إلا من طريقهم ، وهى طريق مطعون فيها .

وهم الذين حرّفوا القرآن أيضاً حيث تأولوه على غير ما أنزل الله "قيل للصادق : ألم يكن عليّ قوياً فى دين الله ؟ قال : بلى . قيل : فكيف ظهر عليه القوم ولم يدفعهم ؟ وما منعه من ذلك ؟ قال الصادق : آية فى كتاب الله منعته . قيل : أى آية ؟ قال : **"لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما"**(٢) . كان لله ودائع مؤمنون فى أصلاب قوم كافرين ومنافقين ، ولم يكن عليّ يقتل الآباء حتى تخرج الودائع ، فلما خرجت ظهر عليّ على من ظهر فقتلهم .(الوشيعة ص ٦٥) .

وروى العياشى عن الباقر أنه قال : لما قال النبى : "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام" أنزل الله : **"وما كنت متخذ المضلين عضدا"**(٣) (الوشيعة ص ٦٤) .

وتقول أصول الكافى فى قوله تعالى : **"إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا**

(١) المائدة : ٦٧ .
(٢) الفتح : ٢٥ .
(٣) الكهف : ٥١ .

ليهديهم سبيلا"[1] : إن هذه الآية نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان ، آمنوا بالنبى أولا ، ثم كفروا حيث عوضت عليهم ولاية عليٍّ ، ثم آمنوا بالبيعة لعليّ ، ثم كفروا بعد موت النبى . ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة . (الوشيعة ص ٦٥ نقلا عن أصول الكافى جـ ٣ ص ٣٢٥) .

هذه أمثلة نذكرها ونضعها بين يدي القارئ الكريم ليحكم بنفسه حكماً صادقاً : أن هؤلاء الشيعة ، الذين يدّعون التحريف والتبديل للقرآن ، هم أنفسهم المحرِّفون لكتاب الله ، المبدِّلون فيه ، بصرفهم ألفاظ القرآن إلى غير مدلولاتها وتقولهم على الله بالهوى والتشهى .

* * *

٤- موقفهم من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة

ولقد رأى الإمامية الإثنا عشرية أنفسهم أمام كثرة من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمام كثرة من الروايات المأثورة عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . وفى تلك الأحاديث وهذه الآثار ما يخالف تعاليمهم مخالفة صريحة ، لذا كان بدهياً أن يتخلص القوم من كل هذه الروايات ، إما بطريق ردها ، وإما بطريق تأويلها . والرد عندهم سهل ميسور ، ذلك لأن الرواية إما أن تكون قولا لصحابى ، وإما أن تكون قولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق صحابى ، وهم يُجرِّحون معظم الصحابة ، بل ويكفرونهم لمبايعتهم أبا بكر أولا ، ثم عمر من بعده ، ثم عثمان من بعدهما .. وأما التأويل فباب واسع .. وهم أهله وأربابه .

فمثلا نجدهم يردون الأحاديث والآثار التى ثبتت فى تحريم نكاح المتعة ونسخ حله ، كما نجدهم يردون أحاديث المسح على الخفين ويقولون : إنها من رواية المغيرة بن شعبة رأس المنافقين . ثم نجدهم يسلمون صحة الرواية جدلا ولكنهم يتأولونها فيقولون : إن الخف الذى كان يلبسه النبى صلى الله عليه وسلم كان مشقوقا من أعلى ، فكان يمسح على ظاهر قدمه من هذا الشق .. وظاهر أن هذا تأويل بارد متكلف .

---

(١) النساء : ١٣٧ .

فإذا كان هؤلاء لا يقبلون أقوال الصحابة ، ولا يثقون بروايتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذن فمن يقبلون قوله ؟ ومن يثقون بروايته ؟

الذى عليه الشيعة إلى اليوم ، أنهم لا يأخذون الحديث إلا ممن كان شيعياً ، ولا يقبلون تفسيراً إلا ممن كان شيعياً ، ولا يثقون بشئ مطلقاً إلا إذا وصل لهم من طريق شيعى !! وبهذا حصروا أنفسهم فى دائرة خاصة ، حتى كأنهم هم المسلمون وحدهم ، فإن عاشوا وسط السنيين فباطنهم لأنفسهم ، وظاهرهم للتقيّة .

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد - حد الثقة بأشياعهم والاتهام لمن عداهم - بل وجدنا الرؤساء من الشيعة كجابر بن يزيد الجعفى وغيره "قد استغلوا أفكار الجمهور الساذجة ، وقلوبهم الطيبة الطاهرة ، وحبهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراحوا يضعون الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته ، ويضمنونها ما يرضى ميولهم المذهبية ، وأغراضهم السيئة الدنيئة ، ولم يفتهم أن يحكموا أسانيد هذه الشيعة لأنهم وجدوها مؤيدة لدعواهم .

ويعجبنى هنا ما ذكره أبو المظفر الإسفرائينى فى كتابه «التبصير فى الدين» وهو : أن الروافض "لما رأوا الجاحظ يتوسع فى التصانيف ، ويصنف لكل فريق ، قالت له الروافض : صنّف لنا كتاباً ، فقال لهم : لست أدرى لكم شبهة حتى أرتبها وأتصرف فيها ، فقالوا له : إذن دلنا على شئ نتمسك به ، فقال : لا أرى لكم وجها إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئاً تزعمونه ، تقولون : إنه قول جعفر بن محمد الصادق ، لا أعرف لكم سبباً تستندون إليه غير هذا الكلام .. فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التى دلهم عليها ، فكلما أرادوا أن يختلقوا بدعة أو يخترعوا كذبة ، نسبوها إلى ذلك السيد الصادق ، وهو عنها منزه ومن مقالتهم فى الدارين برئ". (التبصير فى الدين ص ٢٦)(١).

* * *

(١) التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ٣ - ١٠ ، ٢٠ - ٣٦ .

الإمامية الإسماعيلية "الباطنية"
وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

قلنا : إن الإسماعيلية من الشيعة الإمامية تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وقلنا : إنهم يلقبون بالباطنية أيضاً لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره ، أو لقولهم بالإمام الباطن المستور .

والحق أن هذه الطائفة لا يمكن أن تكون داخلة فى عداد طوائف المسلمين . وإنما هى فى الأصل جماعة من المجوس رأوا شوكة الإسلام قوية لا تُقهر ، وأبصروا عزة المسلمين فتية لا تُغلب ولا تُكسر ، فاشتعلت بين جوانحهم نار الحقد على الإسلام والمسلمين ، ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى الغلب على المسلمين بقوة الحديد والنار ، ولا طاقة لهم بالوقوف أمام جيشهم الزاخر الجرار ، فسلكوا طريق الاحتيال الذى يوصلهم إلى مآربهم وأهوائهم ، ليطفئوا نور الله بأفواههم ، وخفى على هؤلاء الملاحدة أن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

* * *

● مؤسسو هذه الطائفة :

ظهرت بوادر هذه الفتنة ، ونبتت نواة هذه الطائفة : زمن المأمون ، وبيد جماعة جمع بينهم سجن العراق ، هم : عبد الله بن ميمون القداح ، وكان مولى جعفر بن محمد الصادق ، ومحمد بن الحسين المعروف بذيذان ، وجماعة كانوا يدعون "الجهاربجة[1] .

اجتمع هؤلاء النفر ، فوضعوا مذهب الباطنية وأسسوا قواعده ، فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم ، ثم استفحل أمرها ، واستطار خطرها إلى كثير من بلاد المسلمين . وما زالت لها بقية إلى يومنا هذا بين كثير ممن يدعون الإسلام . (الفرق بين الفرق ص٢٦٦ ، والتبصير فى الدين ص ٨٣) .

* * *

---

(١) أى العلماء الأربعة .

• إحتيالهم على الوصول إلى أغراضهم :

رأى المؤسسون لمبادئ الباطنية أنه لا طاقة لهم بالوقوف فى وجه المسلمين صراحة وجهارا ، فاحتالوا - كما قلنا - على الوصول إلى مآربهم بشتى الحيل ، فاندسوا بين المسلمين باسم الحدب على الإسلام ، وتلفعوا بالتشيع والموالاة لأهل البيت ، وتظاهروا بالورع الكاذب ، وجعلوا ذلك كله ستاراً لما يريدون أن يبذروه بين المسلمين من بذور الفساد والاضطراب فى العقيدة والسياسة .

ومن المحزن أن يدعى هؤلاء الملاحدة الانتماء إلى أهل بيت النبوة ، ويصلون أنسابهم بأنسابهم عن طريق آباء وأئمة مستورين ، فيلقى هذا الادعاء رواجاً وقبولاً من أناس ضعفاء أغمار ، غرهم التباكى على آل البيت والتحزن عليهم ، فتحركت أحقاد دفينة ، وثارت فتن دامية بين المسلمين كان لها أثرها وخطرها .

أسس هؤلاء الباطنية الجمعيات السرية لنشر مذهبهم وهدم مذهب المسلمين ، ورسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر والخديعة ، فجعلوا هدفهم الأول : الاحتيال على الطغام بتأويل الشرائع إلى ما يعود إلى قواعدهم من الإباحة والإلحاد ، وتدرجوا فى وصولهم إلى غرضهم هذا بجعلهم الدعوة على مراتب وهى ما يأتى :

• مراتب الدعوة عند الباطنية :

أولا - الذوق : وهو تفرس حال المدعو ، هل هو قابل للدعوة أم لا ؟ ولذلك منعوا من إلقاء البذر فى السبخة . أى دعوة من ليس قابلا لها ، ومنعوا التكلم فى بيت فيه سراج .. أى فى موضع فيه فقيه أو متعلم .

ثانياً- التأنيس : باستمالة كل أحد من المدعوين بما يميل إليه بهواه وطبعه ، من زهد ، وخلاعة ، وغيرهما ، فإن كان يميل إلى زهد زيَّنه فى عينه وقبَّح نقيضه ، وإن كان يميل إلى الخلاعة زيَّنها وقبَّح نقيضها ، ومن رآه الداعى مائلا إلى أبى بكر وعمر مدحهما عنده وقال : لهما حظ فى

تأويل الشريعة ، ولهذا استصحب النبى أبا بكر إلى الغار ، ثم إلى المدينة ، وأفضى اليه فى الغار تأويل الشريعة .. وهكذا حتى يحصل له الأنس به .

ثالثاً - التشكيك فى أصول الدين وأركان الشريعة : كأن يقول للمدعو : ما معنى الحروف المقطعة فى أوائل السور ؟ ولِمَ تقضى الحائض الصوم دون الصلاة ؟ ولِمَ يجب الغسل من المنى دون البول ؟ ولِمَ اختلفت الصلوات فى عدد ركعاتها فكان بعضها ركعتين ، وبعضها ثلاثاً ، وبعضها أربعا ؟ .. وحيث يشككون بمثل هذا فلا يجيبون ليتعلق قلب من يشككونه بالرجوع إليهم والأخذ عنهم .

رابعاً - الرابط ، وهو أمران :

أحدهما : أخذ الميثاق على الشخص بأن لا يفشى لهم سراً ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : **"وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً"**(١) وقوله : **"ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا"**(٢) .

وثانيهما : حوالته على الإمام فى حل ما أشكل عليه من الأمور التى ألقيت إليه ، فإنها لا تُعلم إلا من قِبَل الإمام .

خامساً - التدليس : وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا ليزداد الإقبال على مذهبهم .

سادساً - التأسيس : وهو تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع تعاليمهم منه موقع القبول من نفسه .

سابعاً - الخلع : وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية .

ثامنا - السلخ : وهو سلخ المدعو من العقائد الإسلامية ، ثم بعد ذلك

---

(١) الأحزاب : ٧ .

(٢) النحل : ٩١ .

يأخذون فى تأويل الشريعة على ما تشاء أهواؤهم . (المواقف جـ ٨ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ ، والفرق بين الفرق ص ٢٨٢ وما بعدها) .

فأنت ترى أن الباطنية توسلوا بكل هذه الحيل إلى تشكيك المسلمين فى عقائدهم ، وكأنهم رأوا أن القرآن ما دام موجوداً بين المسلمين ومحفوظاً عندهم يرجعون إليه فى أمور الدين ، ويهتدون بهديه كلما نزلت بهم نازلة ، فليس من السهل صرف الناس عنه إلا بواسطة تأويله ، وصرف ألفاظه وآياته عن مدلولاتها الظاهرة ، فأخذوا يجدُّون فى تأويل نصوص القرآن كما يحبون . وعلى أى وجه يرونه هدما لتعاليم الإسلام ، الذى أصبح قذى فى أعينهم ، وشجى فى حلوقهم ! !

وحرصاً منهم على أن تكون دعواهم فى تأويل القرآن مقبولة لدى من يستخفونه .. قالوا : "إن الأئمة هم الذين أودعهم الله سره المكنون ، ودينه المخزون ، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر ، وأسرار هذه الأمثلة ، وإن الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت ، ولذلك قال عليه السلام - لما قيل : ومن أين يُعرف الحق بعدك ؟ - : "ألم أترك فيكم القرآن وعترتى" ؟ وأراد به أعقابه ، فهم الذين يطلعون على معانى القرآن" . (فضائح الباطنية ص ٦) .

ولكن احتيال الباطنية بتأويل القرآن على هدم الشريعة لم يلق رواجاً عند عقلاء المسلمين ، ولم يجد غباوة فى عقول علمائهم الذين نصبوا أنفسهم لحماية القرآن من أباطيل المضللين .. وكيف يمكن أن يجد رواجاً عند هؤلاء أو غباوة من أولئك وقد علموا وتيقنوا بأن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه ينقل عن صاحب الشريعة ، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يُوثق به ، والباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر ، ويمكن تنزيله على وجوه شتى .

* * *

• إنتاج الباطنية فى تفسير القرآن الكريم :

ومع أن هؤلاء الباطنية قد اتخذوا من تأويل القرآن باباً للوصول إلى أغراضهم ، فإنا لم نقف لهم على كتب مستقلة فى تفسير كتاب الله تعالى ، ولم نسمع أن واحداً منهم كتب تفسيراً جامعاً للقرآن كله ، سورة سورة ، وآية آية ، ولعل السر فى ذلك : أنهم لم يستطيعوا أن يتمشوا بعقائدهم مع القرآن آية آية ، ولو أنهم حاولوا ذلك لاصطدموا بعقبات وصعاب لا يستطيعون تذليلها ، ولا يقدرون على التخلص منها .

وكل الذى وجدناه لهم فى تفسير القرآن أو تأويله على الأصح : إنما هو نصوص متفرقة فى بطون الكتب ، تعطينا إلى حد ما صورة واضحة ، وفكرة جلية عن موقف هؤلاء القوم من القرآن الكريم ، ومبلغ تهجمهم على القول فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

وأرى أن أقسم موقف الباطنية من القرآن الكريم إلى قسمين اثنين :

الأول : موقف الباطنية المتقدمين من القرآن الكريم .

والثانى : موقف الباطنية المتأخرين منه أيضاً .

ونريد بالمتقدمين : الذين أسسوا مذهب الباطنية ومن قاربهم فى الزمن ، وبالمتأخرين : البابية والبهائية : وسنوضح عند الكلام عن البابية والبهائية السبب الذى من أجله عددناهم من قبيل الباطنية .

* * *

• موقف متقدمى الباطنية من تفسير القرآن الكريم :

علمت أن الغرض الأول الذى تقوم عليه دعوة الباطنية وتتركز فيه : هو العمل على هدم الشرائع عموماً ، وشريعة الإسلام على الخصوص ! ! فكان لزاماً عليهم وقد قاموا يحاربون الإسلام - أن يُعملوا معاول الهدم فى ركن الإسلام المكين ، وهو القرآن الكريم ، وقد عجموا معاولهم كلها

فلم يجدوا معولاً أصلب ولا أقوى على تنفيذ غرضهم من معول التأويل والميل بالآيات القرآنية إلى غير ما أراد الله .

كتب عبيد الله بن الحسن القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني رسالة طويلة جاء فيها : ".. وإني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، وتدعوهم إلى إبطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور ، وإبطال الملائكة في السماء ، وإبطال الجن في الأرض ، وأوصيك أن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير ، فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم" .(الفرق بين الفرق ص ١٨٠) .

رأى هذا الزعيم الباطني أن التشكيك في القرآن خير معوان لهم على تركيز عقائدهم ، ورأى رأيه أهل الباطن جميعاً فقالوا : "للقرآن ظاهر وباطن ، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة ، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر ، والمتمسك بظاهره معذب بالشقشقة في الكتاب ، وباطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهره ، وتمسكوا في ذلك بقوله تعالى : **"فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب"** [1] .(المواقف جـ ٨ ، ص ٣٨٨) .

فانظر اليهم كيف وضعوا هذه القاعدة لفهم نصوص القرآن الكريم ، ثم اعجب ما شاء الله لك أن تعجب من استدلالهم بهذه الآية الكريمة على قاعدتهم التي قعّدوها ؟ ولست أدرى ما صلة هذه الآية بتلك القاعدة والآية واردة في شأن من شئون الآخرة ينساق إلى فهمه كل من يمر بالآية بدون كلفة ولا عناء .

* * *

---

(١) الحديد : ١٣ .

• من تأويلات الباطنية القدامى :

على هذه القاعدة السابقة جرى القوم فى شرحهم لكتاب الله تعالى ؛ فكان من تأويلاتهم ما يأتى :

"الوضوء" عبارة عن موالاة الإمام ، و"التيمم" هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذى هو الحجة ، و"الصلاة" عبارة عن الناطق الذى هو الرسول بدليل قوله تعالى : **"إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"**[1] ، و"الغسل" تجديد العهد ممن أفشى سراً من أسرارهم من غير قصد ، وإفشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى "الاحتلام" ، و"الزكاة" عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين ، و"الكعبة" النبى ، و"الباب" علىّ ، و"الصفا" هو النبى ، و"المروة" علىّ ، و"الميقات" الإيناس ، و"التلبية" إجابة الدعوة ، و"الطواف بالبيت سبعاً" موالاة الأئمة السبعة ، و"الجنة" راحة الأبدان من التكاليف ، و"النار" مشقتها بمزاولة التكاليف (المواقف جـ ٨ ص ٣٩٠) .

وتأولوا أنهار الجنة فقالوا : "أنهار من لبن" أى معادن العلم . . اللبن العلم الباطن ، يرتفع به أهلها ، ويتغذون به تغذياً تدوم به حياتهم اللطيفة ، فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم ، كما أن حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدى الأم . "وأنهار من خمر" هو العلم الظاهر . "وأنهار من عسل مصفى" هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة . (فضائح الباطنية للغزالى ص ١٣) .

كذلك تجد الباطنية يرفضون المعجزات ، ولا يعترفون بها للرسل ، وينكرون نزول ملائكة من السماء بالوحى من الله ، بل وزادوا على ذلك فأنكروا أن يكون فى السماء ملك وفى الأرض شيطان ، وأنكروا آدم والدجال ، ويأجوج ومأجوج ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام آيات من القرآن تُكذّب دعواهم هذه ، فتخلصوا منها بمبدأهم الذى ساروا عليه فى تفسيرهم

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .

وهو إنكار الظاهر والأخذ بالباطن ، وأولوا هذه الآيات بما يتفق ومذهبهم ، فتأولوا "الملائكة" على دعاتهم الذين يدعون إلى بدعتهم . وتأولوا "الشياطين" على مخالفيهم . وتأولوا كل ما جاء في القرآن من معجزات الأنبياء عليهم السلام ، فقالوا : "الطوفان" معناه طوفان العلم .. أغرق به المتمسكون بالسنة . و"السفينة" حرزه الذى تحصن به من استجاب لدعوته . و"نار إبراهيم" عبارة عن غضب نمرود عليه لا النار الحقيقية . و"ذبح إسحاق" معناه أخذ العهد عليه . و"عصا موسى" حجته التى تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه لا الخشب . و"انفلاق البحر" افتراق علم موسى فيهم عن أقسام . و"البحر" هو العلم . و"الغمام الذى أظلهم" معناه الإمام الذى نصبه موسى لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم . و"الجراد والقمل والضفادع" هى سؤالات موسى والتزاماته التى سُلّطت عليهم . و"المن والسلوى" علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى . و"تسبيح الجبال" معناه تسبيح رجال شداد فى الدين راسخين فى اليقين . و"الجن الذين ملكهم سليمان بن داوود" باطنية ذلك الزمان . و"الشياطين" هم الظاهرية الذين كُلفوا بالأعمال الشاقة . و"عيسى" له أب من حيث الظاهر ، وإنما أراد بالأبَ المنفى : الإمام ، إذ لم يكن له إمام ، بل استفاد العلم من الله بغير واسطة ، وزعموا - لعنهم الله - أن أباه يوسف النجار . و"كلامه فى المهد" اطلاعه فى مهد القالب قبل التخلص منه على ما يطلع عليه غيره بعد الوفاة والخلاص من القالب . و"إحياء الموتى من عيسى" معناه الإحياء بحياة العلم عن موت الجهل بالباطن ، و"إبراؤه الأعمى" عن عمى الضلالة . و"الأبرص" عن برص الكفر ببصيرة الحق المبين . و"إبليس وآدم" عبارة عن أبى بكر وعلى ، إذ أمر أبو بكر بالسجود لعلىّ والطاعة له فأبى واستكبر . و"الدجال" أبو بكر ، وكان أعوراً ، إذ لم يبصر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن ، و"يأجوج ومأجوج" هم أهل الظاهر . (فضائح الباطنية ص ١٣) .

بل بالغوا فقالوا : "إن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة ، فساسوا العامة بالنواميس والحيل ، طلباً للزعامة بدعوى النبوة والإمامة" . (الفرق بين الفرق ص ٢٧٩) .

هذا . . ومما زعمته الباطنية : أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا فى ذلك قوله تعالى : **"واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"**[1] .. وحملوا اليقين على معرفة التأويل .

كذلك استحل الباطنية نكاح البنات والأخوات وجميع المحارم ، بحجة أن الأخ أحق بأخته والأب أولى بابنته . .وهكذا ، ولست أدرى على أى وجه تأولوا آية النساء التى حرَّمت ذلك ، ومنعته منعاً باتاً ! !

ويقول القيرواني فى رسالته التى أرسلها إلى سليمان بن الحسن : ".. وينبغى أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم فى أقوالهم ، كعيسى ابن مريم ، قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ، ثم رفعها بتحريم الأحد بدلا من السبت ، وأباح العمل فى السبت ، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها . .وبذلك قتلته اليهود لما اختلفت كلمته ، ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال : **"الروح من أمر ربى"**[2] ، لما لم يحضره جواب المسألة ، ولا تكن كموسى فى دعواه التى لم يكن عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعوذة ، ولما لم يجد المحق فى زمانه عنده برهاناً قال له : **"لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين"**[3] ، وقال لقومه : **"أنا ربكم الأعلى"**[4] لأنه صاحب الزمان فى وقته" .

ثم قال فى آخر هذه الرسالة : "...وما العجب من شئ كالعجب من رجل يدعى العقل ، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليس له زوجة فى حسنها ، فيُحرمها على نفسه ويُنَكّحها من أجنبى ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبى ، ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرَّم عليهم الطيبات وخوَّفهم بغائب لا يُعقل ، وهو الإله الذى يزعمونه ، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور ، والحساب ، والجنة ، والنار ، حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ، ولذريته بعد

---

(١) الحجر : ٩٩ .
(٢) الإسراء : ٨٥ .
(٣) الشعراء : ٢٩ .
(٤) النازعات : ٢٤ .

وفاته خولا ، واستباح بذلك أموالهم بقوله : **"لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى"**(١) ، فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون ، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج" .

ثم قال لسليمان بن الحسن فى هذه الرسالة : " . . . وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ، وفى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس ، فهنيئاً لكم ما نلتم من الراحة عن أمرهم" .(الفرق بين الفرق ص ٢٨١ - ٢٨٢) .

ومن جملة تأويلاتهم الباطلة التى يتوصلون بها إلى هواهم النفسى ، ومأربهم الشخصى ، أنهم بعد أن يلقوا على المدعو ما يشككونه به ، وتتطلع إلى معرفته من جهتهم نفسه ، يقولون له : لا نظهره إلا بتقديم خير عليه ، فيطلبون مائة وتسعة عشر درهماً من السبيكة الخالصة . ويقولون : هذا تأويل قوله تعالى : **"وأقرضوا الله قرضاً حسناً"**(٢) ، فالحاء والسين والنون والألف إذا جمع عددها بحساب الجمل يكون مبلغه مائة وتسعة عشر" . (التبصير فى الدين ص ٨٧) .

ومن ذا الذى قال إن القرآن يخضع فى تفسيره وفهم معانيه إلى حساب الجمل ؟ .. اللهم إن هذا لا يصدر إلا عن مخرّف أو زنديق يريد أن يضل الناس ويحتال على سلب أموالهم بدعوى يدعيها على كتاب الله ! !

كذلك نجد الباطنية يحرصون على نفى وجود الإله الحق ، والنبى المرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، ليتوصلوا بذلك إلى رفع التكاليف ، فنراهم يقولون للمبتدئ : "إن الله خلق الناس واختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيستحسن المبتدئ هذا الكلام ، ثم يقول له : أتدرى من محمد ؟ فيقول : نعم ، محمد رسول الله ، خرج من مكة ، وادعى النبوة ، وأظهر

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) المزمل : ٢٠ .

الرسالة ، وعرض المعجزة . فيقول له : ليس هذا الذى تقوله إلا كقول هؤلاء الحمير - يعنون به المؤمنين من أهل الإسلام - إنما محمد أنت ، فيستعيذ السامع ويقول : لست أنا محمداً ، فيقول له : الله تعالى وصفه فى هذا القرآن فقال : **"لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"**(١) ، وهؤلاء الحمير يقولون : من مكة . . .فيقول له الغر الغمر : على أى معنى تقول أنا محمد ؟ فيقول : خلقك وصوّرك خلقة محمد ، فالرأس بمنزلة الميم ، واليدان بمنزلة الحاء ، والسرة بمنزلة الميم ، والرجلان بمنزلة الدال ، وكذلك أنت علىّ أيضاً ، عينك هى العين ، والأنف هى اللام ، والفم الياء" . (التبصير فى الدين ص ٨٧ - ٨٨) .

وبهذا يوهمه أنه هو محمد الذى جاء ذكره فى القرآن ، أما ما يدعى من وجود رسول أسمه محمد ، فهذا ظاهره غير مراد .

ولأجل أن يوهمه أيضاً بأنه لا إله موجود على الحقيقة ، وما جاء فى القرآن من ذلك فظواهر غير مرادة ، نجده يقول للمبتدئ : إن المراد بإثبات الذات يرجع إلى نفسك ، ويؤولون عليه قوله تعالى : **"فليعبدوا رب هذا البيت"**(٢) ، ويقولون : الرب هو الروح والبيت هو البدن .

ولقد وصل الغلو ببعض الباطنية إلى ادعاء ألوهية محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وأنه هو الذى كلم موسى بقوله : **"إنى أنا ربك فاخلع نعليك"**(٣) ، وفى هذا يروى لنا البغدادى صاحب "الفرق بين الفرق" قصة رجل دخل فى دعوة الباطنية ، ثم وفقه الله لتركها والرجوع لرشده . . يحكى هذا الرجل قصته للبغدادى فيقول : " إنهم لما وثقوا بإيمانه قالوا له : إن المسمين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة : كانوا أصحاب نواميس ومخاريق ، أحبوا الزعامة على العامة ، فخدعوهم بنيرنجات ، واستعبدوهم بشرائعهم - قال

(١) التوبة : ١٢٨ . (٢) قريش : ٣ .
(٣) طه : ١٢ .

الحاكى للبغدادى : ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بأن قال : ينبغى أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذى نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له : "**إنى أنا ربك فاخلع نعليك**" . . . ثم قال : فقلت : "سخنت عينك "، تدعونى إلى الكفر برب قديم خالق للعالم ، ثم تدعونى مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق ، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهاً مُرسلاً لموسى ؟ فإن كان موسى عندك كاذباً ، فالذى زعمت أنه أرسله أكذبَ" فقال : إنك لا تفلح أبداً ، وندم على إفشاء أسراره إلىَّ وتبت من بدعتهم" . (الفرق بين الفرق ص ٢٨٨) .

فانظر إليهم - لعنهم الله - كيف يصرفون القرآن عن أن يكون الله هو المتكلم به ، ويدَّعون أنه كلام إلههم المزعوم محمد بن إسماعيل ! !.. أليس هذا غلواً فى الإلحاد ؟ وإغراقاً فى الكفر والعناد ؟

وبين أيدينا كتاب "أسرار الباطنية" ، وهو يكشف لنا عن نواياهم ويفضح أسرارهم وخباياهم ، وهو لمحمد بن مالك اليمانى أحد علماء القرن الخامس الهجرى ، ولا أريد أن أطيل على القارئ بذكر ما فيه من مخازى القوم ، ولكن أكتفى بذكر نبذة من الكتاب . ضمنها المصنف ما شهده بنفسه من ضلالهم وإضلالهم ، وذلك حين اندس بينهم متظاهراً بدخوله فى زمرتهم ، ليقف بنفسه على ما بلغه عنهم من أباطيل وأضاليل ، وإنما اخترت هذه النبذة بالذات ، لأنها تعطينا فكرة واضحة عن مقدار تلاعب الباطنية بكتاب الله تحت ستار التأويل ، وعن مبلغ استهزائهم بعقول العامة الذين وقعوا فيما نصبوه لهم من الأحابيل ! !

● مقالة محمد بن مالك اليمانى فى الباطنية :

يقول محمد بن مالك اليمانى : "أول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين وأوضحه ، أن له - يريد على بن محمد الصليحى زعيم باطنية اليمن فى وقته - نواباً يسميهم الدعاة المأذونين وآخرين يلقبهم المكلبين ، تشبيهاً لهم بكلاب الصيد ، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ، ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويُلَبِّسون على كل جاهل ، بكلمة

حق يُراد بها الباطل ، ويحضونه على شرائع الإسلام ، من الصلاة والزكاة والصيام ، كالذى ينشر الحب للطير ليقع فى شركه ، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحّرفون الكلم عن مواضعه ، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يُعلّمونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه ، واعرف مثله وممثوله ، واعرف معانى الصلاة والطهارة ، وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بالرموز والإشارة ، دون التصريح فى ذلك والعبارة ، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة ، لممثولات محجوبة ، فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه ، فيقول : عم أسأل ؟ فيقول : قال الله تعالى : "**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**"(١) ، فالزكاة مفروضة فى كل عام مرة ، وكذلك الصلاة ، من صّلاها مرة فى السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضاً فالصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان ، والزكـاة زكاتان ، والصوم صومان ، والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن ، يدل على ذلك : "**وذروا ظاهر الإثم وباطنه**" (٢) ، "**قل إنما حرّم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن**"(٣) ، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ؟ فالظاهر ما تساوى به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به ، فلا يعرفه إلا القليل ، من ذلك قوله : "**وما آمن معه إلا قليل**"(٤) ، وقوله : "**وقليل ما هم**"(٥) ، وقوله : "**وقليـل من عبادى الشـكور**"(٦) . فالأقل من الأكثر الـذين لا عقول لهم .

(١) البقرة : ٤٣ ، وفى مواضع أخرى من القرآن .
(٢) الأنعام : ١٢٠ .
(٣) الأعراف : ٣٣ .
(٤) هود : ٤٠ .
(٥) سورة ص : ٢٤ .
(٦) سبأ : ١٣ .

و«الصلاة» و«الزكاة» سبعة أحرف [١] دليل على محمد وعليّ صلى الله عليهما ، لأنهما سبعة أحرف ، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعليّ ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة ، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة ، لأن مذهب الراحة والإباحة يريحهم مما تلزمهم به الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله ، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا قالوا له : قرّب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى ، ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك هذا الإصر ، فيدفع اثنى عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداغى : يا مولانا ، إن عبدك فلاناً قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الإصر ، وهذا نجواه اثنا عشر ديناراً ، فيقول : اشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له : **"ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم"** [٢] . فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة ويهنئونه ويقولون : الحمد لله الذى وضع عنك **"وزرك . الذى أنقض ظهرك"** [٣] ثم يقول له ذلك الداعى - الملعون - بعد مدة : قد عرفت الصلاة وهى أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم أسأل ؟ فيقول له : سل عن الخمر والميسر اللذين نهى الله تعالى عنهما : هما أبا بكر وعمر لمخالفتهما على عليّ ، وأخذهما الخلافة دونه ، فأما ما يُعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الأرض ، ويتلو عليه : **"قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق"** [٤] . . إلى آخر الآية . ويتلو عليه . : **"ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا"** [٥] .. إلى آخر الآية ، والصوم : الكتمان فيتلو عليه : **"فمن شهد منكم الشهر فليصمه"** [٦] . يريد كتمان الأئمة فى

---

(١) لعله عدّهما سبعة بحذف إحدى الألفين لتكرارها فى الكلمتين .
(٢) الأعراف : ١٥٧ .
(٣) الشرح : ٢، ٣ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .
(٥) المائدة : ٩٣ .
(٦) البقرة : ١٨٥ .

وقت استتارهم خوفاً من الظالمين ، ويتلو عليه : "**إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً**"(١) ، فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال : فلن أطعم اليوم شيئاً ، فدلّ على أن الصيام الصموت ، فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً ، وينهمك إلى قول ذلك الداعى الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء .. ثم يقول له : ادفع النجوى تكن لك سلماً ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم ، فيدفع اثنى عشر ديناراً ، فيمضى به إليه فيقول : يا مولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الأكل فى رمضان ، فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟ فيقول : نعم . فيقول : قد وضعت عنه ذلك ، ثم يقيم بعد ذلك مدة ، فيأتيه ذلك الداعى الملعون فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هى ، ومعنى الجنابة ما هى فى التأويل ، فيقول له : فسر لى ذلك . فيقول له : اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة هى موالاة الأضداد أضداد الأنبياء والأئمة . فأما المنى فليس بنجس ، منه خلق الله الأنبياء والأولياء ، وأهل طاعته ، وكيف يكون نجساً وهو مبدأ خلق الإنسان ، وعليه يكون أساس البنيان ؟ فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنهما نجسان ، وإنما معنى "**وإن كنتم جنباً فاطهروا**"(٢) ، معناه : وإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذى هو حياة الأرواح ، كالماء الذى هو حياة الأبدان ، قال تعالى : "**وجعلنا من الماء كل شئ حى**"(٣) ، وقوله : "**فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق**"(٤) ، فلما سماه الله بهذا دل على طهارته ، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعى أن يدفع اثنى عشر ديناراً ، ويقول : يا مولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة وهذا قربانه إليك ، فيقول : اشهدوا أنى قد أحللت له ترك

---

(١) مريم : ٢٦ .
(٢) المائدة : ٦ .
(٣) الأنبياء : ٣٠ .
(٤) الطارق : ٥، ٦ .

الغسل من الجنابة ، ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعى الملعون : قد عرفت أربع درجات ، وبقى عليك الخامسة ، فاكشف عنها ، فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ، ويتلو عليه : **"فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين"**(١) ، فيقول له : ألهمنى إياها ودلنى عليها ، فيتلو عليه : **"لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد"**(٢) ، ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا ؟ فيقول : وكيف لى ذلك ؟ فيتلو عليه : **"وإن لنا للآخرة والأولى"**(٣) ، ثم يتلو عليه : **"قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة"**(٤) ، والزينة ههنا : ما خفى على الناس من أسرار النساء التى لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك ، وذلك قوله : **"ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن"**(٥) ، والزينة مستورة غير مشهورة ، ثم يتلو عليه : **"وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون"**(٦) .. فمن لم ينل الجنة فى الدنيا لم ينلها فى الآخرة ، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب ، وأهل العقول دون الجهال ، لأن المستحسن من الأشياء ما خفى ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة ، وسميت الجن جنًا لاختفائهم عن الناس ، والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها ، والترس المجن لأنه يُستتر به ، فالجنة ههنا : ما استتر عن هذا الخلق المنكوس الذين لا علم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكاً ، ويقول لذلك الداعى الملعون : تلطف فى حالى ، وبلغنى إلى ما شوقتنى إليه ، فيقول : ادفع النجوى اثنى عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلمًا ، فيمضى به فيقول : يا مولانا ، إن عبدك فلاناً قد صحت سريرته ، وصفت خبرته وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الأحكام ، وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟ فيقول : يا مولانا ، قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابراً ، ولأنعمك شاكراً ، فيقول : علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبى مرسل ، أو ملك مقرب ، أو عبد امتحن الله

---

(١) السجدة : ١٧ .
(٢) سورة ق : ٢٢ .
(٣) الليل : ١٣ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .
(٥) النور : ٣١ .
(٦) الواقعة : ٢٢، ٢٣ .

قلبه بالإيمان ، فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه وبينها ، فيقول : سمعاً وطاعة لله ولمولانا ، فيمضي به إلى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال : قوما قبل أن يعلم نبأنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكر ذلك المخدوع ويدعو له ، فيقول له : ليس هذا من فضلى ، هذا من فضل مولانا ، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعى الملعون ، ثم يقول له : لابد لك أن تشهد هذا المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانك ، فيدفع اثنى عشر ديناراً ويصل به ويقول : يا مولانا ، إن عبدك فلاناً يريد أن يشهد المشهد الأعظم ، وهذا قربانه ، حتى إذا جن الليل ، ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس ، وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا السراج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه فى يده ، ثم يأمر المقتدى زوجته أن تفعل كفعل الداعى الملعون وجميع المستجيبين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له ، فيقول له : ليس هذا من فضلى ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ، ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ، ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذى حَرَّم عليكم جهالكم : **"وما يُلقَّاها إلا الذين صبروا وما يُلقَّاها إلا ذو حظ عظيم"**(١) .

قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى - هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى عليٌّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليٌّ بجميع ما ذكرته عالم به ، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين ، والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم ، وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته .. " . (كشف أسرار الباطنية ص ١١ - ١٦) .

---

(١) فصلت : ٣٥ .

وبعد .. ألست ترى معى أن تأويلهم للقرآن تأويل فاسد لا يقوم على أساس ولا يستند إلى برهان ، وإنما هى أوهام وأباطيل ، غرروا بها ضعاف العقول ليسلخوهم من الدين ، وليدخلوهم فى زمرة الملحدين وحزب الشياطين ؟ أعتقد ذلك ، وأظن أن سؤالا يدور بخلد القارئ هو : كيف نجزم بنسبة هذه التأويلات كلها إلى الباطنية مع وجود التناقض والاختلاف بين بعض المعانى التى نقلت عنهم للفظ الواحد ؟ أليس هذا دليلا على عدم صحة كل ما ينسب إليهم ؟ والحق أن السؤال وارد ، ولكنه مدفوع بما ذكره الغزالى من أن سر هذا الاضطراب راجع إلى أنهم كانوا لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد ، بل غرضهم الاستتباع والاحتيال ، فلذلك تختلف كلمتهم ويتفاوت نقل المذهب عنهم . (فضائح الباطنية ص ٨) .

* * *

• موقف متأخرى الباطنية من تفسير القرآن الكريم :

قلنا إن الباطنية يُعرفون بأسماء عدة ، وقلنا إنه لا تزال منهم بقية إلى يومنا هذا فى كثير من بلاد المسلمين ، والآن أزيدك على ما تقدم أن الباطنية يوجدون بالهند ، ويُعرفون بالبهرة أو الإسماعيلية ، وزعيمهم أغا خان الزعيم الإسماعيلى المعروف . ويوجدون فى بلاد الأكراد ويُعرفون بـ"العلوية" حيث يقولون : علىّ هو الله . ويوجدون فى تركيا ويُعرفون بـ"البكداشية" وفى مصر جماعة من البكداشية من أصل ألبانى يقيمون فى الجبل المعروف بالمغاورى [١] . ويوجدون فى بلاد العجم ويُعرفون بـ"البابية" ويوجدون فى فلسطين ويعرفون بـ"البهائية" ومنهم جماعات فى بلاد متفرقة[٢] ، وتوجد بالهند فرقة أخرى من الباطنية هى "القاديانية" ، وهى أحدث فرقهم عهدا ، وأقربها ظهورا .

---

(١) لما قامت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ طردت جماعة البكداشية من مصر وذلك لما ظهر من فساد حالهم وسوء فعالهم .

(٢) ومن محاسن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، طرد البهائيين من مصر ، والاستيلاء على مركزهم العام ، وتحويله إلى جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وقد تم ذلك فى حفل عام سنة ١٩٦١ .

هذه الفرق التى تنتشر بين المسلمين إلى اليوم لابد أن يكون لكل منها رأى فى التأويل الباطنى للقرآن الكريم ، يتفق مع مبدئها ومشربها .

ولا بد أن يكون لعلمائها تأويلات قرآنية يميلون بها نحو مذاهبهم وعقائدهم . غير أننا لم نقف على شئ من ذلك ، اللهم إلا شيئاً يسيراً للبابية والبهائية .

لهذا قصرنا كلامنا على هذه الطائفة[1] وموقفها من كتاب الله تعالى ،لأن ما وصلنا عنها - وإن قل - فهو يعطينا فكرة ولو إلى حد ما عن موقفها من تفسير القرآن الكريم .

واعتمادنا فى كل ما نكتب على بعض الكتب التى وصلتنا عنهم ، وعلى ما نشر فى المجلات العلمية من البحوث التى تدور حولهم ، فنقول وبالله التوفيق :

• البابية والبهائية :

البابية : نسبة إلى الباب ، وهو لقب ميرزا على محمد ، الذى ابتدع هذه النحلة ، وإليه تنسب هذه الطائفة ، باعتباره المؤسس الأول لها .

والبهائية : نسبة إلى بهاء الله ، وهو لقب ميرزا حسين على ، الزعيم الثانى للبابية ، وإليه تنسب هذه الطائفة ، باعتباره المؤسس الثانى لها .

وأصل نشأة هذه الطائفة : أن ميرزا على محمد ، الملقب بالباب ، والمولود فى سنة ١٢٣٥هجرية ، توفى عنه والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه ، فربى فى حجر خاله ميرزا سيد على ، ونشأ معه فى مدينة شيراز

(١) البابية والبهائية فى واقع الأمر طائفة واحدة ، نسبت إلى الباب زعيمها الأول فقيل لها بابية ، ثم نسبت إلى البهاء زعيمها الثانى ، فقيل لها بهائية كما هو موضح بعد .

بجنوب إيران ، واشتغل معه بالتجارة ، ولما بلغ سنه الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب - والباب عند الشيعة معناه نائب المهدى المنتظر - وكان ادعاؤه هذا فى سنة .١٢٦هجرية ، وما لبث أن وصلت هذه الدعوة إلى طائفة من الجاهلين فصدقوا بها ، وتتابعوا عليها ، وكان عدد من صدقه فى أول الأمر ثمانية عشر رجلا ، فسماهم بكلمة "حى" لأن عدد حرفيها بحساب الجمل ثمانية عشر ، ثم أمر أتباعه هؤلاء بالانتشار فى إيران وبلاد العراق ، يبشرون به وبدعوته ، وأوصاهم بكتمان اسمه حتى يظهرد هو بنفسه . ولما حج وفرغ من أعمال الحج أعلن دعوته فى المجمع الكبير فاشتهر اسمه ، وذاعت دعوته ، فثارت عليه طوائف المسلمين ، وقاموا فى سبيل دعوته يحاربونها بكل الوسائل .

وقد عقد بعض الولاة بين العلماء وبين الباب مناظرات أظهرت ما فى دعوته من غواية وضلال ، فكفَّره بعض العلماء ، ورماه بعض آخر منهم بالجنون ، فاعتقله الوالى فى سجن شيراز ، ثم فى سجن أصفهان ، ثم فى طهران ، ثم فى أذربيجان . وفى عهد السلطان ناصر الدين شاه اشتدت الخصومة بين البابيين ومخالفيهم ، وقامت بينهم حرب طاحنة كان من نتائجها أن أمر الصدر الأعظم بقتل الباب ، فعُلق فى ميدان مدينة تبريز ، وقُتِل رمياً بالرصاص ، وذلك فى سنة ١٢٦٥ هجرية .

وبعد قتله اختلف أتباعه على أنفسهم فى شأن من ينوب عنه ، وظهرت من بعض أتباعه دعاوى مختلفة ، من قبيل النبوة ، والوصاية ، والولاية . وأمثالها . وظلوا على هذا الأمر إلى أن حاول بعضهم اغتيال ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٨هجرية إنتقاماً لزعيمهم الباب ، ولما خاب سعيهم وفشلوا فى هذه المؤامرة ، أخذت الحكومة تضطهد زعماء البابيين ، وتسوقهم إلى التحقيق ، فقُتِل من قُتِل ونُفِى من نُفِى ، وكان من بين زعمائهم فى هذا الوقت - وقت الاضطهاد - ميرزا حسين علىّ الملقب فيما بعد : "بهاء الله" .

* * *

● بهاء الله :

ولد بهاء الله سنة ١٢٣٣ هجرية ، وكان ابنه ميرزا عباس من كبار وزراء الدولة فى وقته ، فلما قام الباب واشتهر أمره صدَّقه بهاء الله ، فاشتد به أزر البابيين وكثرت جماعتهم ، ولما حدثت حادثة سنة ١٢٦٨ هجرية ، وهى محاولة اغتيال ناصر الدين شاه ، قُبض على بهاء الله وسُجن نحو أربعة أشهر ، ثم أفرِجَ عنه وأبعد إلى العِراق ، فدخل بغداد سنة ١٢٦٩ هجرية ، ومكث بها اثني عشر عاماً ، يدعو الناس إلى نفسه ، ويزعم أنه هو الموعود به الذى أخبر عنه الباب ، وكان يشير إليه بلفظ "من يظهره الله" وهناك تجمع حوله بعض أتباعه الذين لحقوا به من البابيين ، وتسموا حينئذ بالبهائيين ، ووقعت بينهم وبين شيعة العراق فتنة كادت تفضى إلى قيام حرب أهلية بين الفريقين ، فقررت الحكومة العثمانية فى ذلك الوقت إرسال بهاء الله إلى الآستانة ، فأرسل إليها ومكث بها نحوا من أربعة أشهر ، ثم نُفِى إلى أدرنة[١] ومكث بها نحواً من خمس سنوات ، ثم نُفِى منها إلى عَكا من بلاد الشام سنة ١٢٨٥ هجرية ، وبقى بها إلى أن مات سنة ١٣٠٩ هجرية ، فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس (المولود سنة ١٨٤٤ والمتوفى سنة ١٩٢١) والملقب : "عبد البهاء" فأخذ يدعو إلى هذا المذهب ، ويتصرف فيه كيف يشاء ، فلم يرض هذا الصنيع أتباع البهاء فانشقوا عليه ، والتف فريق منهم حول أخيه الميرزا علىّ ، وألفُّوا كتباً فى الطعن على عبد البهاء يتهمونه فيها بالمروق من دين البهاء[٢] .

* * *

(١) وقع بين أتباع البهاء وأتباع أخيه يحيى الملقب بصبح أزل - وكان ممن رفض دعوى أخيه . وأتباعه يعرفون بالأزلية - فتنة فى أدرنة ، فأمرت الحكومة العثمانية بإبعاد الفريقين من أدرنة فنفت البهاء وأتباعه إلى عكا ، ونفت يحيى وأتباعه إلى قبرص .

(٢) لخصنا هذا البحث التاريخى من مقال لأبى الفضائل الإيرانى منشور بمجلة المقتطف الجزء التاسع ، السنة العشرين ، ومن مقال السيد محمد الخضر حسين منشور بمجلة نور الإسلام - مجلة الأزهر فيما بعد - العدد الخامس من السنة الأولى .

● الصلة بين عقائد البابية وعقائد الباطنية القدامى :

بالرغم من أن هذه الفرقة لم تظهر إلا قريباً ، فإنا نجدها ليست بالفرقة المحدثة فى عقائدها وتعاليمها ، بل هى فى الحقيقة ونفس الأمر وليدة من ولائد الباطنية ، تغذت من ديانات قديمة ، وآراء فلسفية ، ونزعات سياسية . ثم درجت تحذو حذو الباطنية الأوَل ، وتترسم خطاهم فى كل شئ ، وتهذى فى كتاب الله ، فتأولته بمثل ما تأولوه : لتصرف عنه قلوباً تعلقت به ونفوساً اطمأنت إليه .

والذى يقرأ تاريخ الباطنية الأول ، ويطلع على ما فى كتبهم من خرافات وأباطيل ، ثم يقرأ تاريخ البابية والبهائية ، ويطلع على ما فى كتبهم من خرافات وأباطيل ، لا يسعه إلا أن يحكم بأن روح الباطنية حلّت فى جسم ميرزا علىّ ، وميرزا حسين علىّ ، فخرجت للناس أخيراً باسم البابية والبهائية .

تقوم دعوة قدماء الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية ، وينفذون إلى عقول العامة بإظهارهم الحب والتشيع ، بل والانتساب إلى آل البيت ، ثم يصلون إلى أهوائهم ومآربهم بصرفهم القرآن إلى معانٍ باطنية لا يقبلها العقل ، ولا تمت إلى الدين بسبب ، وعلى هذا الأساس قامت دعوة البابية والبهائية ، وبمثل هذه الوسيلة وصلوا إلى أغراضهم وأهوائهم ، وإليك ما يوضح ذلك :

أولا : فى الباطنية من يدعى النبوة لنفسه أو يدعيها لغيره ، وميرزا علىّ الملقب بالباب يدّعى أنه رسول للناس من قبَل الله تعالى ، وله كتاب اسمه "البيان" ادعى أنه مُنَزَّل عليه من عند الله تعالى . وقد جاء فى رسالة بعث بها الباب إلى العلامة الآلوسى صاحب التفسير المعروف ، يدعوه فيها إلى الإيمان به : "إننى أنا عبد الله ، قد بعثنى بالهدى من عنده" وسمى فى هذه الرسالة مذهبه دين الله فقال : " ومن لم يدخل فى دين الله ، مثله كمثل الذين لم يدخلوا فى الإسلام" . (رسائل الإصلاح جـ ٣ ص ٩٨) .

ولا نعلم ماذا أجاب به الآلوسى على هذه الرسالة ، وإن كنا نعلم رأيه فى هذه الطائفة عندما تعرض لتفسير قوله تعالى : **"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين"**(١) ، وذلك حيث يقول : "وقد ظهر فى هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية ، لهم فى هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم فى سلك ذوى العقول ، وقد كاد يتمكن عرقهم من العراق لولا همة واليه النجيب الذى وقع على همته وديانته الاتفاق ، حيث خذلهم - نصره الله - وشتت شملهم ، وغضب عليهم - رضى الله تعالى عنه - وأفسد عملهم . فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيراً ، ودفع عنه فى الدارين ضيماً وضيراً" . (روح المعانى جـ ٢٢ ص ٣٩) .

وكذلك ادعى زعيمهم الثانى الملقب ببهاء الله : أنه رسول من عند الله ، جاء لتأسيس الإسلام على الأرض ، وبين أيدينا كتاب بهاء الله ، ويطلق عليه اسم "الكتاب" قرأنا فيه فوجدناه يقول :

"لعمر الله إن البهاء ما نطق عن الهوى ، قد أنطقه الذى أنطق الأشياء بذكره وثنائه ، لا إله إلا هو الفرد الواحد المقتدر المختار" .(الكتاب ص ٧) .

"لعمرى ما أظهرت نفسى ، بل الله أظهرنى كيف أراد ، إنى كنت كأحد من العباد ، وراقداً على المهاد ، مرت على نسائم السبحان ، وعلمنى علم ما كان . ليس هذا من عندى بل من لدن عزيز عليم . وأمرنى بالنداء بين الأرض والسماء ، بذلك ورد على ما ذرفت به دموع العارفين . ما قرأت ما عند الناس من العلم ، وما دخلت المدارس ، فاسأل المدينة التى كنت فيها لتوقن بأنى لست من الكاذبين" . (الكتاب ص ٩) .

"قل قد أتى المختار ، فى ظل الأنوار ، ليحيى الأكوان ، من نفحات اسمه الرحمن ، ويتحد العالم ، ويجتمعوا على هذه المائدة التى نزلت من السماء" . (الكتاب ص ٣٥) .

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .

ويرى الباب أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية ، فابتدع لأتباعه أحكاماً خالف بها ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، فجعل الصوم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها ، وعين لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعى . بحيث يكون عيد الفطر عندهم يوم "النيروز" على الدوام ، وفى كتاب البيان : " .. أيام معدودات . وقد جعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها" . (رسائل الإصلاح جـ ٣ ص ٩٩) .

كذلك يرى بهاء الله أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية ، ويقرر ذلك فى كتابه فيقول : "لو كان القديم هو المختار عندكم ، لما تركتم ما شرع فى الإنجيل ، بينوا ياقوم .. لعمرى ليس لكم اليوم من محيص . إن كان هذا جرمى فقد سبقنى فى ذلك محمد رسول الله ، ومن قبله الروح ، ومن قبله الكليم . وإن كان هذا ذنبى إعلاء كلمة الله وإظهار أمره ، فأنا أول المذنبين . لا أبدل هذا الدين بملكوت السموات والأرضين" . (كتاب بهاء الله ص ٣٩) .

وقرر البهاء أن الدين قسمان : عملى وروحانى ، فالقسم الروحانى – وهو مظاهر الألوهية والنبوة – غير قابل للتبديل . والقسم العملى – وهو المتعلق بالصور والأشكال الخارجية – قابل للتغيير ، وعلى هذا المبدأ جعل لأتباعه الصلاة تسع ركعات فى اليوم والليلة ، وجعل قبلتهم فى الصلاة أين يكون هو !! وفى هذا يقول : "إذا أردتم الصلاة فولّوا وجوهكم شطرى الأقدس" .(رسائل الإصلاح جـ ٣ ص ٩٩) .

وسوّى بين الرجل والمرأة فى الحقوق الشرعية والسياسية ، وقرر عقوبات مالية للزنا والسرقة وغيرهما ، ومنع التسرى ، وحرّم الزواج بأكثر من واحدة ، وقيد لهم الطلاق وصعّبه ، وحجته فى هذا كله : أن جميع الأديان أضحت لا تصلح لإصلاح العالم ، فلابد من دين جديد يوافق هذا العصر .. عصر التقدم المادى العظيم . وهذا الدين الذى جاء به هو الذى يصلح فى نظره لمسايرة هذا العصر دون غيره[1] .

---

(١) انظر مقال أبى الفضائل فى المقتطف العدد التاسع من السنة العشرين ، وانظر المحاضرة التى ألقاها عبد العزيز نصحى عن البهائيين بدار جمعية الهداية الإسلامية .

ثانياً : منع الحسن بن الصباح وغيره من زعماء الباطنية ، العوام من دراسة العلوم ، والخواص من النظر فى الكتب المتقدمة . وفعل الباب مثل ذلك فحرَّم فى كتابه "البيان" التعليم وقراءة كتب غير كتبه ، فكان من وراء ذلك أن حرق أتباعه القرآن الكريم ، وما فى أيديهم من كتب العلم ، ولكن بهاء الله أدرك أن هذا التحجير قد يصرف بعض الناس عن دعوته ، فنسخ ذلك التحجير ، وذلك حيث يقول فى كتابه المسمى بـ"الأقدس" : "قد عفا الله عنكم ما نزل فى البيان من محو الكتب ، وآذنا بكم أن تقرأوا من العلوم ما ينفعكم" . (رسائل الإصلاح جـ ٣ ص . . ١) .

ثالثاً : من الباطنية من يدَّعى حلول الإله فى بعض الأشخاص ، كالقرامطة الذين يدَّعون حلول الإله فى إمامهم محمد بن إسماعيل . ونجد مثل هذه الدعوى متجلية فى بعض مقالات البابية ، فهذا بهاء الله يقول فى "الكتاب" : "لنا مع الله حالات نحن فيها هو ، وهو نحن ، ونحن نحن" . (الكتاب ص ٣٣) .

وهذا عباس الملقب بعبد البهاء يقول : "وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجئ رب الجنود والأب الأزلى ، ومخلِّص العالم الذى لابد منه فى آخر الزمان ، كما أنذر جميع الأنبياء ، عبارة عن تجليه فى الهيكل البشرى ، كما تجلى فى هيـكل عيسى الناصرى ، إلا أن تجليه فى هذه المرة أتم وأكمل وأبهى ، فعيسى وغيره من الأنبياء هيأوا الأفئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلى الأعظم" . (رسائل الإصلاح جـ ٢ ص . . ١) .

يريد بهذا : أن الله تجلى فيه بأعظم من تجليه فى أجسام الأنبياء على ما يزعم .

وهذا أبو الفضل الإيرانى أحد دعاتهم يقول : " ... فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند إلى الله من العزة ، والعظمة ، والقدرة ، والعلم ، والحكمة ، والإرادة ، والمشيئة ، وغيرها من الأوصاف ، إنما يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره ، ومطالع نوره ، ومهابط وحيه ، ومواقع ظهوره". (رسائل الإصلاح جـ ٢ ص . . ١) . ومثل هذا كثير فى كلام زعمائهم ودعاتهم .

رابعاً : يدّعي الباطنية رجوع الإمام المعصوم بعد استتاره ، ويحصرون مدارك الحق فى أقواله . والبهائية يقولون هذا القول ويثبتونه فى كتبهم .

يقول بهاء الله فى "الكتاب" : "يسند القائم ظهره إلى الحرم ، ويمد يده المباركة ، فترُى بيضاء من غير سوء ، ويقول : هذه يد الله ، ويمين الله ، وعين الله ، وبأمر الله أنا الذى لا يقع عليه اسم ولا صفة ، ظاهرى إمامة ، وباطنى غيب لا يَدرك" . (الكتاب ص ٨٣) .

وقد عرفت أن البابية والبهائية يُعبرون عن الإمام المعصوم بـ"من سيظهره الله" ، ويزعمون أنه هو الذى يعرف تأويل ما جاءت به الرسل عليهم السلام .

خامساً : من مبادئ قدماء الباطنية التفرس . وعلى هذا المبدأ منعوا التكلم بآرائهم فى بيت فيه سراج - أى فقيه أو متعلم - والبهائية يسيرون على هذا المبدأ وإليك ما يثبت ذلك :

أرسل إلى أبى الفضائل الإيرانى بعض إخوانه كتاباً يرجوه فيه أن يرد على مقال كتبه جرجس صال الإنجليزى بإمضاء هاشم الشامى ، والمقال يتضمن توجيه الاعتراضات على فصاحة القرآن الكريم ، فاعتذر أبو الفضائل عن ذلك فى رسالة أرسل بها إلى صاحبه يقول فيها :

"...إن هناك موانع جمة ، أعظمها وأشدها مانع كبير لا يستسهل العاقل تذليل صعوباته ، ولا يتسنم النبيه متن صهواته ، حيث إن قلوب الذين اكتفوا من الإسلام باسمه ، ومن القرآن برسمه ، تغذت فى مدة مديدة ، وأزمنة غير وجيزة بقشور المطالب ، وألفت سفاسف المسائل حتى بعدت عن لباب الكتاب ، وجهلت حقيقة معانى الخطاب ، فلو كشفنا عن حقائق الإشارات ، وأظهرنا المعانى المقصودة من ظواهر العبارات ، فطلعت صور الحقائق المقصورة فى قصر الآيات ، وتهللت وجوه المعانى المستورة فى خدور الاستعارات ، لندفع تلك الردود والاعتراضات ، ونظهر بطلان تلك الإيرادات والانتقادات ، تثور أولا أحقاد جهلائنا ،

ويرتفع نعيب سفهائنا ، وينادون بالويل والثبور ، ويثيرون الأحقاد الكامنة في الصدور ..."

ثم يقول لصاحبه في آخر الرسالة : " ... لتعلم حق العلم أني ما نسيت ولم أكره صفة من صفاتك ، ولا خلة من خلالك ، ولكن - والحق يقال - إنك نسيت وصية روح الله الواردة في سفر متى : "لا تلقوا جواهركم تحت أرجل الخنازير" حيث تجاهر بجواهر الأسرار ومعالي المعاني ، عند من لا يستحق أن تخاطبه وتلاطفه ، وتجالسه وتؤانسه ، فكيف أنه يكون مستودع الحكمة الإلهية ، والأسرار الربانية ، فتمسك بالحكمة ... وكن على جانب عظيم من الفطنة" . (رسائل أبي الفضائل ص ١٢٦ - ١٢٧)

ويقول في رسالة أرسلها إلى الشيخ فرج الله زكي الكردي أحد أتباعهم في مصر : "... واعلم يا حبيبي أنه سيدخل عليكم كثيرون ، ويتظاهرون بنوايا المتفحص الباحث ، ويظهرون السلم والوفاق ، وهم أهل النفاق وأصل الشقاق ، ومقصودهم معرفة أهل الإيمان ، واضطهاد أصحاب الإيقان كما تصرح وتنادي آي الفرقان : منها قوله تعالى : **"يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب"** إلى آخر الآيات[1] ، فتحكم الآية المباركة أنه لابد من دخول أهل النفاق على أصحاب الوفاق ، للاستطلاع والاستراق ، فلا يغرنك تحببهم وترفقهم ، ولا يخدعنك ملاينتهم وتملقهم ، فإن التهور والتعجيل يوجب الندم والافتضاح ، والتروي يكفل النجاح والفلاح . ومن الحكم المأثورة : "العجلة من الشيطان ، والتأني من الرحمن" . (رسائل أبي الفضائل ص١٣٨-١٣٩).

من كل ما تقدم ، يظهر لنا بوضوح : أن البابية والبهائية ليسوا أصحاب نحلة جديدة في تعاليمها ومعتقداتها ، وإنما هم قوم من أهل الباطن يريدون الكيد للإسلام باسم الإصلاح الديني ، وسيظهر لك من

---

(١) الحديد : ١٣ - ١٥ .

تأويلاتهم للقرآن - علاوة على ما سبق - أنهم ينهجون نهج الباطنية الأوَل ، ويترسمون خطاهم فى تحريفهم لكتاب الله ، والعبث بآياته[1] !!

* * *

• موقف البابية والبهائية من تفسير القرآن الكريم :

لم تحل عقائد البابية والبهائية بينهم وبين الاعتراف بالقرآن الكريم ، ولم يمنعهم موقفهم الشاذ من الرجوع إليه ليأخذوا منه الشواهد على دعاواهم الباطلة ، ومذاهبهم الفاسدة ، تمويهاً على العامة ، وتغريراً بعقول الأغبياء الجهلة .

* * *

• أبو الفضائل الإيرانى يعيب تفاسير أهل السنة :

ولم يكن فى وجوههم قطرة من الحياء تمنعهم من التنديد بتفاسير علماء أهل السنة وتحقيرها ، فهذا داعيتهم أبو الفضائل الإيرانى ، نجده فى رسالة أرسلها لصديق له ، يعيب على تفاسير أهل السنة فيقول : "...ولقد يدهش الإنسان ويتحير يا حبيبى من تعاليمهم الباطلة ، وتفاسيرهم المضحكة ، فإن أحباءنا الأمريكيين الذين تشرفوا بالوفود على الأرض المقدسة فى هذه الأيام الأخيرة ، قابلناهم فى بيروت ، وسافرنا معهم إلى الأرض الفيحاء مدينة حيفا ، أخبرونا بما يتحير منه الأريب ، ويدهش منه اللبيب ، كيف تقدمت كلمة الله فى تلك الأقطار البعيدة الشاسعة مع هذه التفاسير الباطلة الضائعة ، من النفوس الجاهلة الخادعة ؟ أليس ذلك من عظيم قدرة الله وشديد قوته ؟ وسطوع آياته وظهور بيناته" . (رسائل أبى الفضائل ص ٦٦) .

يعيب أبو الفضائل تفسير أهل السنة ، لأنه يرى فى زعمه أنه وأهل

---

(١) انظر إنتاج البابية والبهائية في التفسير ، ومثل من تأويلاتهم الفاسدة : "التفسير والمفسرون" جـ ٢ ص ٢٥٥ وما بعدها .

نحلته خير من يفهم القرآن ، ويعلم ما فيه من أسرار ورموز ، ويرى أنه ومن شاكله هم الراسخون فى العلم ، الذين يقفون على عجائب القرآن التى لايدل عليها إلا باطنه ، أما ما يعنى به مفسرو أهل السنة من الظواهر فليس فى زعمه من المعانى التى يرمى إليها القرآن ، وفى هذا يقول ما نصه : " . . . لو كان معانى آيات القرآن ما هو ظاهر يعرفه كل من يعرف اللغة العربية ، ويتلذذ منه كل من له إلمام بالعلوم الأدبية ، كيف يتم هذا القول - يريد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن القرآن : "إنه لا تنقضى عجائبه" - وكيف يصدق قول الله : **"وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم"**(١) . . . .(٢)

* * *

• الزيدية-وموقفهم من التفسير والقرآن الكريم :

لم يقع بين الزيدية من الشيعة ، وبين جمهور أهل السنة خلاف كبير مثل ما وقع من خلاف بين الإمامية وجمهور أهل السنة ، والذى يقرأ كتب الزيدية يجد أنهم أقرب فرق الشيعة إلى مذهب أهل السنة ، وما كان بين الفريقين من خلاف فهو خلاف لا يكاد يذكر .

يرى الزيدية : أن علياً أفضل من سائر الصحابة ، وأولى بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : إن كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخى خرج للإمامة صحت إمامته ، ووجبت طاعته ، سواء أكان من أولاد الحسن ، أم من أولاد الحسين ، ومع ذلك فهم لا يتبرأون من الشيخين ، ولا يكفرونهما ، بل يجوّزون إمامتهما ، لأنه تجوز عندهم إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، كما أنهم لم يقولوا بما قالت به الإمامية من التقيّة ، والعصمة للأئمة ، واختفائهم ثم رجوعهم فى آخر الزمان . وغير ذلك من خرافات الإمامية ومن على شاكلتهم .

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) رسائل أبى الفضائل ص ٧٦ و أنظر التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٢٢٧ - ٢٥٥ .

وكل الذى نلحظه على الزيدية ، أنهم يشترطون الاجتهاد فى أئمتهم ، ولهذا كثر فيهم الاجتهاد . وأنهم لا يثقون برواية الأحاديث إلا إذا كانت عن طريق أهل البيت . والذى يقرأ كتاب "المجموع" للزيدية يرى أن كل ما فيه من الأحاديث مروية عن زيد بن علىّ زين العابدين ، عن آبائه من الأئمة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه بعد ذلك حديث يرُوى عن صحابى آخر من غير أهل البيت رضى الله عنهم .

كما نلاحظ على الزيدية أيضاً أنهم تأثروا إلى حد كبير بآراء المعتزلة ومعتقداتهم ، ويرجع السر فى هذا إلى أن إمامهم زيد بن علىّ ، تتلمذ على واصل بن عطاء ، كما قلنا ذلك فيما سبق .

إذن فلا نطمع بعد ذلك أن نرى للزيدية أثراً مميزاً ، وطابعاً خاصاً فى التفسير كما رأينا للإمامية ، لأن التفسير إنما يتأثر بعقيدة مفسره ، ويتخذ له طابعاً خاصاً واتجاهاً معيناً ، حينما يكون لصاحبه طابع خاص واتجاه معين ، وليست الزيدية - بصرف النظر عن ميولهم الاعتزالية - بمنأى بعيد عن تعاليم أهل السنة ، وعقائدهم ، حتى يكون لهم فى التفسير خلاف كبير (١) .

* * *

(١) التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ . وانظر : أهم كتب التفسير عند الزيدية" ص ٢٧٠ وما بعدها من هذا الجزء نفسه .

١ بسم الله الرحمن الرحيم — سنة ١٩٦٠

الكتاب: أساس التأويل: طبع منشورات دار الثقافة، بيروت
المؤلف: الداعي الإسماعيلي: النعمان بن حيون التميمي المغربي، [illegible]
قاضي قضاة الدولة الفاطمية المتوفى سنة ٣٦٣ ثلاث وستين وثلاثمائة [illegible]
قال محقق الكتاب: الأستاذ عارف تامر في مقدمته (إنه - أي أساس التأويل - الكتاب الوحيد
بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الذي يعالج موضوعاً معيناً هو التأويل) والسفر النفيس
الذي مثل الفكرة الباطنية لهذا العلم تمثيلاً متزناً معقولاً، وعرضها عرضاً دقيقاً
مفصلاً) ... ثم قال "لقد كان التأويل في عهد الدعوة الإسماعيلية المبكر
وفي إبانه أن ازدهارها الموضوع الرئيسي لكل فكرة فلسفية باطنية، والشجرة التي نمت
وترعرعت ثم تفرع منها الأشجار الباطنية" وبلغة أصح: الأساس الذي ترتكز عليه دعائم
هذه الدعوة الفكرية، والغذاء الذي مون الفلسفة الباطنية بالحياة والخلود والبقاء
والدليل على ذلك كله اعتبار كتاب "أساس التأويل" لدى الإسماعيلية من الكتب الثمينة، [illegible]
[illegible] التعاليم الفاطمية الباطنية على سريتها وكتمان تعاليمها [illegible]
[illegible] الفاطميين [illegible] وكل [illegible]
وتعاليم باب الدعوة، وربما قال ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] الباطنية [illegible]
[illegible] ص ٦١
وقد لوحظ من الواضح أن التأويل معناه الباطني لدى الإسماعيلية [illegible]
[illegible] لدى عامة الفرق الباطنية الأخرى [illegible] المعنى الكلي [illegible]

الصفحة الأولى من الكراسة الأولى

ملحوظة هامة

القسم الرابع من

في آخر كتاب مزاج التسنيم توجد حروف الكتابة السرية وما يقابلها عنده بالحروف العربية على النحو الآتي :

J	T	ط	د	ح	ﻫ	8	Y	١	ع	ں	H	ﻝ	P	(J)	
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	
∧	(J)	V	B	X	ى	8	⊥	I	¥	X	II	٩	4		
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ى	لا		

وبناء على ذلك فك الرموز الموجودة بالكتاب ابتداء من أول سورة يونس إلى آخر ما وصل إليه من سورة العنكبوت . وقد وضعنا فك الرموز بالهامش نقلا عن الجدول الموجود بآخر الكتاب .

محمد حسن الأعظمي

بغداد في ٦/٥/١٩٦٢

الصفحة الأخيرة من الكراسة الأولى

١

"بسم الله الرحمن الرحيم"

فصول من كتاب الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ ، طبع إيران سنة ١٣٨١ هـ . الناشر مكتبة الصدوق

<u>الجامعة - القياس</u> ٢

روى بإسناده قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : هل علم ابن شبرمة عند الجامعة ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط علي عليه السلام بيده ، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً ، فيها علم الحلال والحرام ، إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً ، إن دين الله لا يصاب بالقياس .. ج ١ ص ٥٧ (١)

<u>علم علي رضي الله عنه</u>

وبسنده إلى سليم بن قيس الهلالي قال : قلت لأمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمدين ، ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ قال : فأقبل علي فقال : قد سألت فافهم الجواب : إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده ... إلى أن قال : وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم دخلة وكل ليلة .

للكلام بقية في مختصر كتاب الجامع .

الصفحة الأولى من الكراسة الثانية

(و) في سورة الذاريات عند قوله تعالى «إنكم لفي قول مختلف. يؤفك عنه من أفك» فقوله يروى عن أبي جعفر أنه قال «إنكم لفي قول مختلف» اختلاف في الولاية والإمامة ممن استقام على الولاية دخل الجنة ومن خالف في الولاية دخل النار. وأما قوله «يؤفك عنه من أفك» قال يعني الولاية، من أفك عن الولاية أفك عن الجنة، فذلك قوله «يؤفك عنه من أفك» (ج ٢ ص ٣٢٩)

وعند قوله تعالى في سورة المدثر (كل نفس بما كسبت رهينة) إلى قوله (لم نك من المصلين) روي عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصادق عليه السلام يا علي قوله عز وجل «كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر» فالمجرمون هم المنكرون لولايتك «قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين» فيقول لهم أصحاب اليمين ليس من هذا أوتيتم، فما الذي سلككم في سقر يا أشقياء، قالوا: وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين، فقالوا لهم هذا الذي سلككم في سقر يا أشقياء، ويوم الدين يوم الميثاق حيث جحدوا وكذبوا بولايتك وعتوا عليك واستكبروا.

وفي سورة النبأ عند قوله تعالى «يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون (ج ٢ ص ٤٠٢) إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا» فقوله يروى عن أبي عبد الله أنه قال: «لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا» قال نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صوابا. قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نمجد ربنا، ونصلي على نبينا، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا (ج ٢ ص ٤٠٢)

محمد حسين الذهبي كلية الشريعة - بغداد ١٩٦٤

الصفحة الأخيرة من الكراسة الثانية

١- نقول عن كتاب "أساس التأويل"

طبع منشورات دار الثقافة ببيروت ، تأليف الداعى الإسماعيلى : النعمان بن حيون التميمى المغربى ، قاضى قضاة الدولة الفاطمية المتوفى سنة ٣٦٣هـ .

• مؤلف الكتاب :

هو محمد النعمان بن منصور بن أحمد بن حيان التميمى ، القاضى ، الذى اشتهر بأبى حنيفة الشيعة .. كان فى أول الأمر يتبع مذهب مالك ، ثم التحق بالإمامية الإثنى عشرية[١] وانتقل إلى الفاطميين[٢] ، فجاء

---

(١) الإثنا عشرية ، أو الإمامية : اسم يطلق على إحدى فرق الشيعة لقولهم باثنى عشر إماما ، أولهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم انتقلت إلى ابنه الحسن بن على ، ثم إلى أخيه الحسين بن على ، ثم إلى ابنه على زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد الباقر ، ثم إلى ابنه جعفر الصادق ، ثم إلى ابنه موسى الكاظم ، ثم إلى ابنه على الرضا ، ثم إلى ابنه محمد الجواد ، ثم إلى ابنه على الهادى ، ثم إلى ابنه الحسن العسكرى ، ثم إلى ابنه محمد المهدى المنتظر وهو الإمام الثانى عشر . ويزعمون أنه دخل سردابا فى دار أبيه بـ"سر من رأى" ولم يعد بعد ، وأنه سيخرج فى آخر الزمان ، ليملأ الدنيا عدلا وأمنا كما ملئت ظلما وخوفا ... وقد أصبحت الإثنا عشرية مذهب الدولة فى إيران منذ عهد الصفويين وانتشرت فى جميع أنحاء العالم الإسلامى (البلتاجى).

(٢) الفاطميون : سلالة تنتسب إلى على بن أبى طالب وزوجته فاطمة الزهراء رضى الله عنهما ، أنشأوا دولة قامت أول أمرها فى تونس عام ٢٩٧هـ ، ثم أخضعت الشمال الإفريقى كله ثم مصر فى عهد المعز لدين الله الذى مد حدود الدولة على شواطئ الأطلسى ، وبسط نفوذه على سوريا وفلسطين ولبنان ومؤسس هذه الدولة هو عبيد الله بن المهدى (من ٢٩٧ - ٣٢٢هـ) ، ثم تولى بعده القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤هـ) ، ثم المنصور (٣٣٤ - ٣٤١هـ) ، ثم المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥هـ) ثم العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ) ، ثم الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ) ، ثم الظاهر بالله (٤١١ - ٤٢٧هـ) ثم المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) ، ثم المستعلى بالله (٤٨٧ - ٤٩٥هـ) ، ثم الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٥هـ) ، ثم الحافظ لدين الله (٥٢٥ - ٥٤٤هـ) ، ثم الظافر بأمر الله (٥٤٤ - ٥٤٩هـ) ، ثم الفائز بنصر الله (٥٤٩ - ٥٥٥هـ) وانتهت دولتهم بنهاية حكم العاضد لدين الله (٥٥٥ - ٥٦٧هـ) (البلتاجى) .

من إفريقية إلى مصر مع المعز لدين الله الفاطمي[1] المتوفى سنة ٣٦٥ هـ وتولى القضاء بمصر ، وتوفى بها في أواخر جمادى الثانية سنة ٣٦٣ هـ[2] .

وله : دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضاء والأحكام عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الكتاب الأساسي في الفقه والكلام عند الإسماعيلية[3] ، [4] .

---

(١) المعز لدين الله الفاطمي : هو أبو تميم معد بن المنصور (٣١٩ - ٣٦٥هـ) ، رابع الخلفاء الفاطميين ، خلف أباه المنصور (ت ٣٤١هـ) ، ولد في المهدية ، ووطد سلطان الدولة فانقادت له بلاد إفريقيا كلها ، احتل قائده "جوهر الصقلي" الفسطاط عام ٣٥٩هـ ، وأسس القاهرة التي غدت عاصمة الفاطميين بعد أن استخلف بلكين بن زيرى على إفريقيا ، وانتقل إلى مصر ، استولى على طرابلس وبيروت ، وهزم الإمبراطور البيزنطي يوحنا بن شمشيق ، شجع العلم والعلماء وأنشأ الأزهر (البلتاجي) .

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، جـ٣ ص ٣٤١ ، ويراجع في ترجمته ابن خلكان ص ٧٣٧ ، وروضة الجنان للخوانساوى جـ ٢ ص ٢١٩ (الذهبي) .

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، مرجع سابق ، جـ ٣ ص ٣٤١ (الذهبي).

(٤) الإسماعيليون : هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه ، ويرون أن الإمامة انتقلت إليه بالنص من أبيه على ذلك ، ويقولون : وفائدة النص مع أنه مات قبل أبيه هو بقاء الإمامة في عقبه ، ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم ، وهو أول الأئمة المستورين ، وبعده تتابع أئمة مستورون إلى أن ظهر بالدعوة الإمام عبد الله المهدى رأس الفاطميين. (البلتاجي).

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله - في (التفسير والمفسرون جـ٢ ص ٩ . . ١): «ثم إن هؤلاء الإمامية الإسماعيلية لقبوا بسبعة ألقاب ، وبعض هذه الألقاب أسماء لبعض فرقهم ، وهذه الألقاب هي : **الإسماعيلية** : لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق كما قلناه ، **والباطنية** : لقولهم بالإمام الباطن أي المستور ، أو لقولهم بأن للقرآن ظاهرا وباطنا ، والمراد منه باطنه دون ظاهره ، **والقرامطة** : لأن أولهم الذي دعا الناس إلى مذهبهم رجل يقال له=

قال محقق الكتاب - الأستاذ عارف تامر - فى مقدمة "أساس التأويل" : "ترددت كثيراً قبل أن أقدم على دفع هذا الكتاب إلى الطبع، وما ذلك إلا لرغبتي التامة فى الإبقاء عليه مدة أطول فى كهف التقية[1]

="حمدان قرمط" ، **والحرمية** : لإباحتهم المحرمات والمحارم ، **والسبعية** : لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع سبعة : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى، ومحمد ، ومحمد المهدى المنتظر سابع النطقاء ، وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته ، ولا بد فى كل عصر من سبعة بهم يقتدى وبهم يهتدى ، **والبابكية أو الخرمية** : لاتباع طائفة منهم بابك الخرمى الذى خرج بأذربيجان ، **والمحمرة** : للبسهم الحمرة أيام بابك ، أو لتسميتهم المخالفين لهم حميرا ... ".

ثم يقول رحمه الله : «وقبل أن أخلص من هذه العجالة أسوق لك كلمة أنقلها بنصها عن أبى المظفر الإسفراينى فى كتابه "التبصير فى الدين" قال رحمه الله : « واعلم أن الزيدية والإمامية منهم ، يكفر بعضهم بعضا ، والعداوة بينهم قائمة دائمة ، والكيسانية يعدون فى الإمامية ، واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ، ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ، ويزعمون أنه قد كان فيه النص على إمامة على فأسقطه الصحابة منه ، ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن ولا على شئ من الأخبار المروية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التى فى أيدى المسلمين ، وينتظرون إماما يسمونه "المهدى" يخرج ويعلمهم الشريعة ، وليسوا على شئ من الدين وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام فى الإمامة ، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتى يتوسعوا فى استحلال المحرمات الشرعية ، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة وتغير القرآن من عند الصحابة ، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر ، إذ لا بقاء فيه على شئ من الدين» أ هـ (التبصير فى الدين ص ٢٤ ، ٢٥) .

(١) التقية لغة : الحذر والخوف ، أو الكتمان ، واصطلاحا : ترك بعض الفرائض فى حالة الإكراه أو التهديد بالإيذاء ، وليس للتقية شأن خطير عند أئمة أهل السنة ، ولكن لها شأنا خاصا عند الشيعة ، وهى فى الحقيقة صفتهم المميزة ، وتقوم التقية على النية ، لذا تجدهم يشيرون دائما إلى النية فى هذا المقام ، فالشهادة - بوصفها أهم الفرائض - لا تقوم بصحة الجهر بها فقط ، وإنما تقوم بالنية ومن هنا لا يحاسب المسلم إلا على نيته إذا أكره على الكفر بلسانه أو التعبد مع الكفار ، ولا يمكن أن تمس التقية إلا حق الله تعالى ، فهو يعاقب المكرِه -بجر الراء -ولا ينزل بالمكرَه - بنصبها- إلا عقابا رحيما فى بعض الأحوال=

بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الأخرى التى لم يحن وقت نشرها وتعميمها بعد" (ص ٥) .

● ثم قال فى مقدمته :

"إنه – أى أساس التأويل – الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الذى يعالج موضوعاً معيناً هو "التأويل" ، والسفر النفيس الذى يمثل الفكرة الأساسية لهذا العلم تمثيلا متزناً معقولا ، ويعرضها عرضاً دقيقاً مفصلا" (ص ٥) .

● ثم قال :

"لقد كان التأويل فى عهد الدعوة الإسماعيلية المبكر وفى إبان ازدهارها هو الموضوع الأساسى لكل فكرة فلسفية باطنة ، والشجرة التى نمت وترعرعت ثم تفرع منها الكثير من الأغصان ، أو بلغة أصح : الأساس الذى تركزت عليه هذه الدعوة الفكرية ، والغذاء الذى موّن الفلسفة الباطنية بالحكم والمنطق والبيان ، ولأجل هذا كله اعتبر "أساس التأويل" لدى الإسماعيلية من الكتب الثمينة ، والذخائر الغالية التى تقضى تعاليمها العقائدية بالمحافظة على سريته وكتمان تعاليمه ، والسهر على منع تسرب المواد العقائدية التى وردت فيه لمن هم من غير الإسماعيليين ، وكل هذا يعتبر سر العقيدة ومفتاح باب الدعوة ، مضافاً

=ويقول الحنفية : «إن التقية رخصة من الله تعالى، وتركها أفضل ، فلو أكره على الكفر فلم يفعل حتى قتل فهو أفضل ممن أظهر ، وكذلك كل أمر فيه إعزاز للدين ، فالإقدام عليه حتى يقتل أفضل من الأخذ بالرخصة » .

ولما كانت الشيعة فئة قليلة مضطهدة فى أغلب أحيانها ، فقد كان الإستتار سمة لهم (البلتاجى).

ويقول الدكتور الذهبى : «التقية : معناها المداراة والمصانعة ، وهى مبدأ أساسى عندهم ، وجزء من الدين يكتمونه عن الناس ، فهى نظام سرى يسيرون على تعاليمه ، فيدعون فى الخفاء لإمامهم المختفى ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر ، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة فى وجه الدولة القائمة الظالمة». (التفسير والمفسرون ، جـ ٢ ص ٨ ، ٩).

إلى ذلك أن فى الكتاب تأويلا لقصص الأنبياء التى وردت فى الكتب السماوية الثلاث : التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، فكل هذا يشكل موضوعاً تقضى العقيدة بالمحافظة على أسراره التامة مما يخرج عن نطاق المفهوم لدى طبقات العامة الذين اعتبروا بأنهم لم ينالوا من الثقافة إلا قشورها ، ومن العلوم إلا ظواهرها" (ص ٥ ، ٦) .

● وقال :

"قد يكون من الواضح أن التأويل بمعناه الواقعى لدى الإسماعيليين يختلف عن التفسير بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الإسلامية الأخرى ، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القارئ ، فإذا سئلنا مثلا ما هو تفسير كلمة "شجرة" ؟ أجبناه : أنها نبتة تُغرس صغيرة ، ثمَ تنمو فيتفرع منها جذوع وأغصان ينبت عليها ورق أخضر ، وفى الربيع تحمل أزهاراً لا تلبث بعد ذلك حتى تعقد ثمراً طيباً .. الخ .

أما إذا قلنا : ما هو تأويل كلمة "شجرة" ؟ ، فنجيب : بأن ذلك يتبع رأى المسئول المباشر عن التأويل ، قد يقول : إنها حجرة ، أو بقرة ، أو صخرة ، أو غير ذلك مما يجب أن يتلاءم مع الحقيقة والواقع والعقل ، فلا يكون غريباً عن التصديق ، ولا بعيداً عن الفكر .

إذن فالتأويل هو باطن المعنى أو رمزه أو جوهره ، وهو حقيقة مستترة وراء لفظة لا تدل عليها .. ومن هنا أعطى النظام الإسماعيلى الفكرى صلاحية التفسير للناطق ، ووهب صلاحية التأويل للإمام ، فالأول اعتبر يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر ، والثانى يمثل الحقيقة والتأويل والفلسفة والباطن"[1] (ص ٦ ، ٧).

---

(١) يقول الدكتور محمد حسين الذهبى : «إذا نحن أجلنا النظر فى مذهب الشيعة ، وجدنا أصحابه لم يسلموا من التفرق والتحزب والانقسام فى الرأى والعقيدة . فبينا نجد الغلاة الذين رفعوا علياً إلى مرتبة الآلهة فكفروا ، نجد المعتدلين الذين يرون عليا أفضل من غيره من الصحابة ، وأنه أحق بالولاية وأولى بها من غيره فحسب ، ونجد من يقف موقفا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء ، فلا هو=

. . . .

=يؤله عليا ، ولا هو يرى أنه بشر يخطئ ويصيب ، بل يرى أنه معصوم ، وأنه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منازع ولا مدافع وإن غلب على أمره واغتصبت الولاية منه.

ولم يقف أمر الشيعة عند حد الانقسام إلى حزبين أو ثلاثة، بل تفرقت بهم الأهواء - كما قلنا - إلى حد الكثرة فى التحزب ، وكان كل حزب له عقيدة خاصة لا يشاركه فيها غيره ، ورأى خاص لا يقول به سواه.

وكان طبيعيا - وكل حزب من هذه الأحزاب يدعى الإسلام ، ويعترف بالقرآن ولو فى الجملة - أن يبحث كل عن مستند يستند إليه من القرآن ويحرص كل الحرص على أن يكون القرآن شاهدا له لا عليه ، فما وجده من الآيات القرآنية يمكن أن يكون دليلا على مذهبه تمسك به ، وأخذ فى إقامة مذهبه على دعامة منه . وما وجده مخالفا لمذهبه حاول بكل ما يستطيع أن يجعله موافقا لا مخالفا، وإن أدى هذا كله إلى خروج اللفظ القرآنى عن معناه الذى وضع له وسيق من أجله . وإليك طرفا من تأويلات هؤلاء الغلاة :

- من تأويلات السبئية [أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى الذى تظاهر بالإسلام وغلا فى حب على حتى جعله نبيا ، ثم بالغ فى الغلو حتى جعله إلها. وزعم أنه لم يقتل ولكنه رفع إلى السماء] : نجد بعض السبئية يزعم أن عليا فى السحاب ، وعلى هذا يفسرون الرعد بأنه صوت على والبرق بأنه لمعان سوطه أو تبسمه ، ولهذا كان الواحد منهم إذا سمع صوت الرعد يقول : عليك السلام يا أمير المؤمنين .

كذلك نجد زعيم السبئية يزعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيرجع إلى الحياة الدنيا ، وتأول على ذلك قوله تعالى : **«إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»** (القصص : ٨٥)

- من تأويلات البيانية [أتباع بيان بن سمعان التميمى ، وهم الذين زعموا أن الإمامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد ، ثم صارت من أبى هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته اليه . واختلف هؤلاء فى "بيان" زعيمهم فمنهم من زعم أنه كان نبيا ، وأنه نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . ومنهم من زعم إنه كان إلهاً] : نجد بيان بن سمعان التميمى زعيم البيانية ، يزعم أنه هو المذكور فى القرآن بقوله تعالى : **«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»** (آل عمران : ١٣٨) ، ويقول : أنا البيان ، وأنا الهدى والموعظة .
=

. . . .

=كما نراه يزعم أن الله تعالى رجل من نور ، وأنه يفن كله غير وجهه ، ويتأول على زعمه هذا قوله تعالى : **«كل شئ هالك إلا وجهه»** (القصص : ٨٨) ، قوله : **«كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك...»** (الرحمن : ٢٦ ، ٢٧) .

– من تأويلات المغيرية [أتباع المغيرة بن سعيد العجلي . وكان يظهر في بدء أمره موالاة الإمامية ثم ادعى النبوة . وادعى أنه يعرف الاسم الأعظم ، وزعم أنه يحيى به الموتى ويهزم الجيوش] : نجد المغيرة بن سعيد العجلي زعيم المغيرية يقول : إن الله تعالى لما أراد أن يخلق العالم تكلم بالاسم الأعظم ، فطار ذلك الاسم ووقع تاجا على رأسه ، وتأول على ذلك قوله تعالى : **«سبح اسم ربك الأعلى»** (الأعلى : ١) وزعم أن الاسم الأعلى إنما هو ذلك التاج... ويزعم المغيرة أيضا ، أن الله تعالى خلق أظلال الناس قبل أجسادهم ، فكان أول ما خلق منها ظل محمد صلى الله عليه وسلم. قال : فذلك قوله : **«قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين»** (الزخرف : ٨١) .. قال : ثم أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس ، ثم عرض على السموات والجبال أن يمنعن على بن أبى طالب من ظالميه فأبين ذلك ، فعرض ذلك على الناس . فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة على ومنعه من أعدائه ، وأن يغدر به فى الدنيا ، وضمن له أن يعينه على الغدر به ، على شريطة أن يجعل له الخلافة من بعده ، ففعل أبو بكر ذلك. قال : فذلك تأويل قوله : **«إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا»** (الأحزاب : ٧٢) .. فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر.

وتأول فى عمر قوله تعالى : **«كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك»** (الحشر : ١٦) والشيطان عنده عمر.

– من تأويلات المنصورية [أتباع أبى منصور العجلى ، الملقب بالكسف ، الذى زعم أن الإمامة دارت فى أولاد على حتى انتهت إلى أبى جعفر محمد بن على ابن الحسين بن على المعروف بالباقر ، وادعى هذا العجلى : أنه خليفة الباقر ثم ألحد فى دعواه] : نجد أبا منصور العجلى زعيم المنصورية ، والمعروف بالكسف ، يزعم أنه عرج به إلى السماء ، وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له : يابنى ، بلغ عنى ، ثم أنزله إلى الأرض ، وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور فى قوله تعالى : **«وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم»** (الطور : ٤٤) . =

. . . .

=وتأولت هذه الطائفة الجنة بأنها رجل أمرنا بموالاته وهو الإمام ، والنار بالضد ، أى رجل أمرنا ببغضه وهو ضد الإمام وخصمه كأبى بكر وعمر .

وتأولوا الفرائض والمحرمات فقالوا : الفرائض أسماء رجال أمرنا بموالاتهم ، والمحرمات أسماء رجال أمرنا بمعاداتهم .

- من تأويلات الخطابية [أتباع أبي الخطاب الأسدى وهم خمس فرق ، يقولون إن الإمامة كانت فى أولاد علي إلى أن انتهت إلى محمد الحبيب - آخر الأئمة المستورين - ابن جعفر الصادق ، ويقولون : إن الأئمة كانوا آلهة ، وكان أبو الخطاب يقول فى أيامه : إن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه ، وكان يقول : إن جعفر إله ، فلما بلغ ذلك جعفر لعنه وطرده ، وكان أبو الخطاب يدعى بعد ذلك الألوهية] : نجد من الخطابية من يتأول الجنة بأنها نعيم الدنيا ، والنار بأنها آلامها .

ووجدنا منهم من يقول إنه لا مؤمن إلا والله تعالى يوحى اليه ، وعلى هذا المعنى كانوا يتأولون قوله تعالى : **«وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا»** (آل عمران : ١٤٥) ويقولون : إن معناه بوحى من الله ، ويقولون : إذا جاز أن يوحى إلى النحل كما ورد فى قوله تعالى : **«وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون»** (النحل : ٦٨) .. لم لا يجوز أن يوحى إلينا ؟

- من تأويلات العبيديين : نجد أبا إسحاق الشاطبى يذكر لنا عن بعض العلماء : أن عبيد الله الشيعى المسمى بالمهدى ، حين ملك إفريقيا واستولى عليها ، كان له صاحبان من كتامة ينتصر بهما على أمره ، وكان أحدهما يسمى بنصر الله ، والآخر يسمى بالفتح فكان يقول لهما : أنتما اللذان ذكركما الله فى كتابه فقال : **«إذا جاء نصر الله والفتح»** (النصر : ١).. قالوا : وقد كان عمل ذلك فى آيات من كتاب الله تعالى . فبدل قوله تعالى : **«كنتم خير أمة أخرجت للناس»** (آل عمران : ١١٠) .. بقوله : "كتامة خير أمة أخرجت للناس»

فأنت ترى أن هؤلاء الغلاة الذين كفروا بما يعتقدون ، يجدون فى صرف اللفظ القرآنى عن معناه الذى سيق له إلى معنى يتفق مع عقيدتهم ، ويتناسب مع أهوائهم ونزعاتهم ، وهم بعملهم هذا يحملون القرآن مالا يحتمله ، ويقولون على الله بغير علم ولا برهان .

كذلك نجد الإمامية الإثنى عشرية يميلون بالقرآن نحو عقائدهم ، ويلوونه حسب أهوائهم ومذاهبهم ، وهؤلاء ليس لهم فى تفسيرهم المذهبى مستند صحيح=

● وقال :

"من المسلم به ، أن التأويل من العلوم التى خص بها الإسماعيليون أئمتهم وسموا لأجله بالباطنية[1] ، فقد جعلوا محمداً هو صاحب التنزيل للقرآن كما قلنا ، وجعلوا علياً صاحب التأويل ، أى أن القرآن أنزل على محمد بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، أما أسراره التأويلية الباطنة فقد خص بها علىّ والأئمة من بعده . وقد أخذ الإسماعيليون بعض آيات القرآن الكريم دليلا على القول بوجوب التأويل ، كقوله : **«وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث»**[2] ، وكقوله : **«وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث»**[3] ، وكقوله : **«سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا»**[4] ، وكقوله : **«هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات» - إلى قوله : «أولوا الألباب"»**[5](ص ٧ ، ٨) .

● وقال :

"هناك أدلة عقلية على وجوب التأويل أخذت من القرآن الكريم كقوله تعالى : **«سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم»**[6] ،

=يستندون إليه ، ولا دليل سليم يعتمدون عليه ، وإنما هى أوهام نشأت عن سلطان العقيدة الزائفة ، وخرافات صدرت من عقول عشش فيها الباطل وأفرخ ، فكان ما كان من خرافات وترهات ! !

نعم يعتمد الإمامية الإثنا عشرية فى تفسيرهم للقرآن الكريم ونظراتهم إليه ، على أشياء لا تعدو أن تكون من قبيل الأوهام والخرافات التى لا توجد إلا فى عقول أصحابها " (التفسير والمفسرون جـ٢ ص ١١ - ١٥) .

(١) الباطنية : هم الذين يأخذون بالمعنى الباطن للقرآن ويجعلون لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا .. وأطلق المسلمون هذا الاسم على فرق عديدة كان لها شأن سياسى ، أهمها القرامطة ، وهى حركة دينية سياسية اجتماعية لا تزال حقيقتها على كثير من الغموض لانقراض أتباعها ، وتنسب إلى داعيها الأول "حمدان قرمط" . وأطلق اسم الباطنية على فرقة الإمامية الإسماعيلية ، (وانظر هامش (٢٩) بالمقدمة التاريخية ص ٥٧ من هذا الكتاب - البلتاجى) .

(٢) يوسف : ٦ — (٣) يوسف : ٢١ .

(٤) الكهف : ٧٨ — (٥) آل عمران : ٧

(٦) فصلت : ٥٣

وكقوله : **«وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون»**[1]، وكل هذا يفسر أن الظاهر وجد للدلالة على الباطن ، وقد اعتبروه ممثولا والظاهر مثلا . والمؤيد فى الدين داعى دعاتهم وفيلسوفهم الأكبر يقول فى هذا الصدد : "خلق الله الأمثال والممثولات ، فجسم الإنسان مثل ونفسه ممثول ، والدنيا مثل والآخرة ممثول" .

وقال أيضاً :

"اقصد حمى ممثوله دون المثل ذا إبر النحل وهذا كالعسل"

(ص ٨)

* * *

(١) الذاريات : ٢٠ ، ٢١

٢- مختارات من كتاب : " مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية

وهى لمؤلف مجهول ، ومكتوب عليها : لا يجوز الاطلاع عليها إلا بإذن من له الحل والعقد[١] :

قال فى مقدمتها : "أما بعد أيها الأخ ... فقد وقفت على مسائلك التى دلت على تألق جذوة ذكائك ، وعلوك فى مرتبة العلم وارتقائك ، وسألت الإجابة عنها ، وهى - أيها الأخ - تقتضى جواباً من زبد الحقائق المصونة ، وسرائر الحكم المكنونة ، ولب الفوائد المخزونة ، وأنا أتحقق أنك أهل لأن تطلع على ذلك ، وحقيق بأن تخص بفضل ما هنالك ، إلا أنه مما لا يودع فى بطون الأوراق ، ولا يجب أن يرمق من العيون الشحمية بالأحداق ، صيانة له عن إبدائه وبذله ، وخوفاً عليه أن يقع إلى غير أهله ، بل يجب أن يكون قرطاسه الأذن الواعية ، وقلمه اللسان المترجمة عن جواهرها العالية ، لكنى لما أوثره من الجلاء لبصيرتك ، والزيادة فى إنارة صورتك ، كتبت لك فى هذه الأوراق ، وأنا آخذ عليك عهد الله تعالى وعظيم الميثاق الذى أخذه على ملائكته المقربين ، وأنبيائه المنتجبين ، وأئمة دينه الهادين ، وحدودهم الميامين ، وإلا فأنت برئ منهم أجمعين ، لا وقف على ذلك إلا أنت أو أولادك لا غيرهم ، ثم يرد إلىّ

---

(١) ضمن أربعة كتب إسماعيلية ، منقولة عن النسخة الخطية (هـ ٧٥) ، المحفوظة فى مكتبة أمبروسيانة - ميلانو ، عنى بتصحيحها د. شتروطمان ، للمجمع العلمى - غوتيغن . وهى :

- الرسالة الأولى : مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية ، لمؤلف مجهول ...
- الرسالة الثانية : "رسالة الإيضاح والتبيين فى كيفية تسلسل ولادتى الجسم والدين" ، لعلى بن محمد بن الوليد .
- الرسالة الثالثة : "رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد" لعلى بن محمد بن الوليد .
- الرسالة الرابعة : "رسالة الاسم الأعظم" لمؤلف مجهول ، طبعت بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٨١ هـ. (الذهبى) .

هذه الكراسة بعد أن تحفظ ما فيها ، وإن أردت أن تغيب ذلك تركتها عندك مدة ما يحفظ ما فيها ، ثم أعدتها إليّ ، والله على ما نقول وكيل" (ص ٥ ، ٦) .

● قال : "إن الله تعالى نزّه أمهات الأئمة عن الطمث ، كما قال الله : **«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"»**[١] ، يعنى بالرجس : دم الطمث" (ص ٨) .

● قال فى جوابه عن قوله تعالى : **«كلا إن كتاب الفجار لفى سجين . وما أدراك ما سجين»**[٢] : "نقول بفضل الله تعالى ومادة وليه فى أرضه صلوات الله عليه :

إن سجين هى الصخرة التى تقدم ذكرها[٣] أن فيها العذاب الأكبر ، وهى كما قال الله تعالى : **«كلا إن كتاب الفجار لفى سجين»** ، ذكر سيدنا حميد الدين أعلى الله قدسه فى كتاب "راحة العقل" أن المعنىّ بذلك بكتاب الفجار يعنى نفوس الفجار المرقوم فيها ما اكتسبته من الذنوب ، وقال : سجين صخرة فى أسفل الأرض يعذب فيها المخالفون ، فعنى بكتاب الفجار إمامهم وأتباعهم الذين انكتبت فى نفوسهم المعاصى فاستحقوا بها الكون هنالك بخلافهم للحق . كما قال بعض العلماء فى بعض أشعاره :

---

(١) تجاوز الشيعة فى تقديسهم للأئمة ، فزعموا أنهم معصومون من الصغائر والكبائر فى كل حياتهم ، ولا يجوز عليهم شئ من الخطأ والنسيان ، بل ذهبوا فى غلوهم إلى نفى السنن الطبيعية عنهم وعن أمهاتهم ... فالإمام - فى نظرهم - له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء . ويقولون : إن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت على الكفر ، وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة فى الأئمة - (والآية من سورة الأحزاب : ٣٣) .

(٢) المطففين : ٧ ، ٨ .

(٣) ذكر فى صفحة ١٢ : "أنها كانت الصخرة التى هى سفل الأرض ، وهى على مثال سفل القدر ، فى سفلها مسام ضيقة يدخل فيها البخار والدخان الذى يتصاعد من جثث أضداد القائم بعد حرقهم بنار من الأثير ، ويصيروا فى وسطها ، وهى غيران هائلة وأودية عظيمة" أ هـ (الذهبى) .

سجنهم سجين إذ لم يتبعوا　　　　علينا ، دليل عليينا

وقال الله تعالى : «**كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين**»[1] فعنى بعليين : عالم الإبداع ، وبكتاب الأبرار : إمامهم ونفوسهم التى انكتبت فيها المعارف الحقيقية وصحت منهم الولاية لأهل الحق ، وصفوا وخلصوا فصاروا أئمة بعد أن كانوا مأمورين كما قال الله تعالى فيهم : "**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة**"[2] ، فهم المستضعفون يعنى المؤمنين الذين يمن الله عليهم فيصيرون أئمة كما تقدم شرح ذلك ، ويحصلون فى عليين عند صعودهم فى زمرة القائم سلام الله عليه الذى به يصيرون عقلاً مجرداً مثل من يخلفونه من عقول عالم الإبداع الذى هو العاشر ، ويرتفع العاشر إلى مرتبة من فوقه ، فاعلم ذلك" (ص ١٦ ، ١٧) .

● قال : "ولما كان الدين ظاهراً وباطناً قام النبى صلى الله عليه وعلى آله بتبليغ الظاهر ، وصرف إلى وصيه [3] نصف الدين وهو الباطن ... ولذلك خاطبه بقوله : «**فول وجهك شطر المسجد الحرام**»[4] ، فعنى بوجهه وصيه ، وعنى بالمسجد الحرام دعوته التى هى الحرم الذى من دخله كان آمناً أو أطاعه واستقام على ذلك ، والشطر الذى ولاه إياه بتأويل التنزيل والشريعة اللذين جاء بهما الرسول صلى الله عليهما وعلى آلهما" (ص ٢٠) .

● وقال فى شرحه لقول علىّ فى خطبة النهروان : " إن كلامى مغلق ، وعلمى غامض ، وحكمتى غزيرة" : " إن مولانا يعنى - صلوات الله عليه - يكون كلامه مغلقاً ، وعلمه غامضاً ، لأنه إنما ينبئ عن خفيات الغيوب ، وما أطلعه الله تعالى عليه بواسطة رسوله صلوات الله عليهما

---

(١) المطففين : ١٨　　　(٢) القصص : ٥
(٣) يعنى عليا كرم الله وجهه　　　(٤) البقرة : ١٤٤

وعلى آلهما من العلم المحجوب ، كما قال : " علمنى رسول الله ألف باب من العلم ، انفتح لى من كل باب منها ألف باب ، أدركت علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة" ، فهو إذا تكلم بذلك انغلق على من لم يتصل بمن عندهم مفاتيحه ، ولديهم لديجور الشك مصابيحه من أولاده أئمة الهدى عليهم جميعا السلام .

وقوله صلوات الله عليه : "وحكمتى غزيرة" فعنى بالحكمة تأويل الكتاب الكريم ودرر حقائقه وهى التى ذكرها الله تعالى فى آيات من الكتاب كثيرة بقوله سبحانه : **«هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»**[1] ، وكرر ذكر الحكمة مع الكتاب فى آيات كثيرة ، فالكتاب هو ظاهر القرآن الكريم ، والحكمة تأويله ومعانيه .. والغزارة التى ذكرها في الحكمة هو يجيب على المسألة بسبعة أجوبة ، وبسبعين ، وبسبعمائة ، كما ذكر ذلك مولانا الصادق صلوات الله عليه ... وهذه الغزارة التى لا نهاية لها ولا حد ، يحقق ذلك قول الله تعالى : **"ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله"**[2] (ص ٣٢) .

● وقال عن قوله تعالى : **«الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»**[3] : " إن حكم الآية يعم جميع من تقلد عهد النبى والوصى والإمام ، وأعطاه صفقة يمينه على الائتمار بأمره فراقت الدنيا فى عينه ، واستهوته زخارفها فمال إليها ، واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فباع ما كان قد اشتراه من الله من الجنة الباقية بالدنيا الحقيرة الفانية ، وانسلخ من جملة من عناهم قول الله تعالى : **«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم**

(١) الجمعة : ٢ (٢) لقمان : ٢٧
(٣) آل عمران : ٧٧

وأموالهم بأن لهم الجنة» [1] ، فلم يستحق لنكثه أن يكون له في الآخرة خلاق ولا نصيب في الخير ، ولا يكلمه الله ولا أن ينظر إليه يوم القيامة ولا أن يزكيه ، كما يستحق ذلك المؤمنون ، بل خلده بفعله في عذاب أليم" (ص ٣٤ ، ٣٥) .

● وقال في تفسير قوله تعالى : « **الله نور السموات والأرض...** »[2] الخ الآية : "جعل العقل الأول نور السموات والأرض .. ثم قال : «**مثل نوره**» ، فعنى بالمثل من قام مقامه في عالم الطبيعة ، وهو النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وكان ما اتصل به من الوحي وأيد به من التأييد «**كمشكاة**» وهي الكوة ، فأعلمنا سبحانه أن ما استفاد الناطق من المعارف الإلهية المضمنة في الكتاب والشريعة هي - أعني المناسك الوضعية للمعارف الإلهية - كالخزانة التي عنها تؤخذ ، و«**فيها**» توجد أنوار الملكوت التي كنى عنها بال«**مصباح**» وإن كانت تلك الموضوعات لا تعرف المعاني كما لا تشعر الكوة بالمصباح ، ثم قال : «**المصباح في زجاجة**» فالمصباح كناية عن العلوم الإلهية ، والزجاجة كناية عن الأئمة عليهم السلام ، وتلك المعاني والمعارف هي الأنوار القدسية محيط بها الأئمة القائمون بها ، يجمعونها ويحفظونها ولا يفارقونها ، فتضئ ذواتهم بها وذوات غيرهم من أتباعهم الطالبين لها إحاطة القنديل وإضاءته لما حوله ، وقوله تعالى : "**الزجاجة كأنها كوكب دري**" كناية عن الوصي ، فعني أن الأئمة عليه وعليهم السلام في استنباط المعارف الدينية والحكم النبوية كالوصي عليهم جميعاً السلام فيما انفتح له ظاهراً وباطناً من الحكم ، واحتوى عليه من العلوم ، وقوله : «**يوقد من شجرة مباركة**» فالشجرة المباركة كناية عن النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فوصف الكوكب الدري بأنه يستنبط المعارف من وضائع الشجرة المباركة التي هي الناطق ، وأن الأئمة عليهم السلام يشاكلونه في استنباط ذلك وإن كانوا لا كهو في الرتبة لكون مرتبة الوصاية مالكة لمرتبة الإمامة ، وقوله : «**زيتونة**» يعني أن الأئمة بمثابة

---

(١) التوبة : ١١١ (٢) النور : ٣٥

الزيتون الذى هو ثمرة تلك الشجرة ، وقوله : **«لا شرقية ولا غربية»** يعنى ليسوا فى رتبة النبوة التى هى الدعوة الظاهرة فيكون شرقية مثلها ، ولا فى رتبة الوصاية التى لها الدعوة الباطنة فيكون غربية مثلها ، بل شرقية غربية جميعاً بقيامهم مقامهما وحفظهم مكانهما ولهم فى جمعهم وقيامهم بذلك مرتبتان هما الممثلان بالشرق والغرب ، وقوله تعالى : **«يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار»** الزيت : ما خرج من الزيتون من دهنه وهو مثل الكلام والفوائد التى تؤخذ من الأئمة عليهم السلام ، يقول : تكاد معرفتهم وكلامهم فى إفادتهم وتعليمهم وهدايتهم التى تخرج منهم لفظاً وإن لم يكن عن الوصى المشبهة بالنار تشبه معرفة كلام أولى الوحى ، وقوله تعالى : **«نور على نور»** يقول : يفتح منه أنوار علوم زيادة على زيادة بظهور إمام منهم عن إمام ، وقوله : **«يهدى الله لنوره من يشاء»** يقول : وكل منهم فى زمانه قائم ....(1) وقوله : **«ويضرب الله الأمثال للناس»** يقول : وهذا القائم .... (2) ومقام رسوله يقيم خلفاء له فى الجزائر يدعون الناس إلى الله وإلى عبادته ومعرفته ما جاء به النبى صلى الله عليه وعلى آله ، **«والله بكل شئ عليم»** يقول : وهذا القائم .... (3) ومقام رسوله بكل شئ من أمور الدنيا وأمور القبلة ، وأحكامها وما فيها من النجاة عليم خبير لا يشتبه عليه شئ منه" (ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

● وقال : "إن قسط الناطق تلاوة القرآن وبسط الشريعة ، وقسط الوصى شرح التأويل وإيضاح الحقيقة" (ص ٤٢) (4) .

● وقال عن قوله تعالى : **«أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ...»**(5) الآية : "إنه عزير النبى عليه السلام وهو

---

(١) ، (٢) ، (٣) فى مكان هذه النقط وضع حروفاً وأرقاماً يرمز بها إلى أشياء مصطلح عليها بين الطائفة ، وأنا لم أفهم لها معنى(الذهبى) .

(٤) وراجع ما كتبه على هذه الآية ص ١١١ ، ١١٢

(٥) البقرة : ٢٥٩

من الحدود الداعين فى دور موسى عليه السلام كان قد نظر إلى دعوة خمل أمرها ومات ذكرها وامتحن أهلها وحدهم محنة شديدة فقال فى نفسه : ما أظن أن يرجع إلى هؤلاء بعد هذا الانقطاع عن الخير بلا مادة ولا تأبيد يحيون به ، فأراه الله إظهار قدرته فى نفسه فأنساه مراتب الحدود التسعة والتسعين الذين هم أسماء الله الحسنى ومرتبة إمام عصره الذى هو المسمى ، ثم بعثه : يعنى مباحثة حده له عن ذلك فلم يعرف منها غير حده الذى هو كاليوم منها ونفسه التى هى كبعض اليوم بقوله : **«كم لبثت ، قال لبثت يوماً أو بعض يوم»** فلم يعترف إلا عن ذلك فأعلمه حده بما نسى من تلك الأسماء بقوله :**«بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه»** يعنى يتغير ، وهو أنه أمره أن ينظر فيما معه من علم الظاهر الذى هو كالطعام ، وعلم الباطن الذى هو كالشراب ليقوم له منه برهان مراتب تلك الحدود ، وقوله : **«وانظر إلى حمارك»** إشارة فى هذا الموضع إلى حده الذى يحمل عنه ثقل الطلبة كما يحمل الحمار ثقل راكبه ويريح عليه من تعب المسير ، والحمار المذموم هو من علماء المخالفين ، والحمار المحمود وهو من علماء الحق ولذلك ما صار فى اليهود يتباركون بحافر حمار عزير لما سمعوا له من التشريف فلزموا المثل وتركوا الممثول" (ص ٥٧ - ٥٨) .

● وقال عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : " لخلوف فم الصائم أحب إلى الله من رائحة المسك"(١) : " إن الصائم مثل الكاتم لدينه وعلمه عمن لا يستحقه ، والخلوف هو ما يطلع على الإنسان من بخار المعدة ولتعطلها عن الطعام ، فأشار بذلك إلى ما يكون عند الحدود من الصمت عن الكلام فيما لم يؤذن لهم به ولم يحضر أهله وإن كان مكروهاً لعدم الفائدة

---

(١) من حديث أخرجه أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة ونصه : "كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، قال الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"(البلتاجى) .

كما تكره رائحة الخلوف لتغير ريحه ، فإن ذلك الإمساك أحب إلى الله تعالى من إبدائه إلى غير أهله وفى غير وقته ، وشبهه لديه تعالى برائحة المسك الذى هو أطيب المشمومات لفضل الكتمان عنده" (ص ٦٩) .

● وقال عن قوله تعالى : «**سنفرغ لكم أيها الثقلان**»[١] : "إن الله تعالى قدّر دور الستر على مدة معلومة وجعل حساب الخلائق وثوابهم وعقابهم عند انقضاء تلك المدة وفراغها ، فأعلمهم تعالى فى هذه الآية أن ما وعدهم به من الثواب وأوعدهم به من العقاب يكون عند فراغها ، فذلك معنى قوله :«**سنفرغ لكم**» فنسب فراغ المدة إليه إذ هى عن أمره تعالى ، وإلا فلا يُنسب إليه اشتغال ولا فراغ على الحقيقة" (ص ٧٢) .

● وقال : " إن أبواب الجنة الثمانية هم الأئمة السبعة والقائم ، على ذكره السلام . وأبواب النار السبعة هم أضداد الأئمة السبعة ، والقائم لا ضد له لقهره الأضداد عند قيامه" (ص ٧٣) .

● وقال عن قوله تعالى : «**إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً**»[٢] : "وهم الذين قال فيهم مولانا الصادق صلوات الله عليه : "والله ما يبدل الله السيئات حسنات إلا لشيعتنا" (ص ٨٩) .

● وقال فى قصة آدم وإبليس : "إن آدم عليه السلام لما أقيم فى أول دور الستر نُهى عن كشف الحقائق وهى التى بها النجاة ، وهى بالحقيقة شجرة الخلد والملك الذى لا يبلى ، لكون معرفتها مع الأعمال الصالحة مورثة لعارفها الخلد فى دار النعيم والملك الذى لا يبلى ، ولما تأخر الحارث[٣] عن السجود لآدم ورأى ما وقع من التعظيم لآدم ورفع منزلته ، فاحتال فى مكيدته فجاءه على وجه النصح وأقسم له على ذلك

(١) الرحمن : ٣١ (٢) الفرقان : ٧٠ .
(٣) اسم للشيطان .

وقال : إن أردت صلاح من صرف أمره إليك فهم لا يصلحون إلا بإبداء الحقائق ، فانخدع عليه السلام وظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً ، فأظهر شيئاً من ذلك فأنكره ما تحت يده واضطرب على أمره ، وكان فى ذلك ترك وصية ربه ، فسائر قصته المعروفة" (ص ١٠١) .

● وقال عن تأويل ليلة القدر إلى قوله تعالى : **«تنزل الملائكة والروح فيها»** (١) ..الخ السورة : "إن ليلة القدر مثل على مولاتنا فاطمة عليها السلام ، لأن الليالى مثل على الحجج وهى حجة مولانا ....(٢) وقال الله تعالى : **«ليلة القدر خير من ألف شهر»**(٣) يريد أن فضلها زائد على فضل ألف حجة ممن تقدمها ، لأن الشهور أيضاً أمثال الحجج ، وقوله تعالى : **«تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر»**(٤) يعنى بالملائكة والروح الأئمة من ذريتهما الذين من جملتهم القائم المكنى عنه بالروح ، وأنهم صلوات الله عليهم من ذريتهما ونسلهما إلى طلوع الفجر بقيام قائمهم صلوات الله عليهم أجمعين عند انقضاء دور الستر وابتداء دور الكشف الذى هو ممثول الفجر" (ص ١١٤ ، ١١٥) .

● وقال عن قوله تعالى : **«ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»**(٥) : " الجواب ما قال الله تعالى فى صفة الأئمة صلوات الله عليهم وقوله تعالى : **«وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»** (٦) ، وذلك أن الله تعالى أطلعهم بمادته وتأييده لهم على نيات الخلق وما تخفيه صدورهم ، فما يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا وعندهم صلوات الله عليهم علمه مما أخذوه عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، كما جاء فى الرواية عن مولانا الصادق صلوات الله عليه أنه قال يوماً لبعضهم ما كان

---

(١) القدر : ٤

(٢) حروف مقطعة وأرقام يرمز بها لأمور نجهلها ، وهى كتابة سرية (الذهبى)

(٣) القدر : ٣ (٤) القدر : ٤ ، ٥

(٥) سورة ق : ١٨ (٦) البقرة : ١٤٣

البارحة عاملا في دار فلان ، فاستحى الرجل من كلامه صلوات الله عليه ، فقال بعض من حضره : أو تعلم ما يفعل يابن رسول الله ؟ فقال : ما كان الله تعالى ليجعلنا شهداء على خلقه ويحجب عنا شيئاً من أمورهم ، استحيوا منا في السر كما تستحيون منا في العلانية ، فهم صلوات الله عليهم الرقباء والشهداء على الخلق" (ص ١١٥ ، ١١٦) .

● وقال عن قوله تعالى في شأن آدم : **«فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»**[(١)] : "الخطاب من إمام ذلك الوقت عليه السلام للملائكة الذين هم الحدود المالكون أمر الدعوة ، يقول : فإذا أقمت آدم ونفخت فيه من روحي ، يعني أمددته بما يقدر على القيام فيمن دونه ، فقعوا له ساجدين ، أي أطيعوا له واستمعوا وسلموا لأمره ولا تعترضوا ، فأطاعوا وأسلموا إلا إبليس وهو شخص ممن كان قد أقيم لإفادة غيره فإنه تكبر وأبى عن السجود وعارض آدم عليه السلام ، وكانت القضية في ذلك كمثل ما كان رسول الله في إقامة وصيه صلوات الله عليهما يوم غدير خم وطاعة من أطاعه كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار ومن تبعهم رضي الله عنهم ، وعصيان من عصى كالأضداد الثلاثة وتابعيهم ، وهذا جار في جميع الأدوار" (ص ١١٧) .

● وقال عن عليّ : "كيف كان يقتل يمينه وشماله وخلفه وقدامه وهو شخص واحد ؟ فإذا كانت معجزة فكيف بيان هذه المعجزة ؟ .. الجواب : أن هذه منه صلوات الله عليه من جملة المعجزات التي تقدم ذكرها التي لا يقدر عليها إلا الرسول والوصي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين ، وفي ضمن كل واحد منهم صلوات الله عليهم من الصور ما لا يحصيه العدد ، كل صورة منها قادرة على التشخيص على الانفراد أي وقت شاءت ، وقد جاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه قال : لما كان في يوم أحد واشتد القتال ، خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وهو واقف ووصيه معه في بعض المواضع فلما وصلت

---

(١) الحجر : ٢٩ ، وسورة ص : ٧٢

العسكر رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وعلياً عليه السلام يحملان في عسكر المشركين فيلقيان الميمنة على الميسرة ، والميسرة على الميمنة ، ثم عدت إلى حيث عهدتهما فوجدتهما قاعدين ما تغير منهما شئ ، فهذه الرواية تؤكد ما تقدم ذكره من التشخص بما شاءوا - أى وقت شاءوا - صلوات الله عليهم" (ص ١٢٢ - ١٢٣) .

● وقال عن قوله تعالى : **«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء...»**(١) الآية : "إن المراد بالنفس الواحدة ههنا الناطق صلوات الله عليه ، **«وخلق منها زوجها»** ، يعنى الوصى عليه السلام المزاوج له فى الدين ، "**وبث منهما رجالا كثيراً ونساء**" ، يعنى حدوداً مقيدين بمنزلة الرجال ومستفيدين بمنزلة النساء ، قال النبى صلى الله عليه وعلى آله :."أنا وأنت يا علىّ أبوا المؤمنين" (ص ١٢٣) .

● وقال فى قوله : **«يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان»**(٢) : "السلطان هو قائم القيامة الذى يقدر به على خرق الأفلاك بوجيز من القول" (ص ١٢٥) .

● قال : "لما سئل عن الأنبياء والأئمة والمحن التى وقعت عليهم ، بم استحقوا المحنة ؟ وما عدل الله سبحانه وكيف هذا القصاص ؟ .. الجواب : أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ، ولا عنده حيف ولا محاباة لأحد ، قال سبحانه : "**ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**"(٣) ، ولما كان الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم مجامع لمن دونهم ، وكان منهم من له ذنب صغير وكبير ، كانت المكافأة بالمحن والقتل وغيره على قدر ذنوب من فى ضمنهم بما يوجبه العدل وتقتضيه الحكمة ، وما يظلم ربك أحداً" (ص ١٢٧ - ١٢٨) .

---

(١) النساء : ١ (٢) الرحمن : ٣٣
(٣) الزلزلة : ٨

● قال وقد سئل عن كبش إسماعيل الذى فدى به ماهو ؟ : الجواب : أن إسحاق عليه السلام هو المكنى عنه بالكبش ، وذلك أن إبراهيم صلوات الله عليه كان قد هَمَّ أن يأخذ العهد على إسماعيل لإسحاق عليه السلام ، فأوحى الله تعالى إليه أن يأخذ العهد لإسماعيل على إسحاق ويقيمه ستراً عليه وحجاباً ، وهو ما نصه الكتاب الكريم من قوله : **«فلما بلغ معه السعى»** - يعنى إسماعيل عليه السلام - **«قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك»** - أى آخذ العهد عليك لإسحاق - **«فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين»** - أى صابرا على ما تأمرنى به ، مسلماً لأمرك .. إلى قوله : "**وفديناه بذبح عظيم**"(١) ، وهو ما أمر به من أخذ العهد على إسحاق لإسماعيل عليه السلام ، فإسحاق المكنى عنه بالكبش" (ص ١٢٨) .

● قال عن ردم ذى القرنين : "الجواب :أن الإشارة بذى القرنين إلى مولانا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه وقد قال فى بعض كلامه : "أنا ذو قرنى هذه الأمة" ، والمعنى فى ذلك : أنه الحائز لرتبة الظاهر والباطن بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وكذلك كل إمام من ولده هو الحائز لهذه الرتبة ، والردم بين يأجوج ومأجوج وبين البشر ، هو مثل على العهد الكريم الذى حجز به بين أهل الظاهر وبين أهل الدعوة .. وفى الرواية أن يأجوج ومأجوج قصار الخلق ، مشوهو الصور ، وأنهم لا يزالون يلحسون السد بألسنتهم فى الليل يطلبون خرقه ، وأن ألسنتهم كمثل المبارد ، فإذا طلع الفجر عليهم وأحسوا أصوات المؤذنين هربوا وعاد السد بحاله ، والمعنى فى ذلك أن يأجوج ومأجوج" - كما تقدم به القول - هم أمثال أهل الظاهر ، "وقصر قامتهم وشوه خلقهم" هو إشارة إلى قصور دينهم وقصورهم لخلاف الحق وأهله ، ومعنى "لحسهم السد بألسنتهم فى الليل" أنهم فى أيام الفترات يتبعون آثار الأولياء ويطلبون تبطيلا للعهود والمواثيق والاطلاع على مذهب الحق والكفر فيه ،

---

(١) الصافات : ١٠٢ ، ١٠٧

"فإذا أذن المؤذنون" ، يعنى أقام الدعاة الذين هم ممثول المؤذنين "هربوا" ، يعنى قهقروا على أعقابهم وانكسروا و بطل سحرهم وتمويههم "وعاد السد إلى ما كان عليه" يعنى استقامت أمور الدعوة على ما كانت عليه من أخذ العهود والمواثيق والحراسة عن أهل الفساد والعناد" (ص ١٣٠) .

* * *

٣- نقول من رسالة "الإيضاح والتبيين"(١)

● قال فى على : "أنا المخاطب من الله تعالى بقوله : **﴿إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد﴾**(٢) (ص ١٣٨) .

● وقال : "إن علياً هو المعنىّ بقول الله تعالى فى مخاطبته نبيه عليهما السلام : **﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا﴾**(٣) (ص ١٣٩) .

* * *

(١) وهى الرسالة الثانية من أربعة كتب إسماعيلية منقولة عن النسخة الخطية (هـ ٧٥) ، المحفوظة فى مكتبة أمبروسيانة - ميلانو - السابق الإشارة اليها - وعنوانها الكامل : "رسالة الإيضاح والتبيين فى كيفية تسلسل ولادتى الجسم والدين" لعلى بن محمد بن الوليد (الذهبى) .

هذا ، ولم ينقل فضيلة الشيخ محمد حسين الذهبى- رحمه الله - شيئاً عن الرسالتين الثالثة والرابعة : "تحفة المرتاد وغصة الأضداد" ، ورسالة "الاسم الأعظم" .

(٢) الرعد : ٧ (٣) القصص : ٣٥

٤- نقول من كتاب "مزاج التسنيم"[١]

● تعريف بالكتاب :

هو تفسير باطني يبدأ من قوله تعالى في سورة التوبة : **«يعتذرون إليكم ...»**[٢] وينتهي عند آخر قوله تعالى في سورة العنكبوت : **«خلق الله السموات والأرض بالحق ، إن في ذلك لآية للمؤمنين»**[٣] .

وهو مطبوع في أربعة أقسام مسلسلة الأرقام يبدأ القسم الأول من صفحة ١ وينتهي القسم الرابع بصفحة ٣٧٠ .. وفي آخر القسم الرابع فك رموز الكتابة السرية الموجودة بالكتاب .

* * *

● قال في تفسير قوله تعالى في سورة التوبة : **«والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً ...»**[٤] الخ الآية ، ما نصه : **«والذين اتخذوا»** وهم أشر أقسام أهل الإضرار ، ممن يظهر في دور الستر ، **«مسجداً»** ، يعني بعبد اللات إمام الضلالة لما نصبوه لهم قائداً باختيارهم ، وذلك جار منهم في أول كل دور عطفاً على ما سبق من ابتداء الدعوة الإبليسية ، **«ضراراً»** ، لكي يضاروا به أهل الندم من أهل النسبة الأدون ، **«وكفراً»** ، يعني بمقام حجاب العين ، **«وتفريقاً بين المؤمنين»** ، يعني بين أهل الدعوة الإسلامية ، **«وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله»** يعني مركزا لهم يأوون أليه ، **"من قبل"** ، يعني من حال ابتداء تلك الدعوة الإبليسية ، **«وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى»** ،

---

(١) كتاب مزاج التسنيم ، من تأليف ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله بن إبراهيم الإسماعيلي السليماني ، عني بتصحيحه د.شتروطمان ، للمجمع العلمي غوتينغن ، عن النسخة الخطية (هـ ٧٦) المحفوظة في مكتبة أمبروسيانة - ميلانو (الذهبي) .

(٢) التوبة : ٩٤

(٣) العنكبوت : ٤٤

(٤) التوبة : ١٠٧

يعنى بالدعاء إلى الحجاب النبوى ، **«والله يشهد»** ، يعنى الميم ، **«إنهم لكاذبون»** ، يعنى فيما يقولون سابقاً ولاحقاً ، وأيضاً أن هذا المسجد الذى كانوا يجتمعون فيه فى وقت الرسول ويعقدون فيه الآراء الفاسدة ، أنه من البقاع الخبيثة التى كانوا يجتمعون بها فى كل دور ، ويتصل بها خبائث من حثالاتهم ، وهى تلحق بالسقيفة بالرجاسة ... الخ" (ص ٨ - ٩) .

● وقال فى شرحه لأول سورة يونس : **«الر ، تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون إن هذا لساحر مبين»**[1] ما نصه : **«الر»** ، إقسام منه بـ"ألف" الفاطر المتفرد فى المقام ، و"لام" الحسين ، و"راء" شبر اللذين صارا مقاماً واحداً ، **«تلك آيات الكتاب الحكيم»** ، يعنى إشارة إلى أسماء الكرار وصفاته ، **«أكان للناس عجباً»** ، يعنى أهل النسبة الأدون ، **«أن أوحينا إلى رجل منهم»** ، يعنى من مجموع صفو زبدهم الريحية وصورهم الملائكية ، **«أن أنذر الناس»** ، يعنى بحجابه وهم أهل الجرائر وذلك من مخالفة وصيه فى الظاهر (J T ٩ . T عل. 2 V T)[2] ، **«وبشر الذين آمنوا»** ، يعنى بوصيه فى الباطن (H ⊥ I J عل)[3] المحتجب به الفاطر ، **«أن لهم قدم صدق عند ربهم»** ، يعنى الحسين بالانضمام إليه ، **«قال الكافرون»** ، يعنى بهذه المقامات ، **«إن هذا لساحر مبين»** ، يعنى تعمية للعقول إرادة منهم الدحض لأمر من أمروا بطاعتهم" (ص ١٥) .

● وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة إبراهيم : **«وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ...»** الخ[4] ، ما نصه : **«وإذ قال إبراهيم»** ، يعنى حجابه ، **« رب اجعل هذا البلد آمناً»** ، يعنى يشير إلى حجاب ولده إسماعيل المتظاهر به فى مقر دعوته فى كل دور ،

---

(١) يونس : ١ ، ٢ 	(٢) أبىّ بن كعب .

(٣) سلمان . 	(٤) إبراهيم : ٣٥ وما بعدها .

وذلك بمكة المشرفة التى صارت مركزاً لخمائرهم الشريفة ، وأيضاً أن دعاءه متوجه بالأمان إلى ما يتصل بتلك البقاع الطاهرة من خمائر أهل الندم لكى لا يلحقها ويمتزج بها شئ من الخبائث التى فى تلك المواضع المظلمة ، **«واجنبنى وبنى»** ، يعنى حجب الأئمة القائمين هنالك لهداية أهل الجزائر ، **«أن نعبد الأصنام»** ، يعنى يشير إليهم شئ من المراتب يقومون بها فى الدعوة وهم أعنى بذلك الأضداد ، **«رب إنهن أضللن كثيراً من الناس»** ، يعنى من المأنوسين بالدعوة وذلك سابقاً ولاحقاً لكونهم مالوا اليهم فى حال المحارات **«فمن تبعني»** يعنى فى حد الابتداء **«فإنه منى»** ، يعنى فى حد الانتهاء ، **«ومن عصانى»** يعنى فى قبول ما دعوت اليه ، **«فإنك غفور رحيم»** ، يعنى ساتر لمن أطاعك رحيم به لأنه أشار بالرحمة إلى العصاة" (ص ١٠٠ ، ١٠١) .

● وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة النحل : **«وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ...»** إلخ[1] ، ما نصه : **«وقال الله»** يعنى العين ، **«لا تتخذوا إلهين اثنين»** يعنى إمامين ، وهو صاحب الولاية وضده ، **«إنما هو إله واحد»** ، يعنى المقام فيها (II ⊥ I J عل)[2] ، **«فإياى فارهبون»** ، يعنى من مخالفة أمره ، **«وله ما فى السموات والأرض»** ، يعنى التصرف فى أمور الدعوتين ، **«وله الدين واصباً»** ، يعنى الإمداد للأبواب السلسية يصبه إليهم فى كل عصر ، **«أفغير الله»** ، يعنى الميم المحتجب به ، **«تتقون»** ، يعنى من المخالفة" (ص ١٢٣) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة الإسراء : **«يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ...»** الخ[3] ، ما نصه : "قال مولاى الحسام : يعنى عند قيام السابع يدعى أهل كل وقت بمن هو إمام لهم وشاهد عليهم ، ثم قال تعالى : **«فمن أوتى كتابه بيمينه»** ، يعنى وجد اعتقاده فى

---

(١) النحل : ٥١ وما بعدها .　　(٢) سلمان .

(٣) الإسراء : ٧١ وما بعدها .

الوصى ممثول اليمين ، «**فأولئك يقرأون كتابهم**» ، يعنى يظهرون ولاية إمامهم ، «**ولا يظلمون**» ، يعنى فى ثوابهم ، «**فتيلا**» والفتيل ما فى شق نوى التمرة ، يعنى : لا يظلمون آخر ما فعلوه ووالوا به وكأن شيئاً يسيراً من الولاية المرموز عليها بالفتيل . هذا قوله أعلى الله شريف قدسه .. ثم قال تعالى مخاطباً لأهل دعوة الناطق : «**ومن كان فى هذه أعمى**» يعنى فى المقامات البشرية عن معرفة الحق الموجب ما كان منه سابقاً ، «**فهو فى الآخرة أعمى**» ، يعنى فى القوالب المسوخة ، «**وأضل سبيلا**» ، يعنى أبق ، وأيضاً من ظهر وهو فى التراكيب البشرية أعمى عمى فى غيرها ، ثم قال تعالى مخاطباً للحجاب النبوى : «**وإن كادوا**» ، يعنى أولئك الأجبات «**ليفتنونك**» ، يعنى يصدونك كما جرى ذلك من أصولهم إلى أصلك . «**عن الذى أوحينا إليك**» ، يعنى من إقامة الوصى الذى هو من (، ح T . ٧ ط ٩)[١] ، «**لتفترى علينا غيره**» ، يعنى بنصب جبتهم الموازين له فى كل كرة ، «**وإذن لاتخذوك خليلا**» ، يعنى مخاللا لهم فى أمورهم النكيرة" (ص ١٥١ ، ١٥٢) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة الإسراء : «**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ...**»الخ[٢] ، ما نصه : «**وقالوا**» ، يعنى مجاثم الضلال كبراء هذه الأمة ، «**لن نؤمن لك**» ، يعنى نستسلم استسلام معرفة ويقين بمقام من أقمته للوصاية ، «**حتى تفجر لنا من الأرض**» يعنى تظهر لنا من دعوة الباطن «**ينبوعاً**» ، يعنى بابها السلسلى نستفيد منه مشافهة ، «**أو تكون لك جنة**» ، يعنى دعوة ، «**من نخيل وعنب**» ، يعنى من حدود الحضرة ، «**فتفجر الأنهار**» ، يعنى الأسرار المحجوبة ، «**خلالها تفجيراً**» ، يعنى يتخلل بها الكل منهم ومن أهل الدعوة حتى يستووا فى معرفتها ، «**أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً**» ، يعنى يقيم لهم وصياً منهم كما زعمت ، يعنى بما كان أوهمهم من إشراكهم فى الأمر

(١) حجب على .   (٢) الإسراء : ٩٠ وما بعدها .

وذلك طلباً من الحجاب النبوى تسكين شرهم كما أوهم ذلك فيما سبق ، **«أو تأتى بالله»** ، يعنى المحتجب بك ، **«والملائكة»** يعنى بحدود الدعوة العمرانية العلوية ، **«قبيلا»** ، يعنى نشاهدهم مقابلة ومعاينة ، **«أو يكون لك بيت من زخرف»** ، يعنى وصياً ، يشيرون إلى جبتهم المزخرف ، إذ هى مأوى للصور المنكرة المتزخرفة بالإفك ، **«أو ترقى فى السماء»** ، يعنى تدعى مقام مرسلك ، **«ولن نؤمن لرقيك»** ، يعنى الارتقاء إلى ذلك المقام ، **«حتى تنزل علينا كتاباً»** ، يعنى تنصب لنا إماماً منا ، وكان هذا دأبهم فى كل دور بحسب ما اختاروه ومالوا إليه فى حال المحارات . وجمد على ذلك مائع تصوراتهم مع الانحدار ، **«نقرؤه»** ، يعنى يتصورون من تصوره بالاستفادة منه .. ثم قال تعالى : **«قل سبحان ربى»** ، يعنى تقديساً للمحتجب به أن يكون فى مقامه أو يقيم وصياً بغير أمره ، **«هل كنت إلا بشراً»** ، يعنى من أحد حدود أهل النسبة الأدون المباشرين لكم ، **«رسولا»** ، يعنى منه إلى من أرسل إليهم سابقاً "(ص ١٥٥) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة مريم : **«قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ...»** الآيات[١] ، ما نصه : **«قل من كان فى الضلالة»** ، يعنى عن إتباع العين وحجبه ، **«فليمدد له الرحمن»** ، يعنى الميم بأمر العين ، **«مداً»** يعنى من الإمهال ، **«حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب»** ، يعنى فى التراكيب ، **«وإما الساعة»** ، يعنى عند ظهور القائم المنتظر ، ثم قال تعالى : **«فسيعلمون»** ، يعنى عند مشاهدتهم ذلك ، **«من هو شر مكاناً»** يعنى مأوى ، **«وأضعف جنداً»** ، يعنى أنصاراً ، ثم قال تعالى : **«ويزيد الله»** ، يعنى إمام كل زمان ، **«الذين اهتدوا»** ، يعنى إلى الندم سابقاً ، **«هدى»** ، يعنى فى ظهور فضلاتهم ، وذلك فى المعرفة والصفاء والإنارة ، **«والباقيات الصالحات»**، يعنى الذين بقوا على الطاعة وصلحت نياتهم على القيام بصلاح الدعوة فى الحديث عطفاً منهم

---

(١) مريم : ٧٥ وما بعدها .

على ما سبق فى القديم ، **«خير عند ربك»** ، يعنى العين ، **«ثواباً»** ، يعنى إثابة فى صعودهم فى سلاليم الصعود ، **«وخير مرداً»** ، يعنى يأوون إليه عند ترتيبهم فى النواسيت واللاواهيت ، ثم قال تعالى : **«أفرأيت الذى كفر بآياتنا»** ، يعنى "حبتر" كفر بحجاب الوصى وحدوده فى كل دور ، **«وقال لأوتين مالا وولداً»** ، يعنى علماً وأتباعاً ترشحاً منه للفساد ، ولذلك تظاهر بدخوله فى الملة الإسلامية تملقاً ليبلغ مرامه من الإغواء ، وكان ذلك بمقتضى ما انعقد فى وهمه الخبيث ، **«أطلع الغيب»** ، يعنى على علم الباطن ، **«أم اتخذ عند الرحمن عهداً»** ، يعنى عند الناطق مقاماً يعهد به إليه ويشير ، **«كلا»** ، يعنى إقساماً لا يكون ذلك ، ثم قال تعالى : **«سنكتب ما يقول»** ، يعنى فى تصوره المظلم ما كان منه من التعدى والتمويه ، **«ونمد له من العذاب مداً»** ، يعنى ما يقترفه من تلك السيئات ، **«ونرثه ما يقول»** ، يعنى ما طلبه من الإمهال سابقاً ولاحقاً ، **«ويأتينا فرداً»** ، يعنى فى العذاب الأدنى والعذاب الأكبر لتفرده فى أليم العذاب على أتباعه ، ثم قال تعالى : **«واتخذوا»** ، يعنى أهل الإصرار ، **«من دون الله»** ، يعنى إمام كل زمان ، **«آلهة»** ، يعنى أئمة وهم الذين اتخذوهم سابقاً ومالوا إليهم **« ليكونوا لهم عزاً»** ، يعنى فى معادهم يعتزون بهم ، **«كلا»** ، يعنى امتناعهم بذلك المرام الفاسد ، **«سيكفرون بعبادتهم»** ، يعنى بتعبدهم لهم بالطاعة ويتبرأون منهم ، وذلك حين يكشف لهم أنواع العذاب ، **«ويكونون عليهم ضداً»** ، ويعنى يضادونهم بالتعذيب لهم والتهويل والإحراق لهم بتصوراتهم النارية" (ص ١٩٧ ، ١٩٨) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة الأنبياء : **«وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ..»** الخ[١] ، ما نصه : **«وما خلقنا السماء"** ، يعنى رتبنا (II ⊥ I J عل)[٢] فى مقام الوصاية الباطنة دليلا على (J ⊥ ، II ٩ عل)[٣] ، **«والأرض»** ، يعنى رتبنا (J T ٩ . T عل . ج T V)[٤] فى مقام الوصاية الظاهرة دليلا على

---

(١) الأنبياء : ١٦ وما بعدها . (٢) سلمان

(٣) الحسين . (٤) أبىّ بن كعب .

(J ⊥ H عل)[1] «وما بينهما»، يعنى من الحدود فى الدعوتين ، **«لاعبين»** ، يعنى مستهزئين فى إقامتهم ، **«لو أردنا أن نتخذ لهواً»** ، يعنى حبتر ، **«لاتخذناه من لدنا»** ، يعنى لأقمناه منا ، ولكن لا تكون الظلمة كالنور ولا الظل كالحرور ، **«إن كنا فاعلين»** ، يعنى إقامته . ثم قال تعالى : **«بل نقذف بالحق»** ، يعنى مقام حجاب (J ⊥ 2 عـ J عـ)[2] ، **«على الباطل»** ، يعنى مقام الضد ، **«فيدمغه»** ، يعنى لظهور أمر (J ⊥ 2 عـ J عـ)[3] لا سيما عند تمام مدة مهلة الأجبات ، **«فإذا هو زاهق»** ، يعنى عن مقام ما يدعيه من الخلافة ، ثم قال تعالى مشيراً إلى فريق الإصرار : **«ولكم الويل مما تصفون»** ، يعنى أن حبتراً لحجاب (J ⊥ 2 عـ J عـ)[4]... اهـ (ص ٢٢٥) .

• وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة الأنبياء : **«وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر...»** الخ[5] ما نصه : **«وأيوب إذ نادى ربه»** ، يعنى إمام زمانه وهو كان من أبوابه وصار مجمعاً عظيماً من الأعضاء الرئيسية ، أولا فى دور المسيح وآخراً فى المجمع المحمدى ، **«أنى مسنى الضر»** ، يعنى إشارة إلى حجابه الذى حصل منه وممن فى جواره التوقف فى أحد أعضاء الهيكل العلوى وهو المستقر فى ذلك الزمان فابتلى باضطراب أهل دعوته وكثرة المنافقين وتغلبهم ، وجرى ذلك منهم فى كل دور عند ظهور فضلائهم ، **«وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر»** ، يعنى ذلك الابتلاء ، **«وآتيناه أهله»** ، يعنى أهل دعوته الذين كان ظهور فضلائهم فيها فى كل كرة ، **«ومثلهم معهم»** ، يعنى من غير أهل دعوته ، استجابوا له وصلحوا على يديه ، **«رحمة من عندنا»** ، يعنى ساقهم إليه وهداهم به

---

(١) الحسن . (٢) ، (٣) ، (٤) الكرار .
(٥) الأنبياء : ٨٣ وما بعدها .

وخصهم بذلك كما اختصه في ابتداء الفطرة ، **«وذكرى للعابدين»** ، يعنى للمتعبدين منهم بطاعته ذكرهم بالهداية وقادهم إليها" (ص ٢٣٥) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى في سورة المؤمنون : **«قل لمن الأرض ومن فيها ...»** الخ[١] ، ما نصه : **«قل لمن الأرض ومن فيها»** ، يعنى الدعوة وحدودها ، وأيضاً الأرض الظاهرة ومن فيها ، **«إن كنتم تعلمون . سيقولون لله»** ، يعنى المدبر ، **«قل أفلا تذكرون»** ، يعنى أنه العين تعالى علاه ، ثم قال تعالى : **«قل من رب السموات السبع»** ، يعنى الذى تكون منه مراتب السبعة الأئماء الذين أحاطت مراتبهم على أكثر المراتب لكونهم أشرف مقامات الدور العمراني ، ومقامات أهل الدور العمراني أفضل ممن تقدمهم في الأدوار - وقد أشار إلى ما لهم من علو المنازل في الهيكل القائمي ، ولأنهم وحدهم وأبيهم صاحب كنز الوالد بما هذا فصه أعلى الله قدسه ورزقنا شفاعته وأنسه : وأئماء دوره مثل فاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وإسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل سابعهم ، منهم حاسة السمع ، ومنهم حاسة البصر ، ومنهم حاسة الشم ، ومنهم حاسة الذوق ، ومنهم حاسة اللمس ، ومنهم حاسة التخيل ، ومنهم حاسة الحفظ ، ومنهم حاسة الذكر ، وهؤلاء الثمانية يكونون هذه الحواس الثماني ، ومحمد صلى الله عليه وعلى آله حاسة النطق والفطنة (II V ⊥ ٩ . J ⊥ ي ⊥ T)[٢] والفكرة ، **«ورب العرش العظيم»** ، يعني (J ⊥ ⅩⅩ J _ ع)[٣] ، **«سيقولون لله»** ، يعنى صاحب الاستقرار ، **«قل أفلا تتقون»** ، يعنى من مخالفته" (ص ٢٧٢ - ٢٧٣) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى في سورة النور : **«إن الذين جاءوا بالإفك ...»** الخ [١] ، ما نصه : **«إن الذين جاءوا بالإفك»** ، يعنى

---

(١) المؤمنون : ٨٤ وما بعدها .

(٢) وعلى القلب (فى الأصل الكلب).

(٣) الفاطر .

الذين اختاروا الضد وأقاموه بحسب ما كان منه ومنهم فى القديم ، **«عصبة منكم»** ، يعنى بتظاهرهم بالدخول فى الملة الإسلامية ، **«لا تحسبوه شراً لكم»** ، يعنى نكوصهم لأنه بذلك امتاز الخبيث من الطيب ، **«بل هو خير لكم»** ، يعنى ترافعت درجاتكم وتلألأت صوركم . ثم قال تعالى : **«لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم»** ، يعنى بقدر ما يصوره من الضلال أو عمل به سابقاً أو لاحقاً ، **«والذى تولى كبره منهم»** ، يعنى معظم أمر الضد منهم وهم أهل السقيفة ، **«له عذاب عظيم»** ، يعنى متضاعف على غيرهم فى جميع أبواب العذاب الأدنى والأكبر . ثم قال تعالى : **«لولا إذ سمعتموه»** ، قال مولاى ذو الحدين قدّس الله روحه فى ذلك : يعنى نص النبى على الوصى ، **«ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم»** ، يعنى بمستفيدهم ، **«خيراً وقالوا»** ، يعنى أولئك المخالفين ، **«هذا إفك مبين»** ، يعنى كذب بَيّنٍ ، ثم قال تعالى : **«لولا جاءوا عليه»** ، يعنى على صحة أنه ضدهم ، **«بأربعة شهداء»** ، يعنى يشهدون بأربعة دلائل ، الأولى : كونه من أهل بيت النبوة ، والثانية : إثبات الإمامة فى عقبه ، والثالثة : الإشارة من الله ورسوله إليه ، والرابعة : كونه فى مقام العصمة ، **«فإذ لم يأتوا بالشهداء»** ، يعنى بهذه الدلائل ، **«فأولئك عند الله»** ، يعنى عند الناطق ، **«هم الكاذبون»** ، يعنى عليه بالإشارة إلى من ليس يستكمل خصال الوصاية" (ص ٢٧٩ - ٢٨٠) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة الفرقان : **«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ...»** الخ (٢) ، ما نصه : **«وعباد الرحمن»** ، يعنى الدعاة ، **«الذين يمشون على الأرض»** ، يعنى فى قوانين الدعوة عند ظهور فضلائهم فى الأدوار ، **«هوناً»** ، يعنى بوقار ، **«وإذا خاطبهم الجاهلون»** ، يعنى بمقاماتهم ، **«قالوا سلاماً»** ، يعنى أجابوه بلين وحسن عبارة ووعظ ، وذلك دأبهم فى كل ظهور ،

---

(١) النور : ١١ وما بعدها . (٢) الفرقان : ٦٣ وما بعدها .

«والذين يبيتون لربهم» ، يعنى صاحب عصرهم ، **«سجداً وقياماً»** ، يعنى متوجهين إليه بالعبادة ظاهراً وباطناً ، **«والذين يقولون ربنا»** ، يعنى إمام زمانهم الذين هم دعاة إليه ، **«اصرف عنا عذاب جهنم»** ، يعنى الإدراك ، **«إن عذابها كان غراماً»** ، يعنى هلاكاً ، **«إنها ساءت مستقرا»** ، يعنى أسوأ مستقر لمن دخلها ، **«ومقاماً»** ، يعنى لمن أقام فيها ، **«والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا»** ، يعنى من علوم صاحب الدعوة الهادية وأمواله لكونهم معصومين به ، **«وكان بين ذلك قواماً»** ، يعنى متوسطاً بين الحالين ، **«والذين لا يدعون مع الله»** ، يعنى ولى أمره ، **«إلهاً آخر»** ، يعنى إماماً ثانياً ، **«ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق»** ، يعنى بواجب لدى الجهاد أو فى أمر توجبه الشريعة ، وأيضاً لا يسقطون أحداً من مرتبته إلا باستحقاقه لذلك لموجب ما صدر منه من الذنب الذى جرى عليه فى الكرات ، **«ولا يزنون»** ، يعنى يتعدون إلى شئ من الخدم فى غير جرائرهم التى أمرها مصروف إلى سواهم من الدعاة ، **«ومن يفعل ذلك»** ، يعنى من الذين هم غير معصومين ، **«يلق أثاماً»** ، يعنى ظاهراً وباطناً ، **«يضاعف له العذاب يوم القيامة»** ، يعنى من يوم انتقامه يجدد عليه فى القوالب ، **«ويخلد فيه مهاناً»** ، يعنى فى الصخرة ، ثم قال تعالى : **«إلا من تاب وآمن»** ، يعنى رجع إلى التوبة وأقلع عن ذلك الذنب ، وكان ذلك منه المتاب بحسب ما انعقد فى ضميره ولا بد له من التصفية والتطهير بقدر ذلك الذنب ، **«وعمل عملا صالحاً»** ، يعنى بالدعوة إلى ولى أمره ، **«فأولئك يبدل الله»** ، يعنى ولى الزمان المتولى للتدبير ، «سيئاتهم» ، يعنى تلك الذنوب التى ابتنت فى صورهم ظلمات وما كانوا قد ترتبوا فيه من الضدية ، **«حسنات»** ، يعنى بمراتب من مراتب أهل الحق وبصور نورانية من فعلهم ذلك وتلك التخيلات التى قد انقشعت عنهم تلتئم ثم تكون لها أهلا من أهل العناد . ثم قال تعالى : **«وكان الله غفوراً رحيماً»** ، يعنى لمن تاب إليه" (ص ٣٠٦ - ٣٠٧) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى أول سورة الشعراء : «طسم . تلك آيات الكتاب المبين»[1] ، ما نصه : قال الله تعالى : «طسم» ، إقسام من العاشر بمجمع المعين الذى جمع مجامع النطقاء والأسس والأئمة ، لكون الطاء من النطقاء ، والسين من الأسس ، والميم من الأئمة ، وأيضاً أن عدد الطاء تسعة ، وعدد السين والميم مائة ، فدلتنا المائة على أن مجمعه حوى من الصور الكلية التى سلمها إليه العاشر يوم (J ⊥ B Y ٩ عـ) [2] من المركزية والاستقرارية مائة صورة ، ثم على تسعة مجامع عظام رجعت إليه وهم : الميم والفاء وأسابيع الدور المحمدى فأقسم بها تعالى ، وكان وضع الطاء فى أول الحروف هذه إشارة أن العين الأولة أول ما تُسلم إلى العين الآخرة من المجامع الميم والفاء وأسابيع الدور المحمدى ، «تلك آيات الكتاب المبين» ، يعنى مقامات (J ⊥ ، H ٩ عل . II)[3] ، قباب الأنوار من ولده لكونه الكتاب وهم آياته" (ص ٣.٩) .

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة العنكبوت : «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ...» الخ[4] ، ما نصه : «ووصينا الإنسان» – قال مولاى الحسام فى حقيقة ذلك : يعنى محمد بن أبى بكر ، «بوالديه» ، يعنى الضالين اللذين كان استفادته أولا منهما ، «حسناً» ، يعنى أن يدعوهما إلى ولاية الوصي. ثم قال تعالى : «وإن جاهداك لتشرك بى» ، يعنى أن تشركهما فى مقام الوصاية ، «ما ليس لك به علم» ، يعنى أنهما يستحقانه ، «فلا تطعهما» ، يعنى فيما أمراك به ، «إلىّ مرجعكم» ، يعنى دعوتهم إذا قام السابع ، «فأنبئكم بما كنتم تعملون» ، يعنى من صرف الدعوة" (ص ٣٦١) .

* * *

(١) الشعراء : ١ ، ٢ .
(٢) الغدير .
(٣) الحسين .
(٤) العنكبوت : ٨ .

● ما فى آخر النسخة :

" وكان الفراغ من زبر هذا الكتاب الموضح من الأسرار لما هو لب اللباب يوم الأحد خامس عشر شهر رجب الأصب [هكذا][1] سنة ١١٧٣ وذلك من مسودتها التى هى بخط مؤلفها سيدنا الداعى الجليل عديم النظير والمثيل ، ضياء الدين ودرة تاجه والإكليل ، إسماعيل بن سيدنا هبة الله أيده الله بالنصر والظفر ، وبلغه فى رفع بناء الدعوة كنه الأمل والوطر ، وذلك بحصنه السعيد وقصره الشامخ المشيد من محروس نجران ببلاد يام ، حرسها الله من الأشرار اللئام ، وذلك بخط العبد الضعيف ، البائس الذليل اللهيف ، أحقر عبيد مولاه ، وأحوجهم لعفوه ورضاه ، عبد الله بن سيدنا علىّ بن هبة الله ، وفقه الله لما يحب ويرضى ، وختم له بالحسنى ، فيجب على من قرأه أن لا يتركه من الدعاء بأن الله يرحم لطيفه وكثيفه ، ويسرع بانضمامه إلى جوار جده وأليفه ، وأجره على من لا يضيع أجر المحسنين :

يلـوح الخـط فـى القرطـاس دهرا وكاتبـه رميم[2] فى التراب

(ص ٣٧١)

* * *

● ملحوظة هامة :

فى آخر القسم الرابع من كتاب "مزاج التسنيم" ، توجد حروف الكتابة السرية وما يقابلها بالحروف العربية على النحو التالى :

---

(١) والأصح أن يقول : رجب الأصم .
(٢) فى الأصل : رميما .

J	T	ط	م	ح	6	γ	Y	λ	ع	ل	H
أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س

ك	P	(ل)	_	(J)	V	B	X	ى	2	⊥
ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل

I	عل	X	II	٩	4
م	ن	هـ	و	ى	لا

ويلى ذلك فك الرموز الموجودة بالكتاب ابتداء من أول سورة يونس إلى آخر ما وصل إليه من سورة العنكبوت . وقد وضعنا فك الرموز بالهامش نقلا عن الجدول الموجود بآخر الكتاب (الذهبى) .

* * *

٥- نقول عن كتاب الكافي (الجزء الأول)

لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩هـ - طبع إيران سنة ١٣٨٤هـ - الناشر مكتبة الصدوق .

● الجامعة - القياس :

"روى بسنده قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة[١] ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط عليّ عليه السلام بيده ، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً ، فيها علم الحلال والحرام ، وإن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً ، إن دين الله لا يصاب بالقياس" (جـ ١ ، ص ٥٧) .

* * *

● علم عليّ رضي الله عنه :

" وبسنده إلى سليم بن قيس الهلالي قال : قلت لأمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على

---

(١) يريد : في جنب كتاب الجامعة .

والجامعة - كما يقولون - : هي كتاب طوله سبعون ذراعا من إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط علي عليه السلام ، مكتوب على الجلد المسمى بالرق في عرض الجلد ، جمعت الجلود بعضها ببعض حتى بلغ طولها سبعين ذراعا وعدها من مؤلفات علي باعتبار أنه كتبها ورتبها من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإملائه . قالوا : وفيها كل حلال وحرام ، وكل شئ يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش (أعيان الشيعة جـ ٢ ص ٥٤) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم ؟

قال : فأقبل على فقال : قد سألت فافهم الجواب : إن فى أيدى الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كُذِب على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده ....

إلى أنه قال : وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم دخلة ، وكل ليلة دخلة ، فيخلينى فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيرى ، فربما كان فى بيتى يأتينى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ذلك فى بيتى ، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلانى وأقام عنى نساءه فلا يبقى عنده غيرى ، وإذا أتانى للخلوة معى فى منزلى لم تقم عنى فاطمة ولا أحد من بنى ، وكنت إذا سألته أجابنى ، وإذا سكت عنى وفنيت مسائلى ابتدأنى ، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علىّ فكتبتها بخطى وعلمنى تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطينى فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علىّ وكتبته منذ دعا الله لى بما دعا ، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى ، كان أو يكون ، ولا كتب على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً ، ثم وضع يده على صدرى ودعا الله لى أن يملأ قلبى علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت : يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى ، منذ دعوت الله لى بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتنى شئ لم أكتبه ، أفتتخوف علىّ النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا ، لست أتخوف عليك النسيان والجهل" (جـ ١ ، ص ٦٢ - ٦٤) .

* * *

● **التقية :**

"وبسنده عن زرارة بن أعين ، عن أبى جعفر عليه السلام ، قال : سألته عن مسألة فأجابنى ، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى ، فلما خرج الرجلان قلت : يابن رسول الله ، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه ؟ فقال : يازرارة ، إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم" (جـ ١ ، ص ٦٥) (١).

* * *

---

(١) التقية : وجد الشيعة فى التقية مخلصا لهم من تناقض أقوالهم فى تفسير القرآن ، فللإمام أن يسكت ولا يجيب تقية منه ...

قيل عند الباقر : إن الحسن البصرى يزعم أن الذين يكتمون العلم تؤذى ريح بطونهم أهل النار ، فقال الباقر : فهلك إذن مؤمن آل فرعون ، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحا ، فليذهب الحسن يمينا وشمالا ، لا يوجد العلم إلا ههنا - وأشار إلى صدره .

وللإمام أن يجيب بحسب الأحوال ، وما يرى فيه المصلحة ، تقية منه أيضا .. وبنوا على هذا أن الإمام إن قال قولا عن سبيل التقية ، فللشيعى أن يأخذ به والعمل بما قاله الإمام إن لم يتنبه الشيعى إلى أن قول الإمام كان على سبيل التقية . (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ٣٠ ، ٣١).

ويروى الحسن العسكرى فى تفسيره للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث فى التقية ، فمن ذلك : أنه روى عن الحسن بن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الأنبياء إنما فضلهم الله على الخلق أجمعين لشدة مداراتهم لأعداء دين الله ، وحسن تقيتهم لأجل إخوانهم فى الله » .

وروى عن أمير المؤمنين أنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من سئل عن علم فكتمه حيث يجب إظهاره وتزول عنه التقية ، جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من النار» .

وعند تفسيره لقوله تعالى « **وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** » (البقرة : ١٦٣) . يقول : «الرحيم بعباده المؤمنين من=

. . . .

=شيعة آل محمد ، وسع لهم فى التقية ، يجاهرون بإظهار موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إذا قدروا ، ويسرونها إذا عجزوا » أ هـ .

وعند تفسيره لقوله تعالى : « **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** » الآية (البقرة : ١٧٣) .. يقول : «.. نظر الباقر إلى بعض شيعته وقد دخل خلف بعض المنافقين إلى الصلاة ، وأحس الشيعى بأن الباقر قد عرف ذلك منه بقصده وقال : أعتذر إليك يابن رسول الله عن صلاتى خلف فلان فإنها تقية ، ولولا ذلك لصليت وحدى ، قال له الباقر : يا أخى، إنما كنت تحتاج أن تعتذر لو تركت ، يا عبد الله المؤمن : ما زالت ملائكة السموات السبع والأرضين السبع تصلى عليك وتلعن إمامك ذاك ، وإن الله تعالى أمر أن تحسب صلاتك خلفه للتقية بسبعمائة صلاة لو صليتها لوحدك . فعليك بالتقية » .

ويفسر الطبرسى قوله تعالى : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة** » الآية (آل عمران : ٢٨) ، فيقول : «من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فليس من الله فى شئ ، أى ليس هو من أولياء الله ، والله برئ منه ، وقيل : ليس هو من ولاية الله تعالى فى شئ . وقيل : ليس من دين الله فى شئ . ثم استثنى فقال : « **إلا أن تتقوا منهم تقاة** » .. والمعنى : إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم ، فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه ، ومداراتهم تقية منهم ودفعاً عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك . وفى هذه الآية دلالة على أن التقية جائزة فى الدين عند الخوف على النفس ، وقال أصحابنا : إنها جائزة فى الأحوال كلها عند الضرورة ، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الأفعال فى قتل المؤمن ، ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد فى الدين .

قال المفيد : إنها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً ، وتجوز أحياناً من غير وجوب ، وتكون فى وقت أفضل من تركها ، وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذور أو معفواً عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها . وقال الشيخ أبو جعفر الطوسى : وظاهر الروايات يدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس ، وقد روى رخصته فى جواز الإفصاح بالحق عنده ، وروى الحسن : أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أفتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم ، ثم دعا بالآخر فقال :أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : =

● الأئمة حجة الله :

"وبسنده إلى أسود بن سعيد قال : كنت عند أبى جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداء منه من غير أن أسأله : نحن حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ، ونحن وجه الله ، ونحن عين الله فى خلقه ، ونحن ولاة أمر الله فى عباده" (جـ ١ ، ص ١٤٥) .

* * *

● ولاية الأئمة ولاية لله ، وظلمهم ظلمه :

"وبسنده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله

=نعم. قال : أفتشهد أنى رسول الله ؟ قال : إنى أصم ... قالها ثلاثا ، كل ذلك يجيبه بمثل الأول ، فضرب عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "أما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه ، وأخذ بفضله فهنيئاً له ، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه" ، فعلى هذا تكون التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة .

ويقول محسن الكاشى بالتقية ، ويراها ضرورة من ضروريات قيام مذهبه وصون أصحابه من الاضطهاد ، فإنا نراه يفيض فيها عندما تكلم عن هذه الآية : **« إلا أن تتقوا منهم تقاة »** : إلا أن تخافوا من جهتهم خوفاً وأمراً يجب أن يخاف منه ، وقرىء «تقية» منع عن موالاتهم ظاهراً وباطناً فى الأوقات كلها إلا وقت المخافة ، فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز بالمخالفة كما قيل : كن وسطاً وامش جانباً ... ثم قال : وفى العياشى عن الصادق قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا إيمان لمن لا تقية له" ، ويقول : قال الله **«إلا أن تتقوا منهم تقاة»** ، وفى الكافى عنه قال : التقية ترس الله بينه وبين خلقه . وعن الباقر قال : التقية فى كل شئ يضطر إليه ابن آدم ، وقد أحل الله له . والأخبار فى ذلك مما لا يحصي»

ويقول السيد عبد الله العلوى فى تفسيره لهذه الآية : "رخص لهم إظهار موالاتهم إذا خافوهم مع إبطان عداوتهم وهى التقية التى تدين بها الإمامية ، ودلت عليها الأخبار المتواترة وقوله : **«إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»** (النحل : ١٠٦) ، انظر : (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٦٧ ، ١٨٣) .

عز وجل : **«وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»**[1] ، قال : إن الله تعالى أعظم وأجل وأمنع من أن يُظلم ، ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته ، حيث يقول : **«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»**[2] يعني الأئمة منا" (جـ ١ ، ص ١٤٦) .

* * *

● معرفة الإمام :

"وبسنده إلى أبي جعفر عليه السلام قال : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا . قلت : جعلت فداك ، فما معرفة الله ؟ قال : تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم وموالاة عليّ عليه السلام ، والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، هكذا يُعرف الله عز وجل" (جـ ١ ، ص ١٨٠) .

● "وبسنده إلى ابن أذينة قال : حدثنا غير واحد عن أحدهما عليه السلام أنه قال : لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه ويرد اليه ويسلم له ، ثم قال : كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول" ؟ (جـ ١ ، ص ١٨٠) .

● "وبسنده إلى أبي جعفر قال : إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ، ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله ، هكذا والله ضلالا" (جـ ١ ، ص ١٨١) .

● "وبسنده إلى ذريح قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأئمة بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : كان أمير المؤمنين عليه السلام إماماً ، ثم كان الحسن عليه السلام إماماً ، ثم كان الحسين عليه

---

(١) البقرة : ٥٧ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

السلام إماماً ، ثم كان عليّ بن الحسين إماماً ، ثم كان محمد بن عليّ إماماً ، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة رسوله" (جـ ١ ، ص ١٨١) .

● "وبسنده إلى أبى عبد الله يقول فى قول الله عز وجل : **«ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً»**[١] ، فقال : طاعة الله ومعرفة الإمام" (جـ ١ ، ص ١٨٥) .

● "وبسنده إلى أبى جعفر يقول فى قول الله تبارك وتعالى : **«أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس»**[٢] ، فقال "ميت" لا يعرف شيئاً ، و **«نوراً يمشى به فى الناس»** إماماً يؤتم به ، **«كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها»** ، قال : الذى لا يعرف الإمام" (جـ ١ ، ص ١٨٥) .

● "وبسنده إلى أبى جعفر قال : دخل أبو عبد الله الجدلى على أمير المؤمنين فقال عليه السلام : يا أبا عبد الله ، ألا أخبرك بقول الله عز وجل : **« من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون »**[٣] ، قال : بلى يا أمير المؤمنين ، جعلت فداك ، فقال : الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت ، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت ، ثم قرأ عليه هذه الآية" (جـ ١ ، ص ١٨٥) .

* * *

● فرض طاعة الأئمة :

"وبسنده إلى أبى عبد الله قال : نحن الذين فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس إلا معرفتنا ، ولا يُعذر الناس بجهالتنا ، من عرفنا كان مؤمناً ،

---

(١) البقرة : ٢٦٩ .
(٢) الأنعام : ١٢٢ .
(٣) النمل : ٨٩ ، ٩٠ .

ومن أنكرنا كان كافراً ، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذى افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة ، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء" (جـ ١ ، ص ١٨٧)[(١)] .

---

(١) يقول ملا محسن الكاشى فى تفسيره لقوله تعالى : **«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»** .. الآية (النساء : ٥٩) ما نصه : " فى الكافى والعياشى عن الباقر : إيانا عنى خاصة .. أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا. وفى الكافى عن الصادق : أنه سئل عن الأوصياء .. طاعتهم مفترضة ؟ قال : نعم ، هم الذين قال الله : **«أطيعوا الله»** .. الآية ، وقال الله : **«إنما وليكم الله»** .. الآية ، وفيه والعياشى عنه فى هذه الآية قال : نزلت فى على بن أبى طالب والحسن والحسين ، فقال : إن الناس يقولون فماله لم يسم عليا وأهل بيته فى كتابه ؟ فقال : فقولوا لهم : نزلت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا أربعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر ذلك لهم ، ونزلت : **«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»** . ونزلت فى على والحسن والحسين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على : "من كنت مولاه فهذا على مولاه" ، وقال : "أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتى ، فإنى سألت الله أن لايفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض ، فأعطانى ذلك" . وقال : "لا تعلموهم ، فإنهم أعلم منكم" ، وقال : "إنهم لم يخرجوكم من باب هدى ولم يدخلوكم فى باب ضلالة" ، فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان ، ولكن الله أنزل فى كتابه تصديقا لنبيه : **«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»** (الأحزاب : ٣٣) فكان على والحسن والحسين وفاطمة ، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الكساء فى بيت أم سلمة ثم قال : "اللهم إن لكل نبى أهلا وثقلا ، وهؤلاء أهل بيتى وثقلى" ، فقالت أم سلمة : ألست من أهلك ؟ فقال : إنك إلى خير ، ولكن هؤلاء أهل بيتى وثقلى ... الحديث ، وزاد العياشى : آل عباس ، وآل عقيل ، قبل قوله : وآل فلان . عن الصادق أنه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام التى إذا أخذ بها زكى العمل ولم يضر جهل ما جهل بعده ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق فى الأموال الزكاة ، والولاية التى أمر الله بها ، ولاية آل محمد ، فإن رسول الله قال : "من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية" .. قال الله تعالى : **«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»** .. فكان على ، ثم صار من بعده الحسن ، ثم من بعده الحسين ، ثم من بعده على بن الحسين ، ثم من بعده=

●"وبسنده إلى سدير عن أبى جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ، ما أنتم ؟ قال : نحن خُزَّان علم الله ، ونحن تراجمة وحى الله ، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض" (جـ ١ ، ص ١٩٢) .

●"وبسنده إلى أبى عبد الله فى قول الله تعالى : **«الذين يتبعون**

=محمد بن على ، ثم هكذا يكون الأمر .. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ... الحديث . وفى المعانى عن سليم بن قيس الهلالى عن أمير المؤمنين أنه سأله : ما أدنى ما يكون به الرجل ضالا ، فقال : أن لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته ،. وجعله حجته فى أرضه ، وشاهده على خلقه .. قال : فمن هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال : **«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»** . قال : فقبلت رأسه وقلت : أوضحت لى ، وفرجت عنى ، وأذهبت كل شئ كان فى قلبى . وفى الإكمال عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : لما نزلت هذه الآية قلت : يا رسول الله ، عرفنا الله ورسوله ، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ ، فقال : " هم خلفائى يا جابر وأئمة المسلمين من بعدى ، أولهم على بن أبى طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم على بن الحسين ، ثم محمد بن على المعروف فى التوراة بالباقر .. وستدركه يا جابر ، فإذا لقيته فأقرئه منى السلام ، ثم الصادق جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر ، ثم على بن موسى ، ثم محمد بن على ، ثم على بن محمد ، ثم الحسن بن على ، ثم سميى محمد ، وكنيته حجة الله فى أرضه ، وبقيته فى عباده ، ابن الحسن بن على ، ذاك الذى يفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، ذاك الذى يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان" .قال جابر : فقلت : يا رسول الله ، فهل لشيعته الانتفاع به فى غيبته ، فقال : "أى ، والذى بعثنى بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته ، كانتفاع الناس بالشمس وإن تجللها سحاب . يا جابر .. هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله" .. والأخبار فى هذا المعنى فى الكتب المتداولة المعتبرة لا تحصى كثرة . وفى التوحيد عن أمير المؤمنين : اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسول ، وأولى الأمر بالمعروف والعدل و الإحسان . وفى العلل عنه : لا طاعة لمن عصى الله ، وإنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر ، إنما أمر الله بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصية ، وإنما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية" . (التفسير والمفسرون ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ - ١٦٥) .

الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ...» إلى قوله : **«واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون»**(١) ، قال : النور فى هذا الموضع علىّ أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام" (جـ ١ ، ص ١٩٤) .

● "وبسنده إلى صالح بن سهل الهمدانى قال : قال أبو عبد الله عليه السلام فى قول الله تعالى : **«الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة»**(٢) ، فاطمة عليها السلام ، **«فيها مصباح»** ، الحسن ، **«المصباح فى زجاجة»** ، الحسين ، **«الزجاجة كأنها كوكب درى»** ، فاطمة كوكب درى بين نساء أهل الدنيا ، **«يوقد من شجرة مباركة»** ، إبراهيم عليه السلام ، **«زيتونة لا شرقية ولاغربية»** ، لا يهودية ولا نصرانية ، **«يكاد زيتها يضئ»** ، يكاد العلم ينفجر بها ، **«ولو لم تمسسه نار ، نور على نور»** ، إمام منها بعد إمام ، **«يهدى الله لنوره من يشاء»** يهدى الله للأئمة من يشاء ، **«ويضرب الله الأمثال للناس»** .

قلت : **«أو كظلمات»** ؟ قال : الأول وصاحبه ، **«يغشاه موج»** ، الثالث ، **«من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات»** ، الثانى ، **«بعضها فوق بعض»** ، معاوية لعنه الله(٣) وفتن بنى أمية ، **«إذا**

---

(١) الأعراف : ١٥٧ .   (٢) النور : ٣٥ - ٤٠ .

(٣) لا يجوز سب الصحابة رضوان الله عليهم فضلا عن لعنهم ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا أصحابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه" (اتفق عليه الشيخان) .

فضلا عن أن "معاوية" رضى الله عنه كان أحد كتاب الوحى الذين ائتمنهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابته ، وكان من الصحابة الأجلاء الذين قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم : "خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته" (رواه الشيخان) .

وقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، ولهذا يحرم سبه فضلا عن لعنه (البلتاجى) .

أخرج يده» ، المؤمن فى ظلمة فتنتهم ، **«لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً»** ، إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ، **«فما له من نور»** ، إمام يوم القيامة" (جـ ١ ، ص ١٩٥) .

● سألته عن قول الله تبارك وتعالى : **«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم»**[١] قال : يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم . قلت : قوله تعالى: **«والله متم نوره»** ؟ قال : يقول: والله متم الإمامة ، والإمامة هى النور ، وذلك قوله عز وجل : **«فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا»**[٢] ، قال النور هو الإمام" (جـ ١ ، ص ١٩٥ - ١٩٦) .

● "وبسنده إلى أبى عبد الله ، وساق حديثاً جاء فى آخره : "... كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه باب الله الذى لا يُؤتى إلا منه ، وسبيله الذى من سلك بغيره هلك ، وبذلك جرت الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد ، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم ، والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى" (جـ ١ ، ص ١٩٧) .

● "وبسنده قال : حدثنا داوود الجصاص قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **«وعلامات ، وبالنجم هم يهتدون»**[٣] ، قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعلامات هم الأئمة عليهم السلام" (جـ ١ ، ص ٢٠٦) .

● "وبسنده إلى داوود الرقى قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : **«وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون»**[٤] ، قال : الآيات هم الأئمة ، والنذر هم الأنبياء عليهم السلام" (جـ ١ ، ص ٢٠٧) .

---

(١) الصف : ٨ .
(٢) التغابن : ٨ .
(٣) النحل : ١٦ .
(٤) يونس : ١٠١ .

● " وعن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عز وجل : **«كذّبوا بآياتنا كلها»**[1] ، يعنى الأوصياء كلهم" (جـ ١ ، ص ٢٠٧) .

● " وبسنده إلى معاوية العجلى قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : **«اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»**[2] ، قال : إيانا عنى" (جـ ١ ، ص ٢٠٨) .

● "وبسنده إلى أبى جعفر قال فى قول الله عز وجل : **«هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب»**[3] ، قال : نحن الذين يعلمون ، وعدونا الذين لا يعلمون ، وشيعتنا أولوا الألباب" (جـ ١ ، ص ٢١٢) .

● "وبسنده إلى أحمد بن عمر قال : سألت أبا الحسن الرضا عن قول الله عز وجل : **«ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...»** الآية [4] ، فقال : ولد فاطمة عليهما السلام ، والسابق بالخيرات : الإمام ، والمقتصد : العارف بالإمام ، والظالم لنفسه : الذى لا يعرف الإمام" (جـ ١ ، ص ٢١٥) .

● "وبسنده إلى أبى عبد الله فى قوله تعالى : **«إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم»**[5] ، قال : يهدى إلى الإمام" (جـ ١ ، ص ٢١٦) .

● " وبسنده إلى أبى بصير عن أبى عبد الله قال : قال لى : يا أبا محمد ، إن الله عز وجل لم يعط الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطاه محمداً صلى الله عليه وسلم ، قال : وقد أعطى محمداً جميع ما أعطى الأنبياء ، وعندنا الصحف التى قال الله عز وجل : **«صحف إبراهيم وموسى»**[6] ، قلت : جعلت فداك ، هى الألواح ؟ قال : نعم" (جـ ١ ، ص ٢٢٥) .

(١) القمر : ٤٢ . (٢) التوبة : ١١٩ .
(٣) الزمر : ٩ . (٤) فاطر : ٣٢ .
(٥) الإسراء : ٩ . (٦) الأعلى : ١٩ .

● "وبسنده إلى أبى جعفر قال : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلا علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، والأئمة من بعده" (جـ ١ ، ص ٢٢٨)[١] .

---

(١) يرى الشيعة أن عليا رضى الله عنه هو أول من جمع القرآن ، وأن القرآن الذى جمعه هو القرآن الكامل الذى لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ، ويروى لنا ملا محسن الكاشى فى كتابه "الصافى فى تفسير القرآن" أحاديث عن آل البيت كمستند له فى رأيه هذا ، فمن ذلك : ما نقله عن القمى فى تفسيره بإسناده عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال : "إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام : يا على ، إن القرآن خلف فراشى فى الصحف والحرير والقراطيس ، فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة ، فانطلق عليه السلام فجمعه فى ثوب أصفر ثم ختم عليه فى بيته وقال : لا أرتدى حتى أجمعه ، قال : كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه".

ومنها ما رواه القمى بإسناده عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل على أبى عبد الله – وأنا أستمع – حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال أبو عبد الله : كف عن هذه القراءة . اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ، فإذا قام اقرأ كتاب الله تعالى على حدة : وأخرج المصحف الذى كتبه على عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه ، فقال لهم : هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جمعته بين اللوحين . فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدا ، إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لقراءته .

ومن ذلك ما روى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : أنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع على عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم ، لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما فتحه أبو بكر خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر وقال : يا على ، اردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه علىّ عليه السلام وانصرف ، ثم حضر زيد بن ثابت – وكان قارئاً للقرآن – فقال له عمر : إن علياً جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد أردنا أن تؤلف لنا القرآن وتسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار ، فأجابه زيد إلى ذلك ، ثم قال : فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علىّ القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم ؟ . ثم قال عمر : فما الحيلة ؟ قال زيد : أنتم اعلم بالحيلة ، =

. . . .

=فقال عمر : ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه ، فدبر فى قتله على يد خالد ابن الوليد فلم يقدر على ذلك .. فلما استخلف عمر سأل علياً عليه السلام أن يدفع إليه القرآن فيحرقوه فيما بينهم فقال : يا أبا الحسن ، إن كنت جئت به إلى أبى بكر فأت به إلينا حتى نجمع عليه ، فقال علىّ عليه السلام : هيهات ، ليس إلى ذلك سبيل ، إنما جئت به لأبى بكر لتقوم به الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : ما جئتنا به . إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدى ، فقال عمر : فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ قال علىّ عليه السلام : نعم . إذا قام القائم من ولدى فيظهره ويحمل الناس عليه فتجرى السنة به" (الصافى فى تفسير القرآن جـ ١ ، ص . ١٠ ، ١١) .

ولكنا نجد صاحبنا بعد ما ساق هذه الروايات وكثيراً غيرها يقف منها موقف المستشكل فيقول : "ويرد على هذا كله إشكال .. وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شئ من القرآن ، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفا ومغيرا ، أو يكون على خلاف ما أنزل الله ، فلم يبق لنا فى القرآن حجة أصلا ، فتنتفى فائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك . وأيضاً قال الله عز وجل : « **وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** » (فصلت : ٤١ ، ٤٢) ، وقال : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » (الحجر : ٩) ... فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير ؟ وأيضا قد استفاض عن النبى والأئمة صلوات الله عليهم حديث عرض الخبر المروى على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له ، وفساده بمخالفته [هذا الحديث المشار اليه موضوع بإجماع أهل العلم] ، فإذا كان القرآن الذى بأيدينا محرفا فما فائدة العرض ؟ مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له ، فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله " .

وهنا يجيب ملا محسن على إشكاله هذا بجوابين :

أولهما : أن هذه الأخبار إن صحت فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال ، كحذف اسم علىّ وآل محمد ، وحذف أسماء المنافقين ، فإن انتفاء التعبير باق لعموم اللفظ .

وثانيهما : أن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من أجزاء القرآن ، فيكون التبديل من حيث المعنى ، أى حرفوه وغيروه فى تفسيره وتأويله ، بأن حملوه على خلاف ما يراد منه" (الصافى جـ ١ ، ص . ١٠ - ١٤) .

ثم ذكر بعد هذا أقوال من تقدمه من شيوخه وعلماء مذهبه وهم ما بين =

. . . .

=مجيز للتحريف والنقصان ومانع لذلك ، ولكل أدلته وحجته ، ولا نطيل بذكرها ومن أرادها فليرجع إليها فى المقدمة السادسة (ص ١٤ ، ١٥) .

ويرى الشيعة أن آل البيت هم تراجمة القرآن دون من عداهم ، فهم الذين جمعوا علم القرآن كله وأحاطوا بمعانيه وأسراره ، ووقفوا على رموزه وإشاراته ، ذلك لأن القرآن نزل فى بيتهم - بيت النبوة - ورب البيت أدرى بما فيه ، وهو فى هذه العقيدة لا يشذ وحده بل ذلك هو رأى هذه الطائفة كلها لا فرق بين معتدل ومتطرف .

يقول الكاشى فى مقدمة تفسيره : "... وإن العترة تراجمة القرآن فمن الكشاف عن وجوه عرايس أسراره ودقائقه وهم خوطبوا به ؟ ومن لتبيان مشكلاته ولديه مجمع بيان معضلاته ومنبع بحر حقائقه وهم أبو حسنه ؟ ومن يشرح آيات الله وييسر تفسيرها بالرموز والصراح إلا من شرح الله صدره بنوره ومثله بالمشكاة والمصباح ؟ ومن عسى يبلغ علمهم بمعالم التنزيل والتأويل . وفى بيوتهم كان ينزل جبريل ؟ .. وهى البيوت التى أذن الله أن ترفع ، فعنهم يؤخذ ومنهم يسمع . إذن أهل البيت بما فى البيت أدرى ، والمخاطبون بما خوطبوا به أوعى ، فأين نذهب عن بابهم وإلى من نصير .." ؟ (الصافى ، جـ ١ ، ص ٢) .

ثم يمضى صاحبنا بعد ذلك فيؤيد قوله هذا بأحاديث يرويها عن أهل البيت كلها - فيما نعتقد وكما يظهر من أسلوبها - من وضع الشيعة وأخلاقهم ، فمن ذلك ما نقله عن الكافى بإسناده عن سليم بن قيس الهلالى قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول ..... وساق الحديث إلى أن قال : "ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أقرأنيها وأملاها علىّ فأكتبها بخطى ، وعلمنى تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، ودعا الله أن يعلمنى فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ، ولا علماً أملاه علىّ فكتبته منذ دعا لى بما دعا ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس منه حرفاً واحداً ، ثم وضع يده على صدرى ودعا الله أن يملأ قلبى علماً وفهماً وحكمة ونوراً ، فقلت : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ... منذ دعوت الله لى بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتنى شئ لم أكتبه ... أو تتخوف على النسيان فيما بعد ؟ . فقال : لست أتخوف عليك نسيانا ولا جهلا" قال : ورواه العياشى فى تفسيره والصدوق فى إكمال الدين . بتفاوت يسير فى ألفاظه ، وزيد فى آخره " وقد أخبرنى ربى أنه قد استجاب لى فيك وفى شركائك اللذين يكونون من بعدك ، فقلت : يا رسول الله ، ومن شركائى من بعدى ؟ قال : الذين قرنهم الله بنفسه وبى ، فقال :=

. . . .

=«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» .(النساء : ٥٩) . فقلت : ومن هم ؟ قال : الأوصياء منى إلي أن يردوا عليَّ الحوض ، كلهم هادين مهتدين لا يضرهم من خذلهم ، هم مع القرآن والقرآن معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه ، بهم تنصر أمتى وبهم تمطر ، وبهم يدفع عنهم البلاء ، وبهم يستجاب دعاؤهم . فقلت : يا رسول الله ، سمهم لى .. فقال : ابنى هذا .. ووضع يده على رأس الحسن ، ثم قال : ابنى هذا .. ووضع يده على رأس الحسين ، ثم ابن له يقال له "عليّ" وسيولد فى حياتك فأقرئه منى السلام ، ثم تكملة اثنى عشر من ولد محمد . فقلت له : بأبى أنت وأمى .. أنت فسمهم لى ، فسماهم رجلا رجلا ، فقال : منهم والله ياأخا بنى هلال مهدى أمة محمد ، الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، والله إنى لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم" (الصافى جـ ١ ، ص ٥ ، ٦) .

ومنها ما نقله عن الكافى بإسناده إلى زيد الشحام .. قال : دخل قتادة بن دعامة على أبى جعفر عليه السلام فقال : يا قتادة ، أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون . فقال أبو جعفر عليه السلام : بعلم تفسره أم بجهل ؟ قال : لا .. بل بعلم ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك . قال قتادة : سل. قال : أخبرنى عن قول الله تعالى فى سبأ : « وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين » (سبأ : ١٨) . فقال قتادة : من خرج من بيته بزاد وراحلة وكري حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله. فقال أبو جعفر عليه السلام : نشدتك بالله ياقتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربه فيها اجتياحه ؟ قال قتادة : اللهم نعم . فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة .. إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ، ويحك يا قتادة .. ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفاً بحقنا ، يهوانا قلبه ، كما قال الله تعالى : «فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم» (ابراهيم : ٣٧) . ولم يعين البيت فقيل إليه . نحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التى من هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا ، يا قتادة فإن كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة . قال قتادة : لا جرم والله لا أفسرها إلا هكذا ، فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة .. إنما يعرف القرآن من خوطب به" (الصافى فى تفسير القرآن) .

ولكن هل معنى ذلك أن ملا محسن يرى أن فهم معانى القرآن ومعرفة=

. . . .

=أسراره أصبح أمراً مقصوراً على أهل البيت وحدهم فيكون بذلك قد حجر واسعاً وجحد فضل من عداهم من العلماء ؟ أو يرى أن القرآن فى فهمه قدر مشترك بين العلماء جميعاً لا فرق بين أهل البيت وغيرهم ؟ الحق أن صاحبنا يرى أن فى معانى القرآن لأرباب الفهم متسعاً بالغاً ومجالاً رحباً ، ولكن من هم أولوا الفهم الذين لا يجوز لهم أن يعملوا عقولهم فى فهم معانى القرآن واستنباط أحكامه ؟ . نرى المؤلف يحدد لنا أولى الفهم بحدود ، ويقيدهم بقيود لها صلة قوية بمذهبه الشيعى ، وذلك حيث يقول : "... فالصواب أن يقال : إن من أخلص الانقياد لله ولرسوله ولأهل البيت عليهم السلام ، وأخذ علمه منهم ، وتتبع آثارهم ، واطلع على جملة من أسرارهم ، بحيث حصل له الرسوخ فى العلم ، والطمأنينة فى المعرفة ، وانفتح عينا قلبه ، وهجم به العلم على حقائق الأمور ، وباشر روح اليقين ، واستلان ما استوعره المترفون ، وأنس بما استوحش منه الجاهلون ، وصحب الدنيا ببدن روحه معلقة بالمحل الأعلى ، فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه ، ويستنبط منه نبذاً من عجائبه ، ليس ذلك من كرم الله بغريب ، ولا من جوده بعجيب ، فليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين ، وقد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم ، كما قالوا : سلمان منا أهل البيت ، فمن هذه صفته فلا يبعد دخوله فى الراسخين فى العلم ، العالمين بالتأويل" (الصافى ، جـ ١ ، ص ١٠) .

ولما كان المؤلف – رحمه الله – قد جعل جل اعتماده فى تفسيره ، بل كله ، على ما وصل إليه من التفسير عن آل البيت ، لاعتقاده أنهم أدرى به من غيرهم ، فإنا نراه يرى – مع شئ من التواضع التقليدى – أن تفسيره هو التفسير المثالى الذى يجب أن يحتذى ، كما نراه لا يعترف بتفسير غيره ممن تقدم عصره بل ويبالغ فى عدم الأعتراف فيطعن على من عدا أهل البيت من الصحابة ويرميهم بالنفاق وغيره ، ولا يرتضى ما جاء عنهم من تفسير ، كأن عقول الصحابة جميعاً قد عقمت وضلت إلا عقول أهل البيت ومن والاهم ...

يقرر المؤلف هذا بكل صراحة وجراءة مع حملة ظالمة على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك حيث يقول : ".. هذا ياإخوانى ما سألتمونى من تفسير القرآن ، بما وصل إلينا من أئمتنا المعصومين من البيان ، أتيتكم به مع قلة البضاعة ، وقصور يدى عن هذه الصناعة ، على قدر مقدور ، فإن المأمور معذور ، والميسور لا يترك بالمعسور ، ولا سيما أنى كنت أراه أمراً مهماً ، وبدونه أرى الخطب مدلهماً ، فإن المفسرين وإن أكثروا القول فى معانى القرآن ، إلا أنه لم يأت أحد منهم فيه بسلطان ، وذلك لأن فى القرآن ناسخاً ومنسوخاً ،=

. . . .

=ومحكماً ومتشابهاً ، وخاصاً وعاماً ، ومبيناً ومبهماً ، ومقطوعاً وموصولاً ، وفرائض وأحكاماً ، وسنناً وآداباً ، وحلالاً وحراماً ، وعزيمة ورخصة ، وظاهراً وباطناً ، وحداً ومطلعاً . ولا يعلم تمييز ذلك كله إلا من نزل فى بيته ، وذلك هو النبى صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه ، ولهذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم : "من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ" ، وقد جاءت عن أهل البيت صلوات الله عليهم فى تفسير القرآن وتأويله أخبار كثيرة ، إلا أنها خرجت متفرقة عن أسئلة السائلين ، وعلى أقدار أفهام المخاطبين ، وبموجب إرشادهم إلى مناهج الدين ، وبقيت بعد خبايا فى زوايا ، خوفاً من الأعداء وتقية من البعداء ، ولعله مما برز وظهر لم يصل إلينا الأكثر ، لأن رواته كانوا فى محنة من التقية ، وشدة من الخطر ، وذلك أنه لما جرى فى الصحابة ما جرى ، وضل بهم عامة الورى ، أعرض الناس عن الثقلين [يريد بالثقلين : كتاب الله والعترة كما أفصح عن ذلك فى أول المقدمة ص ٤] ، وتاهوا فى بيداء ضلالتهم عن النجدين إلا شرذمة من المؤمنين فمكث العامة بذلك سنين ، وعمهوا فى غمرتهم حتى حين ، فآل الحال إلى أن نبذ الكتاب حملته ، وتناساه حفظته ، فكان الكتاب وأهله فى الناس وليسا فى الناس ، ومعهم وليسا معهم ، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا . وكان العلم مكتوماً، وأهله مظلوماً ، لا سبيل لهم بابرازه إلا بتعميته وإلغازه ، ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين ولا ناصبين ، لم يدروا ما صنعوا بالقرآن ، وعمن أخذوا التفسير والبيان . فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنهم من العلماء ، فكانوا يفسرون لهم بالآراء ، ويروون تفسيره عمن يحسبونه من كبرائهم ، مثل أبى هريرة وأنس وابن عمر ونظرائهم ، وكانوا يعدون أمير المؤمنين من جملتهم ، ويجعلونه كواحد من الناس ، وكان خير من يستندون إليه بعده ابن مسعود وابن عباس ، ممن ليس على قوله كثير تعويل ، ولا له إلى لباب الحق سبيل ، وكان هؤلاء الكبراء ربما يتقلونه من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله ، وربما يسندونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، ومن الآخذين عنهم من لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم ، لما تقرر عندهم من أن الصحابة كلهم عدول ولم يكن لأحد منهم عن الحق عدول ، ولم يعلموا أن أكثرهم كانوا يبطنون النفاق ، ويجترئون على الله ويفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عزة وشقاق ، وهكذا كان حال الناس قرناً بعد قرن ، فكان لهم فى كل قرن رؤساء ضلالة ، عنهم يأخذون ، وإليهم يرجعون ، وهم بآرائهم يجيبون ، أو إلى كبرائهم يستندون ، وربما يروون عن بعض أئمة الحق عليهم السلام فى جملة ما يروون عن رجالهم ،=

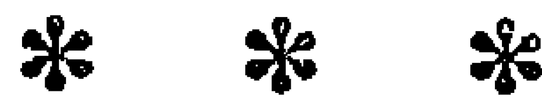
. . . .

=ولكن يحسبونه من أمثالهم ، فتباً لهم ولأدب الرواية ، إذ ما رعوها حق الرعاية ، نعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب ، ونسوا الله رب الأرباب ، وراموا غير باب الله أبواباً ، واتخذوا من دون الله أرباباً ، وفيهم أهل بيت نبيهم ، وهم أزمة الحق ، وسنة الصدق ، وشجرة النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحى ، وعيبة العلم ، ومنار الهدي ، والحجج على أهل الدنيا ، خزائن أسرار الوحى والتنزيل ، ومعادن جواهر العلم والتأويل ، والأمناء على الحقائق ، والخلفاء على الخلائق . أولوا الأمر الذين أمروا بطاعتهم ، وأهل الذكر الذين أمروا بمسألتهم ، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والراسخون فى العلم الذين عندهم القرآن كله تأويلا وتفسيراً ، ومع ذلك كله يحسبون أنهم مهتدون ، إنا لله وإنا اليه راجعون . ولما أصبح الأمر كذلك وبقى العلم سخرياً هنالك صار الناس كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب بإمامهم فضربوا بعضه ببعض لترويج مرامهم وحملوه على أهوائهم فى تفاسيرهم وكلامهم والتفاسير التى صنفها العامة من هذا القبيل ، فكيف يصح عليها التعويل ؟ وكذلك التى صنفها متأخرو أصحابنا فإنها أيضاً مستندة إلى رؤساء العامة وشذ ما نقل فيه حديث عن أهل العصمة عليهم السلام ، وذلك لأنهم إنما نسجوا على منوالهم ، واقتصروا فى الأكثر على أقوالهم ، مع أن أكثر ما تكلم به هؤلاء وهؤلاء - فإنما تكلموا فى النحو ، والصرف ، والاشتقاق ، واللغة ، والقراءة ، وأمثالها - - مما يدور على القشور دون اللباب ، فأين هم والمقصود من الكتاب ؟ وإنما ورد على طائفة منهم ما قويت فيه منته ، وترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همته ، ومنهم من أدخل فى التفسير ما لا يليق به ، فبسط الكلام فى فروع الفقه وأصوله ، وطول القول فى اختلاف الفقهاء ، أو صرف همته فيه إلى المسائل الكلامية وذكر ما فيها من الآراء وأما ما وصل إلينا مما ألفه قدماؤنا من أهل الحديث فغير تام ، لأنه إما غير منته إلى آخر القرآن ، وإما غير محيط بجميع الآيات المفتقرة إلى البيان ، مع أن منه ما لم يثبت صحته عن المعصوم ، لضعف رواته أو جهالة حالهم ، ونكارة بعض مقالهم .. إلى أن قال : وبالحري أن يسمى هذا التفسير بالصافي ، لصفائه عن كدورات آراء العامة والممل والمحير والمتنافي . (جـ ١ ، ص ٢ - ٤) .

ويعتقد صاحبنا أن معظم القرآن إنما نزل فى شأن آل البيت وأوليائهم وأعدائهم ، فما كان من آية مدح فهى فى آل البيت وأشياعهم ، وما كان من آية ذم أو وعيد أو تهديد فهى فى مخالفيهم ، ثم يقوى رأيه هذا ويستدل له بما يرويه عن علماء أهل البيت من روايات واردة فى هذا المعنى ، فمن ذلك ما نقله=

● "وبسنده إلى أبى جعفر قال : خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول : همهمة همهمة ، وليلة مظلمة ، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم ، وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام" (جـ ١ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢) .

● "وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام - فى شأن "عفير" حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : إن ذلك الحمار كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى ، إن أبى حدثنى عن أبيه عن جده عن أبيه أنه كان مع نوح فى السفينة ، فقام إليه نوح فمسح على كفله ثم قال : يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم ، فالحمد لله الذى جعلنى ذلك الحمار" (جـ ١ ، ص ٢٣٧) .



=عن الكافى وتفسير العياشى بالإسناد إلى أبى جعفر عليه السلام قال : "نزل القرآن على أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع فى أعدائنا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام" ، وزاد العياشى : "ولنا كرائم القرآن" ... ثم مضى بعد ذكره لهذه الرواية وأمثالها فقال : " وقد وردت أخبار جمة عن أهل البيت عليهم السلام ، فى تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم ، حتى إن جماعة من أصحابنا صنفوا كتباً فى تأويل القرآن على هذا النحو ، جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام فى تأويل آية آية إما بهم أو بشيعتهم ، أو بعدوهم ، على ترتيب القرآن. وقد رأيت منها كتاباً يقرب من عشرين ألف بيت .. ثم قال : "وذلك مثل ما رواه الكافى عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : «**نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين**» (الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥) .. قال : هى الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام . وفى تفسير العياشى عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : يا أبا محمد .. إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم ، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا ، وفيه عن عمير بن حنظلة عن أبى عبد الله عليه السلام : سأله عن قوله تعالى : « **قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علمُ الكتاب** » (الرعد : ٤٣) ... قال : فلما رآنى أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب قال : حسبك .. كل شئ فى الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو فى الأئمة عنوا به". (التفسير والمفسرون جـ٢ ، ص ١٤٢ - ١٥٢) .

● **مصحف فاطمة** (١) :

"وبسنده إلى أبى عبد الله قال : تظهر الزنادقة فى سنة ثمان وعشرين ومائة ، وذلك أنى نظرت فى مصحف فاطمة عليها السلام قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فأرسل إليها ملكاً يسلى غمها ويحدثها ، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولى لى . فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً ، قال : ثم قال : إنه ليس فيه شئ من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون" (جـ ١ ، ص ٢٤٠) .

● وبسنده إلى أبى عبيدة قال : سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر(٢) فقال : هو جلد ثور مملوء علماً . قال له :

---

(١) **مصحف فاطمة** : جاء فى البصائر : "أن أبا عبد الله سأله بعض الأصحاب عن مصحف فاطمة ، فقال : إنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون . إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين يوماً ، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها . وكان جبريل يأتيها ويحسن عزاءها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها . وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة" (أعيان الشيعة : جـ ١ ، ص ١٨٨) .

(٢) الجفر : هو غير الجامعة – وفيه يقول ابن خلدون : "واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعد العجلى وهو رأس الزيدية ، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم ، على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الأولياء ، وكان مكتوباً عند جعفر فى جلد ثور صغير ، فرواه عنه هارون العجلى ، وكتبه ، وسماه : "الجفر" باسم الجلد الذى كتب فيه ، [المعروف من كتب الفقه أن الجفر ذكر الماعز إذا بلغ أربعة أشهر ، وفى القاموس : الجفر من أولاد الشاء ما عظم واستكرش] ، لأن الجفر فى اللغة هو الصغير . وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم ، وكان فيه تفسير القرآن وما فى باطنه من غرائب المعانى ، مروية عن جعفر الصادق. وهذا الكتاب=

. . . .

=لم تتصل روايته ، ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ، ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه ، أو من رجال قومه ، فهم أهل الكرامات" (المقدمة لابن خلدون ص ٣٧٣).

ويعرف صاحب أعيان الشيعة الجفر بأنه كتاب أملاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عليّ رضى الله عنه ، ويذكر فى ذلك أقوالا متضاربة ثم يقول بعد فراغه منها : "الظاهر من الأخبار أن الجفر كتاب فيه العلوم النبوية من حلال ، وحرام ، وأحكام ، وأصول ما يحتاج إليه الناس فى أحكام دينهم وما يصلحهم فى دنياهم ، والإخبار عن بعض الحوادث ، ويمكن أن يكون فيه تفسير بعض المتشابه من القرآن المجيد (أعيان الشيعة جـ ١ ، ص ١٨٢) . ثم ينكر على من يستبعد أن يكون الجفر فيه كل هذه العلوم ، ويتمثل بقول أبى العلاء المعرى :

لقد عجبوا لأهل البيت لما … أروهم علمهم فى مسك جفر
مرآة المنجم وهى صغرى … أرتـه كل عامرة وقفر

ويقول العلامة ابن قتيبة : "وأعجب من هذا التفسير - يعنى تفسير المعتزلة - تفسير الروافض للقرآن ، وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذى ذكره هارون بن سعد العجلى ، وكان رأس الزيدية فقال :

ألـم تـر أن الرافضين تفرقوا
فكلـهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قـالوا : إمام . ومنهم
طوائـف سمتـه النبى المطهرا
ومـن عجب لم أقضه جلد جفرهم
برئت إلى الرحمـن ممن تجفرا
برئـت إلى الرحمن من كل رافض
بصير بباب الكفر .. فى الدين أعورا
إذا كف أهل الحق عن بدعه مضي
عليـها ، وإن يمضوا على الحق قصرا
ولو قـال : إن الفيل ضب لصدقوا
ولـو قال : زنجى تحول أحمرا
وأخلـف مـن بول البعير فإنه
إذا هـو للإقبـال وجه أدبرا
فقـبح أقـوام رمـوه بفرية
كما قال فى عيسى الفرى من تنصرا

وهذا الذى ذكره ابن قتيبة عن هارون بن سعد العجلى ، يناقض ما تقدم=

. . . .

=عن ابن خلدون من أن الجفر كان عند هارون بن سعد العجلي وهو يرويه عن جعفر الصادق ويمكن دفع هذا التناقض بأن نقول : إن هارون بن سعد العجلي ، وكان رافضياً مغالياً أول أمره ، وكان يروى هذا الجفر به ويصدق به ثم رجع عن مذهبه وغلوه وتصديقه بالجفر ، وقال مقالته التي رواها ابن قتيبة بعد توبته. وهذا الذى ذهبنا اليه اعتمدنا فيه على ما جاء فى تهذيب العجلى - ويقال الجعفى الكوفى الأعور - قال أحمد : روى عنه الناس ... وهو صالح . وروى عن ابن معين أنه قال : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وذكره أيضاً فى الضعفاء ، قال : وكان غالياً فى الرفض لا تحل عنه الرواية بحال . وروى عن ابن معين أيضاً أنه قال : كان من غلاة الشيعة . وقال الساجى : كان يغلو فى الرفض ، وحكى أبو العرب الصقلى عن ابن قتيبة أنه أنشد له شعراً يدل على نزوعه عن الرفض ، [ونزع عن الرفض معناه : رجع عنه ، يقال نزع عن الأمر إذا انتهى عنه وأباه . كما أفاده صاحب القاموس وغيره].

قال أبو محمد : "وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب فيه لهم الإمام كل ما يحتاجون إلى علمه ، وكل ما يكون إلى يوم القيامة ، فمن ذلك قولهم فى قول الله عز وجل «وورث سليمان داوود» (النمل : ١٦) : إنه الإمام ورث النبى صلى الله عليه وسلم علمه . وقولهم فى قول الله عز وجل : «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» (البقرة : ٦٧) : إنها عائشة رضى الله عنها ، وفى قوله تعالى : «فقلنا اضربوه ببعضها» (البقرة : ٧٣) : إنه طلحة والزبير . وقولهم فى الخمر والميسر : إنها أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - والجبت والطاغوت : إنهما معاوية وعمرو بن العاص .. مع عجائب أرغب عن ذكرها ، ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها .

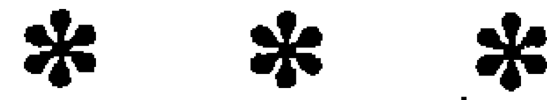
وكان بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تفسير الرافضة للقرآن إلا بتأويل رجل من أهل مكة للشعر ، فإنه قال ذات يوم : ما سمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيـــت زرارة محتـــب بفنائه ومجاشع ، وأبو الفوارس نهشل

أنـه فى رجال منهم ... قيل له : فما تقول أنت فيهم ؟ قال : البيت : بيت الله . وزرارة : الحجر ، قيـل : فمجاشع ؟ قال : رمز .. جشعت بالماء . قيل فأبو الفوارس ؟ قال : أبو قيس ، قيل له : فنهشل؟ قال : فنهشل ... أشده ، وفكر ساعة ثم قال : نهشل : مصباح الكعبة ، لأنه طويل أسود ، فذلك نهشل .

وهم أكثر أهل البدع اقترافاً ونحلا ، فمنهم قوم يقال لهم البيانية ، ينسبون إلى رجل يقال له بيان ، قال لهم إلىّ أشار الله تعالى إذ قال : « هذا بيان=

فالجامعة ؟ قال : تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم مثل فخذ الفالج[1] فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهى فيها حتى أرش الخدش . قال : فمصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال : فسكت طويلا ثم قال : إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لاتريدون ، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها ، وكان جبريل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها ، وكان علىّ عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام" (جـ ١ ، ص ٢٤١) .



=للناس وهدى وموعظة للمتقين» (آل عمران : ١٣٨) .

وهم أول من قال بخلق القرآن . ومنهم المنصورية ، أصحاب أبى منصور الكسف ، وكان قال لأصحابه : فيّ نزل قوله : «وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً» (الطور : ٤٤) .. ومنهم الخناقون والشداخون ومنهم الغرابية ، وهم الذين ذكروا أن علياً رضى الله عنه كان أشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم من الغراب بالغراب ، فتغلط جبريل عليه السلام حيث بعث إلى علىّ لشبهه به .

قال أبو محمد : ولا نعلم فى أهل البدع والأهواء أحداً ادعى الربوبية لبشر غيرهم ، فإن عبد الله بن سبأ ، ادعى الربوبية لعلىّ فأحرق علىّ أصحابه بالنار ، وقال فى ذلك :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت نارى ودعوت قنبرا

ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم ، فإن المختار بن أبى عبيد ادعى النبوة لنفسه ، وقال : "إن جبريل وميكائيل يأتيان إلى جهته ، فصدقه قوم واتبعوه .. وهم الكيسانية" .(تأويل مختلف الحديث ص ٨٤ - ٨٨ ، وقنبر - المشار اليه - هو مولى على بن أبى طالب الذى تولى طرحهم فى النار) .

(١) الفالج : الجمل العظيم ذو السنامين .

● **الأئمة يزدادون علماً كل ليلة جمعة :**

"روى بسنده إلى أبى يحيى الصنعانى عن أبى عبد الله بن سلام قال : قال لى : يا أبا يحيى ، إن لنا فى ليالى الجمعة لشأناً من الشأن ؟ قال : قلت : جعلت فداك ، وما ذاك الشأن ؟ قال : يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصى الذى بين ظهرانيكم ، يعرج بها إلى السماء حتى توافى عرش ربها فتطوف به أسبوعاً وتصلى عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين ، ثم ترد إلى الأبدان التى كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سروراً ، ويصبح الوصى الذى بين ظهرانيكم وقد زيد فى علمه مثل الجم الغفير" (جـ ١ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤) .

● "عن أبى عبد الله قال : ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور ، قلت : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : إذا كان ليلة الجمعة ، وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم العرش ووافى الأئمة عليهم السلام وووافيت معهم فما أرجع إلا بعلم مستفاد ، ولولا ذلك لنفد ما عندى" (جـ ١ ، ص ٢٥٤) .

● "عن أبى عبد الله قال : ليس يخرج شئ من عند الله عز وجل حتى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بأمير المؤمنين عليه السلام ، ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا" (جـ ١ ، ص ٢٥٥) .

● "عن أبى جعفر عليه السلام قال : إن لله عز وجل علمين : علم لا يعلمه إلا هو ، وعلم علمه ملائكته ورسله ، فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه" (جـ ١ ، ص ٢٥٦) .

● "عن أبى عبد الله - فى آخر حديث طويل - أنه أومأ بيده إلى صدره وقال : علم الكتاب والله كله عندنا ، علم الكتاب والله كله عندنا" (جـ ١ ، ص ٢٥٧) .

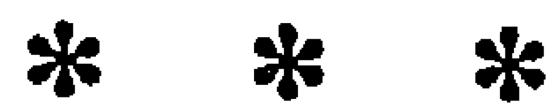
* * *

● الأولياء يخيرون فى موتهم :

"عن أبى عبد الله عليه السلام قال : إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك" (جـ ١ ، ص ٢٥٨) .

● " عن الحسن بن الجهم قال : قلت للرضا عليه السلام : إن أمير المؤمنين قد عرف قاتله والليلة التى يُقتل فيها والموضع الذى يُقتل فيه وقوله لما سمع صياح الأوز فى الدار : صوائح تتبعها نوائح ، وقول أم كلثوم : لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلى بالناس ، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح ، وقد عرف عليه السلام أن ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف ، كان هذا مما لم يجز تعرضه ، فقال : ذلك كان ، ولكنه خُيرَ فى تلك الليلة لتمضى مقادير الله عز وجل" (جـ ١ ، ص ٢٥٩) .

● "عن ابن الحسن موسى عليه السلام قال : إن الله عز وجل غضب على الشيعة فخيرنى نفسى أو هم ، فوقيتهم والله بنفسى" (جـ ١ ، ص ٢٦٠) .



● عند الأولياء علم ما كان وما يكون :

"عن أبى جعفر قال : أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض ، ثم خُيِّرَ : النصر أو لقاء الله ، فاختار لقاء الله" (جـ ١ ، ص ٢٦٠) .

● "عن أبى عبد الله عليه السلام قال : إنى لأعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، وأعلم ما فى الجنة ، وأعلم ما فى النار ، وأعلم ما كان ويكون . قال : ثم مكث هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه

فقال : علمت ذلك من كتاب الله عز وجل ، إن الله عز وجل يقول : "فيه تبيان كل شئ"(١) (جـ ١ ، ص ٢٦١) .

● "وفى حديث لأبى جعفر قال : أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يُخفى عنهم أخبار السموات والأرض ، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم" ؟ (جـ ١ ، ص ٢٦٢) .

● "وفى حديث لأبى جعفر قال : الله أجَلُّ وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه ، ثم قال : لا يحجب ذلك عنه" (جـ ١ ، ص ٢٦٢) .

● "وعن أبى جعفر قال : نزل جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام برمانتين من الجنة ، فلقيه علىّ عليه السلام فقال : ما هاتان الرمانتان اللتان فى يدك ؟ فقال : أما هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب ، وأما هذه فالعلم ، ثم فلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصفين فأعطاه نصفها ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفها ، ثم قال : أنت شريكى فيه وأنا شريكك فيه ، قال : فلم يعلم والله رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفًا مما علّمه الله عز وجل إلا وقد علمه علياً ، ثم انتهى العلم إلينا ، ثم وضع يده على صدره" (جـ ١ ، ص ٢٦٣) .

● " وعن أبى جعفر قال : لو كان لألسنتكم أوكية لحدثت كل امرئ بما له وما عليه" (جـ ١ ، ص ٢٦٤) .

● "وفى حديث لأبى عبد الله قال : إن الله عز وجل فوّض إلى سليمان

---

(١) هكذا بالأصل : قال معلقه : لعله نقل بالمعنى ، فإن فى المصاحف : «تبيانا لكل شئ" أو كان - فى قراءتهم عليهم السلام - والآية من سورة النحل : ٨٩ .

فقال : «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»[1] ، وفوّض إلى نبيه عليه الصلاة والسلام فقال : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[2] ، فما فوّض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فوّضه إلينا" (جـ ١ ، ص ٢٦٦) .

● "عن أبى عبد الله قال : الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم" (جـ ١ ، ص ٢٧٠) .

---

(١) سورة ص : ٣٩ . (٢) الحشر : ٧ .

(٣) يرى الشيعة أن لأئمتهم عصمة كالأنبياء تماما ، وليس هذا لغيرهم ، ويجب الرجوع إليهم عند الاختلاف وعدم وجود نص من الكتاب والسنة ، أما من عداهم من الناس فلا يصح الرجوع إليه بحال من الأحوال ، لأن غير المعصوم لا يرجع اليه ، ولا يؤخذ برأيه فى مسائل الخلاف .

ويقول السيد عبد الله العلوى الشهير بـ"شبر" عند تفسيره لقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» . الآية (النساء : ٥٩) ، يقول : "دل على وجود أولى الأمر فى كل زمان ، بحيث يجب طاعتهم لعلمهم وفضلهم ، وعصمتهم ، ولا ينطبق إلا على مذهب الإمامية .. وعنهم عليهم السلام : إيانا عنى خاصة .. أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا . «فإن تنازعتم» . - أيها المأمورون .. «فى شئ» .. من أمور الدين .. «فردوه» فراجعوا فيه .. «إلى الله» إلى محكم كتابه .. «والرسول» بالأخذ بسنته ، والمراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه . فإنها رد إليه . وقرئ : "فإن خفتم تنازعاً فى شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولى الأمر منكم" .

وعند تفسيره لقوله تعالى : «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» (النساء : ٨٣) ... يقول : «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم» : هم آل محمد عليهم السلام «لعلمه الذين يستنبطونه منهم» : يستخرجون تدبيره بأفكارهم وهم آل محمد عليه السلام" (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣) .

● "عن أبى عبد الله قال : يعرف الذى بعد الإمام علم من كان قبله فى آخر دقيقة تبقى من روحه" (جـ ١ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥).

● "عن زيد بن الجهم الهلالى ، عن عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : لما نزلت ولاية علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وكان من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلموا على علىّ بإمرة المؤمنين ، فكان مما أكبر الله عليهما فى ذلك اليوم يازيد ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : قوما فسلما عليه بإمرة المؤمنين ، فقالا : أمن الله أو من رسوله يارسول الله ؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الله ومن رسوله ، فأنزل الله عز وجل : **«ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون»**(١) ، يعنى به قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وقولهما : أمن الله أو من رسوله ؟ ، **«ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون»** ، أئمة هى أزكى من أئمتكم ، قال : قلت : جعلت فداك ، أئمة ؟ قال : أى والله أئمة . قلت : فإنا نقرأ "أربى" ، فقال : ما أربى ؟ وأومأ بيده فطرحها ، **«إنما يبلوكم الله به »** يعنى بعلىّ عليه السلام ، **«وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، ولتسئلن (يوم القيامة) عما كنتم تعملون . ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها»** ، يعنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى علىّ عليه السلام ، **«وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله»** يعنى به علياً عليه السلام ، **«ولكم عذاب عظيم»** (جـ ١ ، ص ٢٩٢) (٢).

---

(١) النحل : ٩١ وما بعدها.

(٢) يدين الشيعة بإمامة على رضى الله عنه ، ويرون أنه خليفة النبى صلى الله عليه وسلم بلا فصل ، لذا تراهم يحاولون بكل جهودهم أن يثبتوا إمامته وولايته من القرآن ، فالطبرسى - مثلا - عند تفسيره لقوله تعالى : «إنما=

. . . .

=**وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»** (المائدة : ٥٥) .. يبذل مجهوداً كبيراً لاستخلاص وجوب إمامة على رضى الله عنه من هذه الآية ، فنجده أولا يتكلم عن المعانى اللغوية لبعض مفردات الآية فيفسر المولى بقوله : "الولى هو الذى يلى النصرة والمعونة ، والولى هو الذى يلى تدبير الأمر . يقال : فلان ولى أمر المرأة إذا كان يملك تدبير نكاحها . وولى الدم من كان إليه المطالبة بالقود . والسلطان ولى أمر الرعية . ويقال لمن يرشحه للخلافة عليهم بعده : ولى عهد المسلمين . قال الكميت يمدح علياً :

ونعم ولى الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

ويروى الفتوى : "وإنما أراد ولى الأمر والقائم بتدبيره ، قال مبرد فى كتاب العبادة عن صفات الله : "أصل الولى الذى هو أولى أى أحق ، ومثله المولى" . ثم بعد ذلك فسر الطبرسى "الركوع" و"الحزب" ، ثم ذكر الإعراب ثم ذكر سبب النزول فقال بعد سياقه لسند طويل : "... بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة ، فجعل ابن عباس لا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال الرجل : قال رسول الله ، فقال ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال : يا أيها الناس ، من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا جندب بن جنادة البدرى أبو ذر الغفارى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين وإلا صمتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول : "على قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، ومنصور من نصره ، ومخذول من خذله" أما إنى صليت مع رسول الله صلى الله عـليه وسلم يوما من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئا ، فرفع السائل يده إلى السماء فقال : اللهم إنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئا ، وكان على راكعا فآوى بخنصره اليمنى إليه - وكان يتختم فيها - فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ النبى من صلاته رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم إن أخى موسى سألك فقال : **«رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من أهلى . هارون أخى . أشدد به أزرى . وأشركه فى أمرى »** (طه : ٢٥ - ٣٢) .. فأنزلت عليه قرآنا ناطقا : **«سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما»** (القصص : ٣٥) .. اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللهم فاشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ،=

. . . .

=واجعل لى وزيراً من أهلى ، عليا أشدد به ظهرى . قال أبو ذر : فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة حتى نزل عليه جبريل من عند ربه فقال :"يا محمد .. اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال اقرأ «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا» .. وروى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره بهذا الإسناد بعينه . وروى أبو بكر الرازى فى كتاب أحكام القرآن - على ما حكاه المغربى عنه - والرمانى ، والطبرى أنها نزلت فى على حين تصدق بخاتمه وهو راكع ، وهو قول مجاهد والسدى . والمروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله وجميع علماء أهل البيت . وقال الكلينى : نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الآية . وفى رواية عطاء : قال عبد الله بن سلام : يا رسول الله ، أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه . وقد رواه السيد أبو الحمد عن أبى القاسم الحسكانى بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبى صالح أبى الصلاح عن ابن عباس قال : أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إن منازلنا بعيدة ، وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجالس . وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : «إنما وليكم الله ورسوله» .. الآية ، ثم إن النبى خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع ، فبصر بسائل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل أعطاك أحد شيئا ؟ فقال : نعم .. خاتم من فضة ، فقال النبى : من أعطاكه ؟ قال : ذلك القائم - وأومأ بيده إلى عليٍّ - فقال النبى صلى الله عليه وسلم : على أى حال أعطاكه ؟ قال : أعطانى وهو راكع ، فكبَّر النبى ثم قرأ : «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» .. فأنشأ حسان بن ثابت يقول فى ذلك :

أبا حسن تفديك نفسى ومهجتى
وكل بطئ فى الهدى ومسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعا
وما المدح فى جنب الإله بضائع
فأنت الذى أعطيت إذ كنت راكعا
زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية
وثبتها ثبت الكتاب الشرائع =

= وفى حديث إبراهيم بن الحكم بن ظهير : أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رهط من قومه يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا من قومهم ، فبينا هم يشكون إذ نزلت هذه الآية ، وأذن بلال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وإذا مسكين يسأل ، فقال صلى الله عليه وسلم : ماذا أعطيت ؟ قال : خاتم من فضة ، قال : من أعطاكه ؟ قال : ذلك القائم . فإذا هو على . قال : على أى حال أعطاكه ؟ قال : أعطانى وهو راكع ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : **«ومن يتول الله ورسوله»**... ثم شرح المعنى فقال : "ثم بين تعالى من له الولاية على الخلق والقيام بأمرهم ، ويجب طاعته عليهم ، فقال : **«إنما وليكم الله ورسوله»** .. أى الذى يتولى مصالحكم ويحقق تدبيركم هو الله تعالى ، ورسوله يفعله بأمره .. **«والذين آمنوا»** .. ثم وصف الذين آمنوا فقال : **«الذين يقيمون الصلاة»** بشرائطها .. **«ويؤتون الزكاة»** أى ويعطون الزكاة ... **«وهم راكعون»** أى فى حال الركوع . وهذه الآية من أوضح الدلالة على صحة إمامة على بعد النبى صلى الله عليه وسلم بلا فصل . والوجه فيه : أنه إذا ثبت أن لفظة "وليكم" فى الآية تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم ، وثبت أن المراد بالذين آمنوا على ، ثبت النص عليه بالإمامة ووضح . والذى يدل على الأول هو الرجوع إلى اللغة ، فمن تأملها علم أن القوم نصوا على ذلك ، وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل فلا وجه لإعادته . وإن الذى يدل على أنها فى الآية تفيد ذلك دون غيره ، أن لفظة "إنما" على ما تقدم ذكره تفيد التخصيص ونفى الحكم عمن عدا المذكور ، كما يقولون : إنما الفصاحة للجاهلية ، ويعنون نفى الفصاحة عن غيرهم . وإذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة "الوالى" على الموالاة فى الدين والمحبة ، لأنه لا تخصيص فى هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر ، والمؤمنون كلهم مشتركون فى هذا المعنى ، كما قال سبحانه : **«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»** (التوبة : ٧١) .. وإذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر وهو التحقيق بالأمور ، وما يقتضى فرض الطاعة على الجمهور لأنه لا محتمل للفظ إلا الوجهان ، فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر . والذى يدل على أن المعنىّ بالذين آمنوا هو على ، الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه لما تصدق بخاتمه فى حال الركوع ، وقد تقدم ذكرها ، وأيضا فإن كل من قال إن المراد بلفظة "ولى" ما يرجع إلى فرض الطاعة والإمامة ، ذهب إلى أنه المقصود بالآية والمنفرد ، ولا أحد من الأمة يذهب إلى أن هذه اللفظة تقتضى ما ذكرنا ويذهب إلى أن المعنىّ بها سواه . وليس لأحد أن يقول : إن لفظة=

=“الذين آمنوا” لفظ جمع فلا يجوز أن يتوجه إليه على الانفراد ، وذلك أن أهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم ، وذلك أشهر فى كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه . وليس لهم أن يقولوا : إن المراد بقوله : “وهم راكعون” ، أن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالا لإيتاء الزكاة ، وذلك لأن قوله : “يقيمون الصلاة” قد دخل فيه الركوع ، فلو لم يحمل قوله “وهم راكعون” على أنه حال من “يؤتون الزكاة” ، وحملناه على من صفتهم الركوع ، كان ذلك كالتكرار غير المفيد ، والتأويل المفيد أولى من البعيد الذى لا يفيد . ووجه آخر فى الدلالة على أن الولاية فى الآية مختصة ، أنه قال : «إنما وليكم الله» فخاطب جميع المؤمنين ، ودخل فى الخطاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيره ، ثم قال : «ورسوله» .. فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته ، ثم قال : «والذين آمنوا» .. فوجب أن يكون الذى خوطب بالآية هو الذى جعلت له الولاية وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه ، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولى نفسه ، وذلك محال . واستيفاء الكلام فى هذا الباب يطول به الكتاب ومن أراده فليطلبه من مظانه ...” (جـ ١ ،ص ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

ولا شك أن هذه محاولة فاشلة ، فإن حديث تصدق على بخاتمه فى الصلاة – وهو محور الكلام – حديث موضوع لا أصل له ، وقد تكفل العلامة ابن تيمية بالرد على هذه الدعوى فى كتابه منهاج السنة (جـ ٤ ، ص ٣ – ٩) .

ويقول الحسن العسكرى فى تفسيره لقوله تعالى : **«ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين»** (البقرة : ٨) ... يقول : “قال العالم موسى بن جعفر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوقف أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ، ثم قال : يا عباد الله انسبونى ، فقالوا : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ، ثم قال : يا أيها الناس ، ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فنظر إلى السماء وقال : اللهم اشهد بقول هؤلاء – وهو يقول ويقولون ذلك ثلاثا – ثم قال : ألا فمن كنت مولاه وأولى به فهذا على مولاه وأولى به ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، ثم قال : قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين ، فقام وبايع له . ثم قال : قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين ، فقام فبايع له ، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة رؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم ، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال : بخ بخ يابن أبى طالب ، أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ثم=

. . . .

=تفرقوا عند ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق . ثم إن قوما من متمرديهم وجبابرتهم تواطأوا بينهم لئن كان لمحمد كائنة ليدفعن هذا الأمر من على ولا يتركونه ، فعرف الله ذلك من قبلهم ، وكانوا يأتون رسول الله ويقولون : لقد أقمت علينا أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا فكفيتنا مؤنة الظلمة لنا ، والمتجبرين فى سياستنا ، وعلم الله من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض أنهم على العداوة مقيمون ، ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون ، فأخبر الله عز وجل محمداً عنهم فقال : يا محمد **« ومن الناس من يقول آمنا بالله»** .. الذى أمرك بنصب على إماما وسايسا لأمتك ومدبرا ، **« وما هم بمؤمنين»** .. بذلك ، لكنهم يتواطئون على إهلاكك وإهلاكه ، يوطئون أنفسهم على التمرد على عليّ إن كانت بك كائنة" أ هـ (ص ٤١ - ٤٢) .

وعند قوله تعالى : **«وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون»** (البقرة : ١٣) .. يقول : "قال موسى بن جعفر : إذ قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة ، قال لهم خيار المؤمنين كسلمان والمقداد وأبى ذر وعمار : آمنوا برسول الله وعلى الذى أوقفه موقفه وأقامه مقامه وأناط مصالح الدين والدنيا كلها به ، وآمنوا بهذا النبى وسلموا لهذا الإمام ، وسلموا له فى ظاهر الأمر وباطنه كما آمن الناس المؤمنون كسلمان والمقداد وأبى ذر وعمار ، قالوا فى الجواب لمن يفضون إليه - لا لهؤلاء المؤمنين - فإنهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب ، ولكنهم يذكرون لمن يفضون إليه من أهلهم والذين يثقون بهم من المنافقين ومن المستضعفين من المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون بهم ، يقولون لهم : **«أنؤمن كما آمن السفهاء»** .. يعنون سلمان وأصحابه لما أعطوا علياً خالص ودهم ومحض طاعتهم ، وكشفوا رؤوسهم بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه حتى إن اضمحل أمر محمد طحطحهم أعداؤه ، وأهلكهم سائر الملوك والمخالفين لمحمد ، فهم بهذا التعرض لأعداء محمد جاهلون سفهاء ، قال الله عز وجل **«ألا إنهم هم السفهاء»** .. الأخفاء العقول والآراء ، الذين لم ينظروا فى أمر محمد حق النظر فيعرفوا نبوته ، ويعرفوا صحة ما ناطه بعلمه من أمر الدين والدنيا ، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين ، وصاروا خائفين وجلين من محمد وذريته ومن مخالفيهم ، لا يأمنون أيهم يغلب فيهلكون معه . فهم السفهاء حيث لا يسلم لهم بنفاقهمَ هذا لا محبة محمد والمؤمنين ولا محبة اليهود وسائر الكافرين ، لأنهم يظهرون لمحمد من موالاته وموالاة أخيه على ومعاداة أعدائهم اليهّود والنصارى ، كما يظهرون لهم من معاداة محمد وعلى وموالاة=

. . . .

=أعدائهم ، فهم يقدرون فيهم نفاقهم معهم كنفاقهم مع محمد وعلى ، ولكن لا يعلمون أن الأمر كذلك وأن الله يطلع نبيه على أسرارهم فيخشاهم ويلعنهم ويسقطهم" (ص ٤٤ - ٤٥) .

وعند تفسيره لقوله تعالى : **«إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم»** (البقرة : ١٥٩ - ١٦٠.) .. يقول : **«إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات»** .. من صفة محمد وصفة على وحليته ، **«والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب»** .. قال : والذى أنزلناه هو ما أظهرناه من الآيات على فضلهم ومحلهم ، كالغمامة التى تظل رسول الله فى أسفاره ، والمياه الأجاجة التى كانت تعذب فى الآبار بريقه ، والأشجار التى كانت تتهدل ثمارها بنزوله تحتها ، والعاهات التى كانت تزول بمسح يده عليها أو بنفث ريقه فيها ، وكالآيات التى ظهرت على علىٍّ من تسليم الجبال والصخور والأشجار قائلة : يا ولى الله ويا خليفة رسول الله ، السموم القاتلة التى تناولها من سمى باسمه عليها ولم يصبه بلاؤها .. وسائر ما خصه الله تعالى به من فضائله ، فهذا من الهدى الذى بينه الله للناس فى كتابه . (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) .

أما ملا محسن الكاشى فإنه عندما يفسر قوله تعالى : **«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»** (المائدة : ٥٥) .. نراه يستند إلى هذه الآية استنادا قويا فى أن علياً رضى الله عنه هو وصى النبى صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده ، فيقول ما نصه : "فى الكافى عن الصادق فى تفسير هذه الآية : أولى بكم" أى أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا - يعنى علياً وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة - ثم وصفهم الله فقال : **«والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»** .. وكان أمير المؤمنين فى صلاة الظهر - وقد صلى ركعتين - وهو راكع ، عليه حلة قيمتها ألف دينار ، وكان النبى أعطاه إياها ، وكان النجاشى أهداها له ، فجاء سائل فقال : السلام عليك ياولى الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم ... تصدق على مسكين ، فطرح الحلة إليه ، وأومأ بيده إليه أن احملها ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية ، وصير نعمة أولاده بنعمته ، فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله ، فيتصدقون وهم راكعون . والسائل الذى سأل أمير المؤمنين من الملائكة ، والذين=

. . . .

=يسألون الأئمة من أولاده يكونون من الملائكة . وعنه عن أبيه عن جده فى قوله عز وجل : «**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**» (النحل : ٨٣) .. قال : لما نزلت «**إنما وليكم الله**» .. الآية ، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة فقال بعضهم : إن كفرنا بهذه الآية تكفر بسائرها ، وإن آمنا فإن هذا ذل حين يسلط علينا على بن أبى طالب ، فقالوا : قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول ، ولكنا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا ، قال : فنزلت هذه الآية «**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**» يعنى ولاية على «**وأكثرهم الكافرون**» بالولاية ، وعنه أنه سئل : الأوصياء طاعتهم مفروضة ؟ قال : نعم هم الذين قال الله : «**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**» (النساء : ٥٩) .. وهم الذين قال الله : «**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**» .. الآية ، وروى المؤلف غير ذلك من الروايات ، وكلها يدور حول هذا الشأن .. ثم ادعى إجماع الأمة على أنه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد منهم وهو راكع غير رجل واحد هو على .. ثم علل عدم ذكره باسمه فى الكتاب بأنه لو ذكر باسمه فى الكتاب لأسقط مع ما أسقط ... ثم وفق بين الروايات القائلة بأنه تصدق بحلته وبين الروايات القائلة بأنه تصدق بخاتمه فقال : "لعله تصدق مرة فى ركوعه بالحلة ، ومرة بالخاتم .. والآية نزلت بعد الثانية . وقوله تعالى : «**ويؤتون**» .. إشعار بذلك ، لتضمنه التكرار والتجدد ، كما أن فيه إشعارا بفعل أولاده أيضا" (ج ١ ، ص ١٦٤) .

وعند تفسيره لقوله تعالى «**يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**» .. الآية (المائدة : ٦٧) ، نراه يحمل التبليغ المأمور به عليه السلام على تبليغه للناس إمامة على وولايته .. ويروى هنا قصة طويلة جدا .. ويروى خطبة النبى لأصحابه عند غدير خم ، وهى خطبة طويلة كذلك ، وفى الخطبة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً سبب نزول الآية : "وأنا مبين لكم سبب هذه الآية : إن جبريل هبط إلىّ مراراً ثلاثة ، يأمرنى عن السلام ربى وهو السلام : أن أقوم فى هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود أن على بن أبى طالب أخى ، ووصيى وخليفتى ، والإمام من بعدى ، الذى محله منى محل هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى وهو وليكم بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله علىّ بذلك آية من كتابه : «**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**» .. وعلى بن أبى طالب أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع ، يريد لله عز وجل فى كل حال ، وسألت جبريل أن يستغفر لى عن تبليغ ذلك=

. . . .

=إليكم أيها الناس ، لعلمي بقلة المتقين ، وكثرة المنافقين ، وإدعال الآثمين ، وحيل المستهزئين بالإسلام ، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سموني أذناً ، وزعموا أني كذلك لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه ، حتى أنزل الله عز وجل في ذلك : **«ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم»** .. الآية (التوبة : ٦١) ، ولو شئت أن أسميهم بأسمائهم لسميت ، وأن أومئ إليهم لأعيانهم لأومأت ، وأن أدل عليهم لدللت ، ولكني - والله - في أمورهم قد تكرمت ، وكل ذلك لا يرضى الله مني إلا أن أبلغ ما أنزل إلي .. ثم تلا **«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك»** في علي **«وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس..»** ... الخ (جـ ١ ، ص ١٦٥ - ١٧١) .

ومثلا عند قوله تعالى : **«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»** .. الآية (النساء : ٥٩) ، نراه يحمل هذه الآية على وفق مذهبه ، فيقصر أولي الأمر على الأئمة من أهل البيت خاصة ، أما من عداهم فليسوا أولي الأمر ، وليس يجب على أحد أن يقوم بطاعتهم ، ولهذا يقول عند تفسيره لهذه الآية ما نصه : " في الكافي والعياشي عن الباقر : إيانا عنى خاصة .. أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا . وفي الكافي عن الصادق : أنه سئل عن الأوصياء .. طاعتهم مفترضة ؟ قال : نعم ، هم الذين قال الله : **"أطيعوا الله"** .. الآية وقال الله : **"إنما وليكم الله"** .. الآية ، وفيه والعياشي عنه في هذه الآية قال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين ، فقال : إن الناس يقولون : فما له لم يسم علياً وأهل بيته في كتابه ؟ فقال : فقولوا لهم : نزلت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر ذلك لهم ، ونزلت : **« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم »** . ونزلت في علي والحسن والحسين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وقال : أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فإني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض ، فأعطاني ذلك . وقال : لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، وقال : إنهم لم يخرجوكم من باب هدى ولم يدخلوكم في باب ضلالة ، فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان ، ولكن الله أنزل في كتابه تصديقا لنبيه : **«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»** (الأحزاب : ٣٣) ، فكان علي=

. . . .

=والحسن والحسين وفاطمة ، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الكساء فى بيت أم سلمة : ثم قال : اللهم إن لكل نبى أهلا وثقلا ، وهؤلاء أهل بيتى وثقلى ، فقالت أم سلمة : ألست من أهلك ؟ فقال : إنك إلى خير ، ولكن هؤلاء أهل بيتى وثقلى .. الحديث ، وزاد العياشى : "آل عباس ، وآل عقيل" ، قبل قوله : وآل فلان . عن الصادق أنه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام التى إذا أخذ بها زكى العمل ولم يضر جهل ما جهل بعده ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق فى الأموال والزكاة ، والولاية التى أمر الله بها ، ولاية آل محمد ، فإن رسول الله قال : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية .. قال الله تعالى : **«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»** .. فكان على ، ثم صار من بعده الحسن ، ثم بعده الحسين ، ثم من بعده على بن الحسين ، ثم من بعده محمد بن على ، ثم هكذا يكون الأمر .. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام .. الحديث . وفى المعانى عن سليم ابن قيس الهلالى عن أمير المؤمنين أنه سأله : ما أدنى ما يكون به الرجل ضالا ؟ فقال : أن لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته ، وجعله حجته فى أرضه ، وشاهده على خلقه .. قال : فمن هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال : **«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»** . قال : فقبلت رأسه وقلت : أوضحت لى ، وفرجت عنى ، وأذهبت كل شئ كان فى قلبى . وفى الإكمال عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : لما نزلت هذه الآية قلت : يا رسول الله ، عرفنا الله ورسوله ، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ، فقال : هم خلفائى يا جابر وأئمة المسلمين من بعدى ، أولهم على بن أبى طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم على .

ويذكر السيد عبد الله العلوى الشهير بـ"شبر" عند تفسيره لقوله تعالى : **«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»** (المائدة : ٥٥) ، فيذكر أنها "نزلت فى على عليه السلام حين سأل سائل وهو راكع فى صلاته فأومأ إليه بخنصره فأخذ خاتمه منها" ويدعى إطباق أكثر المفسرين على ذلك واستفاضة الروايات فيه من الجانبين - جانب الموافقين وجانب المخالفين - ثم يقول بعد ذلك : "وتدل - يعنى الآية - على إمامته دون من سواه ، للحصر وعدم اتصاف غيره بهذه الصفات ، وعبر عنه بصيغة الجمع تعظيما ، أو لدخول أولاده الطاهرين" (ص ٢٦٤) . =

. . . .

=وعند تفسيره لقوله تعالى : **«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»** ..الآية (المائدة : ٦٧) ، يروى عن أهـل البيت وابن عباس وجابر : "أن الله أوحى إلى نبيه أن يستخلف علياً ، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فنزلت ، فأخذ بيده فقال : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى .. قال : من كنت مولاه فعلى مولاه" (ص ٢٦٨) .

ويدين هذا المؤلف بأن أمر الإمامة ليس موكولا لأحد من الناس ، بل كل إمام يوصى لمن بعده ، ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى : **«إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»** ..الآية (النساء : ٥٨) ، يعترف بأن الأمر يعم كل مكلف وكل أمانة .. ثم يقول : "وعنهم عليهم السلام أنه أمر لكل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر لمن بعده" (ص ٢٠٣) .

وعند قوله تعالى : **«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»** ..الآية (الأحزاب : ٣٦) ، يقول : "وفيه رد على من جعل الإمامة بالإختيار" (ص ٨٧٣) .

ويقرر سلطان محمد الخراسانى فى تفسيره إمامة على رضى الله عنه ، وخلافته للنبى صلى الله عليه وسلم بدون فصل ، فمثلا فى تفسيره لقوله تعالى : **«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»** (المائدة : ٥٥) .. نجده يؤكد أن الآية نازلة فى حق على رضى الله عنه ، وأن المراد من الولاية ولاية التصرف لا ولاية المعاشرة ، ويرد على من يخالف ذلك بما يظهر له من الدليل ، كما يبين السر الذى من أجله ذكر على بوصفه دون اسمه . وذلك حيث يقول : "قد ورد من طريق العامة والخاصة أن الولاية نازلة فى علىّ حين تصدق فى المسجد فى ركوع الصلاة بخاتمه أو بحلته التى كان قيمتها ألف دينار . ومفسرو العامة لا ينكرون الأخبار فى كونها نازلة فى أمير المؤمنين ، وقد نقلوا بطرق عديدة من رواتهم أنها نزلت فى علىّ ، ومع ذلك يقولون فى تفسيرها : إن الآية نزلت بعد النهى عن اتخاذ أهل الكتاب أولياء ، ولا شك أن المراد بالأولياء هناك أولياء المعاشرة ، بقرينة المقابلة ، وبقرينة جمع المؤمنين ، ولو كان المراد أمير المؤمنين وبالولاية ولاية التصرف لصرح باسمه ، أو لقال : "والذى آمن" بالإفراد ، وهم غافلون عن أنه لو صرح باسمه . أو أفرد المؤمن – مع الاتفاق فى أنها نازلة فى أمير المؤمنين – لأسقطوه تمويهاً على عابدى عجلهم ، فنقول : نسبة الولاية أولا إلى الله ،=

. . . .

=ثم إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم إلى الذين آمنوا ، تدل على أن المراد بالولاية ولاية التصرف التى فى قوله تعالى : **«النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** (الأحزاب : ٦) .. لأن ولاية الله ليست ولاية المعاشرة ولا ولاية الرسول ، بقرينة العطف ، وبما هو معلوم من الخارج ، فكذلك ولاية الذين آمنوا بقرينة العطف ، وبقرينة عدم تكرار الولى ، فإن المراد أن الولاية ههنا أمر واحد مترتب فى الظهور ، فإن ولاية الرسول ليست شيئاً سوى ولاية الله ، وولاية الله تتحقق بولاية الرسول ، فهكذا ولاية الذين آمنوا ، فإنها ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تظهر فى ولاية الذين آمنوا على ما قاله الشيعة ، ولو كان المراد ولاية المعاشرة كان "أولياؤكم" بلفظ الجمع أولى ، وتقييد الذين آمنوا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى حال الركوع يدل على أنها ليست ولاية المعاشرة ، وإلا لكان جملة المؤمنين فيها سواء ، وليس كل المؤمنين متصفين بالصفات المذكورة ، على أنه لا خلاف معتدا فى أنها نزلت فى على وصورة الأوصاف خاصة به ، وقوله : **«الذين يقيمون الصلاة»** - بالمضارع - إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر لهم ، يعنى حالهم استمرار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى حال الخضوع لله ، لا فى حال بهجة النفس ، لأنهم **«يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون»** (المؤمنون : ٦٠) .. بخلاف الفاعل من قبل النفس فإن شأنه الارتضاء بفعله ، وتوقع المدح من الغير على فعله ، لأن كل حزب من أحزاب الناس بما لديهم فرحون ، ويحبون أن يحمدوا على ما لم يفعلوا ، فضلا عما فعلوا . واستمرار الصفات بحسب المعنى : لعلى وأولاده المعصومين بشهادة أعدائهم ، وبحسب الصورة : ما كان أحد مصداقها إلا علىّ نقلا عن طريق العامة والخاصة . ووقع صدور الزكاة فى الركوع من كل الأئمة كما ورد عن طريق الخاصة . وفى نسبة الولاية إلى الله دون المخاطب والإتيان بأداة الحصر دلالة تامة على أن المراد بها ولاية التصرف، فإنها ثابتة لله ذاتاً ولرسوله ولخلفاء رسوله باعتبار كونهما مظهرين لله ، وليس لأحد شركة فيها ، وليس المراد بها ولاية المعاشرة التى تكون بالمواضعة والاتخاذ ، وإلا لم يكن للحصر وجه ، وكان اقتضاء المقابلة أن يقول : بل أنتم أولياء الله .. الخ ، أو : بل اتخذوا الله ورسوله والمؤمنين أولياء ، ولأن المراد بها ولاية التصرف التى كانت بالذات لله قال فى عكسه : **«ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا»** .. إشعارا بأن الولاية السابقة هى ولاية التصرف وليست لغير الله إلا قبولها ، ومن قبلها منهم باستعداده لظهورها فيه صار مرتبطاً بالله وخلفائه ، ومن صار مرتبطاً بالله صار من حزب الله ، ومن صار من حزب الله كان غالباً **«فإن حزب الله هم**=

● "عن أبى عبد الله قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت دخل عليه علىّ عليه السلام فأدخل رأسه ، ثم قال : يا علىّ ، إذا أنا مت فغسلني وكفني ثم أقعدني وسلني واكتب" (جـ ١ ، ص ٢٩٧) .

* * *

● الغيبة :

"وفى حديث عن موسى بن جعفر قال : إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله فى أديانكم لا يزيلكم عنها أحد ، يا بنى إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به" (جـ ١ ، ص ٣٣٦) .

● "وفى حديث لأبى عبد الله قال : أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم ولتمحصن حتى يقال : مات ، قتل ، هلك ، بأى واد سلك ؟ ، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين" (جـ ١ ، ص ٣٣٦).

= الغالبون» (المائدة : ٥٦) .. ولو كان المراد بها المعاشرة لكان الأولى أن يقول : ومن يتخذ الله ، أو : ومن صار وليا لله ، والحاصل : أن فى لفظ الآية دلالات واضحة على أن المراد بالولاية ولاية التصرف ، وأنها بعد الرسول ليست لجملة المؤمنين ، بل لمن اتصف بصفات خاصة كائناً من كان ، متعدداً أو منفرداً ، سواء قلنا نزلت فى علىّ أو لم نقل ، لكن باتفاق الفريقين لم توجد الأوصاف إلا فيه ، ونزلت الآية فى حقه ، والمراد بـ"الذين آمنوا" ههنا ، هم الموصوفون فى الآية السابقة ، لما تقرر عندهم أن المعرفة إذا تكررت كانت عين الأولى" (جـ ١ ، ص ١٢٤).

وعند قوله تعالى : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » .. الآية (المائدة : ٦٧) ، نجده يدعى - كغيره من الإمامية - أن القراءة الصحيحة كانت "بلغ ما أنزل إليك من ربك فى علىّ" ويحمل التبليغ المأمور به النبى على ذلك فحسب ، ويمنع إرادة العموم ، ويقيم الأدلة على ذلك رداً على من يدعى العموم ، وغرضه من ذلك كله إثبات إمامة على رضى الله عنه بنص القرآن الكريم" (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ٧٩ - ٨٢ ، ١٦١ - ١٦٤ ، ١٨١ - ١٨٢ ، ٢١٢ - ٢١٤) .

● "وعن أبى عبد الله قال : يفقد الناس إمامهم ، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه" (جـ ١ ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

● "وعن موسى بن جعفر فى قول الله عز وجل : **«قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين»**[١] ، قال : إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد " (جـ ١ ، ص ٣٤٠) .

● "عن أم هانئ قالت : سألت أبا جعفر محمد بن على عليه السلام عن قول الله تعالى : **«فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس»**[٢] ، قالت : فقال : إمام يخنس سنة ستين ومائتين ، ثم يظهر كالشهاب يتوقد فى الليلة الظلماء ، فإن أدركتِ زمانه قرت عينكِ" (جـ ١ ، ص٣٤١) .

* * *

● مميزات الأئمة وعلاماتهم :

"عن جميل بن دراج قال : روى عن غير واحد من أصحابنا أنه قال : لا تتكلموا فى الإمام ، فإن الإمام يسمع الكلام وهو فى بطن أمه ، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه : **«وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم»**[٣] ، فإذا قام بالأمر رفع له فى كل بلد منارة ينظر منه إلى أعمال العباد" (جـ ١ ، ص ٣٨٨) .

● "عن أبى جعفر قال : للإمام عشر علامات : يولد مطهراً مختوناً ، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين ، ولا يجنب ، وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، ولا يتثاءب ، ولا يتمطى ، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ، ونجوه كرائحة المسك ، والأرض موكلة بستره وابتلاعه ، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عليه وفقاً ، وإذا لبسهما غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً ، وهو محدَّث إلى أن تنقضى أيامه" (جـ ١ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩) .

---

(١) الملك : ٣٠ .	(٢) التكوير : ١٥ ، ١٦ .
(٣) الأنعام : ١١٥ .

● "عن أبى عبد الله قال : إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيباً ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك ، ولم يجعل الله لأحد فى مثل الذى خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء ، ولذلك صرنا نحن وهم الناس ، وصار سائر الناس همجا للنار وإلى النار" (جـ ١ ، ص ٣٨٩) .

● "وعن أبى جعفر قال : إن الله خلقنا من أعلى عليين ، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوى إلينا لأنها خُلقت مما خلقنا ، ثم تلا هذه الآية : **«كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين . وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون»**[1] ، وخلق عدونا من سجين ، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه ، وأبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوى إليهم ، لأنها خلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الآية : **«كلا إن كتاب الفجار لفى سجين . وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم»**[2] . (جـ ١ ، ص ٣٩٠) .

● "عن سدير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج وأخذ بيدى ، ثم استقبل البيت فقال : يا سدير ، إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا ، وهو قول الله : **«وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»**[3] - ثم أومأ بيده إلى صدره - إلى ولايتنا ، ثم قال : يا سدير ، فأريك الصادين عن دين الله ، ثم نظر إلى أبى حنيفة وسفيان الثورى فى ذلك الزمان وهم حلق فى المسجد فقال : هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين ، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا فى بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله

---

(١) المطففين : ١٨ - ٢١ . (٢) المطففين : ٧ - ٩ .
(٣) طه : ٨٢ .

صلى الله عليه وسلم حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم" (جـ ١ ، ص ٣٩٢) .

● "عن أبى حمزة الثمالى قال : دخلت على عليّ بن الحسين عليهما السلام فاحتبست فى الدار ساعة ، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً ، وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان فى البيت ، فقلت : جعلت فداك ، هذا الذى أراك تلتقطه أى شئ هو ؟ . فقال : فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا ، نجعله سيحاً [1] لأولادنا ، فقلت : جعلت فداك ، وإنهم ليأتونكم ؟ فقال : يا أبا حمزة ، إنهم ليزاحموننا على تكآتنا" (جـ ١ ، ص ٣٩٤) .

● "وعن أبى الحسن عليه السلام قال : ما من ملك يهبطه الله فى أمر ما يهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه ، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر" (جـ ١ ، ص ٣٩٤) .

● "عن زرارة قال : كنت عند أبى جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام : "سلونى عما شئتم فلا تسألونى عن شئ إلا أنبأتكم به " قال : إنه ليس أحد عنده علم شئ إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام ، فليذهب الناس حيث شاءوا ، فوالله ليس الأمر إلا من ههنا ، وأشار بيده إلى بيته" (جـ ١ ، ص ٣٩٩) .

● "عن أبى عبد الله فى قول الله عز وجل : «**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولا**»[2] ، قال : هى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام" (جـ ١ ، ص ٤١٣) .

---

(١) قال معلقه : بفتح المهملة وسكون المثناة التحتانية : ضرب من البرود . أو سبحا (بالموحدة) من السبحة . أهـ .

(٢) الأحزاب : ٧٢ .

● "عن أبي عبد الله في قوله تعالى : «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل»[1] : كلمات في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام في ذريتهم ، «فنسي» ، هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم"[2] .

---

(1) طه : ١١٥ .

(2) يرى الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته كانوا معروفين عند الأمم السابقة ، وكان لهم أشياع وأتباع يوالونهم ، ويتوسلون بهم ، وينالهم الخير والبركة بسبب حبهم.

وهذه الروايات لا نعتقد إلا أنها من قبيل الخرافات التي تسلطت على عقول أولئك القوم ، ومن هذه الروايات – مثلا – ما ذكره سلطان محمد الخراساني في قصة قتيل بني إسرائيل المذكورة في قوله تعالى : «وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» .. الآيات (البقرة : ٦٧) ، إلى آخر القصة من أن موسى جمع أماثل القبيلة التي وجد القتيل فيها ، وألزمهم أن يحلف خمسون منهم بالله القوي الشديد إله بني إسرائيل بفضل محمد وآله الطيبين على البرايا أجمعين ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا" (جـ ١ ، ص ٥٧) .

وبعد ذلك بقليل يذكر أنهم طلبوا هذه البقرة المذكورة بأوصافها في القرآن فلم يجدوها إلا عند شاب من بني إسرائيل أراه الله في منامه محمداً وعلياً وطيبي ذريتهما فقالا : إنك كنت لنا محباً مفضلا ، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا ، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلا بأمر أمك ، فإن الله يلقنها ما يغنيك وعقبك ، وجاء القوم يطلبون بقرته ، فقالوا : بكم تبيع بقرتك هذه ؟ قال : بدينارين ، والخيار لأمي . قالوا : رضينا بدينار ، فسألها ، فقالت : بأربعة ، فأخبرهم ، فقالوا : نعطيك دينارين ، فأخبر أمه : فقالت ثمانية .. فما زالوا يطلبون على النصف مما تقول أمه ، ويرجع إلى أمه فتضعف الثمن حتى بلغ ثمنها ملء مسك ثور أكبر ما يكون دنانير ، فأوجب لهم البيع فذبحوها وما كادوا يفعلون .." (جـ ١ ، ص ٥٨) .

وبعد ذلك بقليل يقول : "وفي تفسير الإمام أن أصحاب البقرة ضجوا إلى موسى وقالوا : افتقرت القبيلة ، وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا ، فأرشدهم موسى إلى التوسل بنبينا صلى الله عليه وسلم ، فأوحى الله اليه : ليذهب رؤساؤهم إلى خربة بني فلان ويكشفوا عن موضع كذا ويستخرجوا ما هناك ، فإنه عشرة آلاف ألف دينار ، وليردوا على كل من دفع من ثمن هذه البقرة ما دفع ، لتعود أحوالهم على ما كانت ، ثم ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهو خمسة=

● "عن أبى جعفر قال : «أفكلما جاءكم رسول» محمد ، «بما لا تهوى أنفسكم» ، بموالاة على ، «استكبرتم ففريقاً» ، من آل محمد ، «كذبتم وفريقاً تقتلون»[1] . (جـ ١ ، ص ٤١٨) .

● "عن عبد الله بن كثير ، عن أبى عبد الله فى قوله تعالى : «عم يتساءلون . عن النبأ العظيم»[2] ، قال : النبأ العظيم : الولاية ، وسألته عن قوله : «هنالك الولاية لله الحق»[3] ، قال : ولاية أمير المؤمنين عليه السلام " (جـ ١ ، ص ٤١٨) .

● "وعن إدريس بن عبد الله عن أبى عبد الله قال : سألته عن تفسير هذه الآية : «ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين»[4] ، قال : عنى بها : لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم : «والسابقون السابقون . أولئك المقربون»[5] ، أما ترى الناس يسمون الذى يلى السابق فى الحلبة مصلى ، فذلك الذى عنى حيث قال : «لم نك من المصلين» : لم نك من أتباع السابقين" (جـ ١ ، ص ٤١٩) .

=آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم ، لتتضاعف أموالهم جزاء على توسلهم بمحمد وآله ، واعتقادهم لتفضيلهم" (جـ ١ ، ص ٥٨) .

كما يروى أنهم توسلوا إلى الله تعالى بالنبى محمد وآله عند ضربهم للقتيل ببعض البقرة ، لأجل أن يحييه لهم فاستجاب ، وأن القتيل بعد حياته توسل إلى الله بمحمد وآله أن يبقيه فى الدنيا متمتعاً بابنة عمه ، ويجزى عنه أعداءه ، ويرزقه رزقاً كثيراً طيباً ، فوهب له سبعين سنة زيادة على السنين التى عاشها قبل ذلك ، وعاش فى الدنيا صحيحة حواسه ، قوية شهواته ، متمتعاً بحلال الدنيا ، وعاش معها لم يفارقها ولم تفارقه ، وماتا جميعاً معاً ، وصارا إلى الجنة وكانا فيها زوجين ناعمين" (جـ ١ ، ص ٥٨ ، وانظر التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨) .

(١) البقرة : ٨٧ .
(٢) النبأ : ١ ، ٢ .
(٣) الكهف : ٤٤ .
(٤) المدثر : ٤٢ ، ٤٣ .
(٥) الواقعة : ١٠ ، ١١ .

● "عن أبى جعفر فى قوله تعالى : «**هذان خصمان اختصموا فى ربهم ، فالذين كفروا**» ، بولاية على ، «**قطعت لهم ثياب من نار**»[١] . (جـ ١ ، ص ٤٢٢) .

● "قرأ رجل عند أبى عبد الله عليه السلام : «**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**»[٢] ، فقال : ليس هكذا هى ، إنما هى : والمأمونون ، ونحن المأمونون" (جـ ١ ، ص ٤٢٤) .

● "عن علىّ بن جعفر عن أخيه موسى فى قوله تعالى : «**وبئر معطلة وقصر مشيد**» [٣] ، قال : البئر المعطلة : الإمام الصامت ، والقصر المشيد : الإمام الناطق" (جـ ١ ، ص ٤٢٧) .

● "حدث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده فى قوله عز وجل : «**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**»[٤] ، قال : لما نزلت : «**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**»[٥] ، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض : ما تقولون فى هذه الآية ؟ فقال بعضهم : إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها ، وإن آمنا فهذا ذل حين يسلط علينا ابن أبى طالب ، فقالوا : قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول ولكنا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا ، قال : فنزلت هذه الآية : «**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**» ، يعرفون : يعنى ولاية على بن أبى طالب ، وأكثرهم الكافرون بالولاية" (جـ ١ ، ص ٤٢٧) .

● "عن عبد الله بن سليمان عن أبى عبد الله قال : سألته عن الإمام فوّض الله إليه كما فوّض إلى سليمان بن داوود؟ فقال : نعم ، وذلك أن

---

(١) الحج : ١٩ .
(٢) التوبة : ١٠٥ .
(٣) الحج : ٤٥ .
(٤) النحل : ٨٣ .
(٥) المائدة : ٥٥ .

رجلا سأله عن مسألة فأجابه فيها ، وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير الجواب الأول ، ثم سأله آخر فأجابه بغير جواب الأولين ، ثم قال : "هذا عطاؤنا فامنن أو (أعط) ، بغير حساب" (١) ، وهكذا هى على قراءة علىّ عليه السلام ، قال : قلت : أصلحك الله ، فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام ؟ قال : سبحان الله ، أما تسمع الله يقول : **«إن فى ذلك لآيات للمتوسمين»** ، وهم الأئمة ، **«وإنها لبسبيل مقيم»**(٢) ، لايخرج منها أبداً ... ثم قال لى : نعم ، إن الإمام إذا أبصر الرجل عرفه وعرف لونه ، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف من هو ، إن الله يقول : **«ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين»**(٣) ، وهم العلماء ، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلا عرفه ، ناج أو هالك [هكذا بالأصل] ، فلذلك يجيبهم بالذى يجيبهم" (جـ ١ ، ص ٤٣٩) .

* * *

نقول من الجزء الثاني

● "عن أبى جعفر قال : بنى الإسلام على خمس : على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والولاية ، ولم يناد بشئ كما نودى بالولاية (٤) ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعنى الولاية" (جـ ٢ ، ص ١٨) .

● "وعن الصادق قال : أثافى الإسلام ثلاثة : الصلاة ، والزكاة ، والولاية ، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها" (جـ ٢ ، ص ١٨) .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : **« هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»** (سورة ص : ٣٩) .

(٢) الحجر : ٧٥ ، ٧٦ . (٣) الروم : ٢٢ .

(٤) جاء فى حديث آخر : "ولم يناد بشئ ما نودى بالولاية يوم الغدير" (جـ ٢ ، ص ٢١) .

● "عن زرارة ، عن أبى جعفر قال : بنى الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية ، قال زرارة : فقلت : وأى شئ من ذلك أفضل ؟ قال : الولاية أفضل ، لأنها مفتاحهن ، والوالى هو الدليل عليهن ...

وفيه : أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ، ولم يعرف ولاية ولى الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله جل وعز حق فى ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان" (جـ ٢ ، ص ١٨ ، ١٩) .

* * *

● **التقية**[١] :

"عن أبى عبد الله فى قوله عز وجل : **«أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا»**[٢] ، قال : بما صبروا على التقية ، **«ويدرأون بالحسنة السيئة»** ، قال : الحسنة التقية ، والسيئة : الإذاعة" (جـ ٢ ، ص ٢١٧) .

● "عن أبى عمر الأعجمى : قال : قال لى أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا عمر ، إن تسعة أعشار الدين فى التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ، والتقية فى كل شئ إلا فى النبيذ والمسح على الخفين"[٣] (جـ ٢ ، ص ٢١٧) .

---

(١) التقية : معناها المداراة والمصانعة ، وهى مبدأ أساسى عندهم ، وجزء من الدين ، يدعون لإمامهم المختفى ، ويظهرون الطاعة لصاحب السلطان ، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة فى وجه الدولة الظالمة - وقد سبق تعريفها .

(٢) القصص : ٥٤ .

(٣) قال معلقه : ذلك لعدم مسيس الحاجة إلى التقية إلا نادراً ، أو يكون نفى التقية فيهما باعتبار رعاية زمان هذا الخطاب ومكانه ، وحال المخاطب وعلمه عليه السلام بأنه لا يضطر إليها .

● "قال أبو عـبد الله : التقية من ديـن الله ، قلت : من دين الله ؟ قال : إى والله من دين الله ، ولقد قال يوسف :**«أيتها العير إنكم لسارقون»**[1] ، والله ما كانوا سرقوا شيئاً ، ولقد قال إبراهيم : **«إنى سقيم»**[2] ، والله ما كان سقيماً "(جـ ٢ ، ص ٢١٧) .

● "قال أبو عبد الله : ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف ، إن كانوا ليشهدون الأعياد ، ويشدون الزنانير ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين" (جـ ٢ ، ص ٢١٨) .

● "قال أبو جعفر : "خالطوهم بالبرانية ، وخالفوهم بالجوانية إذا كانت الإمرة صبيانية" (جـ ٢ ، ص ٢٢٠) .

* * *

● **تحريف القرآن** [3] :

" عن أحمد بن محمد بن أبى النصر قال : دَفع إلىَّ أبو الحسن عليه السـلام مصحـفاً وقـال : لا تنـظر فيه ، ففتحته وقرأت فيه : **«لم يكن الذين كفروا»** [يقصد سورة البينة] ، فوجدت فـيها اسم سبعـين رجلا من قريش بأسـمائهم وأسـماء آبـائهم ، قـال : فبعث إلى : ابعث إلى بالمصحف" (جـ ٢ ، ص ٦٣١) .

---

(١) يوسف : ٧٠ . (٢) الصافات : ٨٩ .

(٣) يرى الشيعة أن القرآن الذى جمعه على عليه السلام . وتوارثه الأئمة من بعده ، هو القرآن الصحيح الـذى لـم يتطـرق إليه تحريف ولا تبديل . أما ما عداه فمحرف أو مبـدل ، حذف منه كل ما ورد صريحا فى فضائل آل البيت ، وكل ما ورد صريحا فى مثالب أعدائهم ومخالفيهم ..

يقول سلـطان محـمد الخراسانى فى كتابه "بيان السعادة فى مقامات العبادة" ما نصه : "اعلم أنه قد استفاضت الأخبارعن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك فى صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقيصة والتغيير إنما هى فى مدركاتهم من القرآن لا فى=

. . . .

=لفظ القرآن كلغة ، ولا يليق بالكاملين فى مخاطباتهم العامة ، لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص ، وصرف اللفظ عن ظاهره من غير صارف ، وما تواهموه صارفاً من كونه مجموعاً عندهم فى زمن النبى ، وكانوا يحفظونه ويدرسونه ، وكانت الأصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير أو التبديل ، حتى ضبطوا قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم .

فالجواب عنه : إن كونه مجموعاً غير مسلم ، فإن القرآن نزل فى مدة رسالته إلى آخر عمره نجوما ، وقد استفاضت الأخبار بنزول بعض السور وبعض الآيات فى العام الآخر ، وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته ، وأن علياً جلس فى بيته مشغولا بجمع القرآن ، أكثر من أن يمكن إنكاره .

وكونهم يحفظونه ويدرسونه مسلم ، لكن كان الحفظ والدرس فيما كان بأيديهم ، واهتمام الأصحاب بحفظه وحفظ قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه ، وكما كانت الدواعى متوفرة فى حفظه ، كذلك كانت متوفرة من المنافقين فى تغييره . وأما ما قيل : إنه لم يبق لنا حينئذ اعتماد عليه ، والحال أنا مأمورون بالأعتماد عليه ، واتباع أحكامه ، والتدبر فى آياته ، وامتثال أوامره ونواهيه . وإقامة حدوده ، وعرض الأخبار عليه ، لا يعتمد عليه صرف مثل هذه الأخبار الكثيرة الدالة على التغيير والتحريف عن ظواهرها ، لأن الأعتماد على هذا المكتوب ووجوب اتباعه ، وامتثال أوامره ونواهيه ، وإقامة حدوده وأحكامه ، إنما هى للأخبار الكثيرة الدالة على ما ذكر ، للقطع بأن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من غير نقيصة وزيادة وتحريف فيه . ويستفاد من هذه الأخبار : أن الزيادة والنقيصة والتغيير إن وقعت فى القرآن لم تكن مخلة بمقصود الباقى منه ، بل نقول : كان المقصود الأهم من الكتاب الدلالة على العترة والتوسل بهم ، وفى الباقى منه حجتهم أهل البيت ، وبعد التوسل بأهل البيت إن أمروا باتباعه كان حجة قطعية لنا ولو كان مغيراً تغييراً مخلا بمقصوده ، وإن لم نتوسل بهم أو لم يأمروا باتباعه ، وكان التوسل به ، واتباع أحكامه ، واستنباط أوامره ونواهيه ، وحدوده ، وأحكامه ، من قبل أنفسنا كان من قبيل التفسير بالرأى الذى منعوا منه ، ولو لم يكن مغيراً" (جـ ١ ، ص ١٢) .

ولما كان المؤلف ممن يقولون بوقوع التحريف والتبديل فى القرآن ، فإنا نجده عندما يصطدم بقوله تعالى : **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»**=

◎ "عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل على أبى عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال أبو عبد الله كف عن هذه القراءة ، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ، فإذا قام القائم عليه السلام ، قرأ كتاب الله عز وجل على جده ، وأخرج المصحف الذى كتبه على عليه السلام ، وقال : أخرجه على عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم : هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جمعته من اللوحين ، فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن ، لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنما كان على أن أخرجكم حين جمعته لتقرأوه" (جـ ٢ ، ص ٦٣٣) .

◎ "عن أبى عبد الله قال : إن القرآن الذى جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية" (جـ ٢ ، ص ٦٣٤) .

* * *

=(الحجر : ٩) .. يحاول أن يتخلص من هذا النص الذى يجبهه فيقول : "ولا ينافى حفظه تعالى للذكر بحسب حقيقة التحريف فى صورة تدوينه ، فإن التحريف إن وقع وقع فى الصورة المماثلة له كما قال : **«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله»** (البقرة : ٧٩) .. وكما قال : **«يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله»** (آل عمران : ٧٨) ..

كذلك نجد السيد عبد الله العلوى الشهير بـ"شبر" عندما يصطدم بهذه الآية ، نجده يتفادى هذا الاصطدام بالتأويل فيقول : **«وإنا له لحافظون»** .. عند أهل الذكر واحداً بعد واحد إلى القائم ، أو فى اللوح .. وقيل الضمير للنبي" (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ١٨٤ ، ١٩٦ ، ٢١٤) .

• فرض الرجلين (المسح)[1] :

"قال أبو عبد الله : إنه يأتى على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه" (جـ ٣ ، ص ٣١) .

---

(١) بل فرض الرجلين الغسل لا المسح .. يقول فى الفقه على المذاهب الأربعة فى مبحث الطهارة : "رابعها : غسل الرجلين مع الكعبين مرة ، وهما العظمان البارزان فى أسفل الساق فوق القدم ، ويجب عليه أن يتعهد عقبيه بالغسل بالماء ، لقوله صلى الله عليه وسلم : "ويل للأعقاب من النار" كما يجب عليه أن يتعهد الشقوق التى تكون فى باطن القدم ، ومن قطع من رجله بعض ما يجب غسله ، وجب عليه أن يغسل ما يبقى ، فإن قطع موضع الفرض كله سقط الغسل" .

ويقول القرطبى فى قوله تعالى : **«ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين»** (المائدة : ٦) :

"الثالثة عشرة - قوله تعالى : **«وأرجلكم»** ، قرأ نافع وابن عامر والكسائى : "وأرجلَكم بالنصب ، وروى الوليد بن مسلم عن نافع أنه قرأ : "أرجلُكم" بالرفع وهى قراءة الحسن والأعمش سليمان ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة : "وأرجلِكم" بالخفض .. وبحسب هذه القراءات اختلفت الصحابة والتابعون .

فمن قرأ بالنصب جعل العامل "اغسلوا" ، وبنى على أن الفرض فى الرجلين الغسل دون المسح ، وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء ، وهو الثابت من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، واللازم من قوله في غير ما حديث ، وقد رأى قوماً يتوضأون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته : "ويل للأعقاب من النار ، أسبغوا الوضوء" .

ثم إن الله حدهما فقال : **«إلى الكعبين»** كما قال فى اليدين : **«إلى المرافق»** ، فدل على وجوب غسلهما ، والله أعلم ...

ومن قرأ بالخفض جعل العامل الباء ، قال ابن العربى : اتفقت العلماء على وجوب غسلهما ، وما علمت من رد ذلك سوى الطبرى من فقهاء المسلمين ، والرافضة من غيرهم ، وتعلق الطبرى بقراءة الخفض" . =

. . . .

=ثم يقول القرطبى :"قلت : قد روى عن ابن عباس أنه قال : الوضوء غسلتان ومسحتان .

وروى أن الحجاج خطب بالأهواز فذكر الوضوء فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ، فإنه ليس شئ من ابن آدم من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما ، فسمع ذلك أنس بن مالك فقال : صدق الله وكذب الحجاج ، قال الله تعالى : «**وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم**» . قال : وكان إذا مسح رجليه بلهما ، وروى عن أنس أيضاً أنه قال : نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل ، وكان عكرمة يمسح رجليه وقال : ليس فى الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح ، وقال عامر الشعبى : نزل جبريل بالمسح ، ألا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلا ، ويلغى ما كان مسحاً ، وقال قتادة : افترض الله غسلتين ومسحتين . وذهب ابن جرير الطبرى إلى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح ، وجعل القراءتين كالروايتين [أى كالروايتين فى الخبر ، يعمل بهما إذا لم يتناقضا] .. قال الحسن : ومن أحسن ما قيل فيه : إن المسح والغسل واجبان جميعاً ، فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض ، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب ، والقراءتان بمنزلة آيتين ، قال ابن عطية : وذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أن المسح فى الرجلين هو الغسل" .

ويعقب القرطبى على الرأى الأخير بقوله : "قلت : وهو الصحيح ، فإن لفظ المسح مشترك ، يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى الغسل ، قال الهروى : أخبرنا الأزهرى ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الدارى عن أبى حاتم عن أبى زيد الأنصارى قال : المسح فى كلام العرب يكون غسلا ويكون مسحا ، ومنه يقال للرجل إذا توضأ فغسل أعضاءه : قد تمسح ، ويقال : مسح الله ما بك إذا غسلك وطهرك من الذنوب .. فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن المسح يكون بمعنى الغسل ، فترجح قول من قال : إن المراد بقراءة الخفض الغسل ، بقراءة النصب التى لا احتمال فيها ، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل ، والتوعد على ترك غسلها فى أخبار صحاح لا تحصى كثرة أخرجها الأئمة ..

ثم إن المسح فى الرأس إنما دخل بين ما يغسل لبيان الترتيب على أنه مفعول قبل الرجلين ، التقدير : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى=

. . . .

=الكعبين وامسحوا برؤوسكم ، فلما كان الرأس مفعولا قبل الرجلين قدم عليهما فى التلاوة - والله أعلم - لا أنهما مشتركان مع الرأس لتقدمه عليهما فى صفة التطهير .

وقد روى عاصم بن كليب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : قرأ الحسن والحسين - رحمة الله عليهما - علىٌ "وأرجلِكم" - بكسر اللام - فسمع على ذلك وكان يقضى بين الناس فقال : "وأرجلَكم" - بالنصب - هذا من المقدم والمؤخر من الكلام .

وروى أبو إسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه قال : اغسلوا الأقدام إلى الكعبين . وكذا روى عن ابن مسعود وابن عباس إنهما قرآ : "وأرجلَكم" بالنصب...

وقد قيل : إن الخفض فى الرجلين إنما جاء مفيداً لمسحهما لكن إذا كان عليهما خفان ، وتلقينا هذا القيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يصح عنه أن مسح رجليه إلا وعليهما خفان ، فبيَّن صلى الله عليه وسلم بفعله الحال الذى تُغسل فيه الرجل والحال التى تمسح فيه ، وهذا حسن .

فإن قيل : إن المسح على الخفين منسوخ بسورة المائدة - وقد قاله ابن عباس ، ورد المسح أبو هريرة وعائشة ، وأنكره مالك - فى رواية عنه - فالجواب : أن من نفى شيئاً وأثبته غيره فلا حجة للنافى ، وقد أثبت المسح على الخفين عدد كثير من الصحابة وغيرهم ، وقد قال الحسن : حدثنى سبعون رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنهم مسحوا على الخفين ، وقد ثبت بالنقل الصحيح عن همام قال : بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم توضأ ومسح على خفيه . قال إبراهيم النخعى : كان يعجبهم هذا الحديث ، لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة ، وهذا نص يرد ما ذكروه وما احتجوا به من رواية الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، أن جريرا أسلم فى ستة عشر من شهر رمضان ، وأن "المائدة" نزلت فى ذى الحجة يوم عرفات ، وهذا حديث لا يثبت لوهاه ، وإنما نزل منها يوم عرفة : «**اليوم أكملت لكم دينكم**» (المائدة : ٣) . على ما تقدم ، قال أحمد بن حنبل : أنا أستحسن حديث جرير فى المسح على الخفين ، لأن إسلامه كان بعد نزول المائدة ، وأما ما روى عن أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما فلا يصح ، أما عائشة فلم يكن عندها بذلك علم ، ولذلك ردت السائل إلى=

. . . .

عليّ رضى الله عنه ، وأحالته عليه فقالت : سله ، فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث ..

وأما مالك ، فما روى عنه من الإنكار فهو منكر لا يصح ، والصحيح ما قاله عند موته لابن نافع : إنى كنت آخذ فى خاصة نفسى بالطهور ، ولا أرى من مسح مقصراً فيما يجب عليه . وعلى هذا حمل أحمد بن حنبل ما رواه ابن وهب عنه أنه قال : لا أمسح فى حضر ولا سفر . قال أحمد : كما روى عن ابن عمر أنه أمرهم أن يمسحوا خفافهم وخلع هو وتوضأ . وقال : حبب إلى الوضوء ، ونحوه عن أبى أيوب ، وقال أحمد رضى الله عنه : فمن ترك ذلك على نحو ما تركه ابن عمر وأبو أيوب ومالك لم أنكره عليه ، وصلينا خلفه ولم نعبه ، إلا أن يترك ذلك ولا يراه كما صنع أهل البدع ، فلا يصلى خلفه ، والله أعلم .

وقد قيل : إن قوله "وأرجلكم" - بالجر - معطوف على اللفظ دون المعنى ، وهذا أيضاً يدل على الغسل فإن المراعى المعنى لا اللفظ ، وإنما الخفض للجوار كما تفعل العرب ، وقد جاء هذا فى القرآن وغيره .." [وساق أمثلة] ..

ثم قال : "قلت : والقاطع فى الباب من أن فرض الرجلين الغسل ما قدمناه ، وما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام : "ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار" [فى رواية أحمد] ، فخوفنا بذكر النار من مخالفة مراد الله عز وجل ، ومعلوم أن النار لا يعذب بها إلا من ترك الواجب ، ومعلوم أن المسح ليس شأنه الاستيعاب ولاخلاف بين القائلين بالمسح على الرجلين أن ذلك على ظهورهما لا على بطونهما ، فتبين بهذا الحديث بطلان قول من قال بالمسح ، إذ لا مدخل لمسح بطونهما عندهم ، وإنما ذلك يدرك بالغسل لا بالمسح .

ودليل آخر من جهة الإجماع ، وذلك أنهم اتفقوا على أن من غسل قدميه فقد أدى الواجب عليه ، واختلفوا فيمن مسح قدميه ، فاليقين ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه . ونقل الجمهور كافة عن كافة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه كان يغسل رجليه فى وضوئه مرة واثنتين وثلاثاً حتى ينقيهما ، وحسبك بذلك حجة فى الغسل مع ما بيناه ، فقد وضح أن قراءة الخفض المعنى فيها الغسل لا المسح ، كما ذكرنا ، وأن العامل فى قوله : "وأرجلكم" - بالنصب - قوله "فاغسلوا" والعرب قد تعطف الشئ على الشئ بفعل ينفرد به أحدهما ، نقول : أكلت الخبز واللبن أى وشربت اللبن "..

ثم ساق أمثلة ، ثم قال : "فيكون قوله : «وامسحوا برؤوسكم=

. . . .

=وأرجلكم» عطف بالغسل على المسح حملا على المعنى ، والمراد الغسل ، والله أعلم" .. (انظر تفسير القرطبي ، ط . الشعب ص ٢٠٨٨ - ٢٠٩٣بتصرف - البلتاجى) .

ويقول فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى : "يقول الطبرسى - كغيره من علماء مذهبه - بأن المسح هو فرض الرجلين فى الوضوء ، فلهذا نراه يجادل بكل قوة ، ويدافع عن مذهبه وينصره بأدلة إن دلت على شئ فهو قوة عقلية هذا الرجل وسعة ذهنه وكثرة إطلاعه ، فعندما فسر قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» (المائدة : ٦) .. يقول ما نصه : «وأرجلكم إلى الكعبين» .. اختلف فى ذلك ، فقال جمهور الفقهاء : إن فرضهما الغسل . وقالت الإمامية : فرضهما المسح دون غيره ، وبه قال عكرمة . وقد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين ، كابن عباس ، وأنس وأبى العالية والشعبى . وقال الحسن البصرى بالتخيير بين المسح والغسل ، وإليه ذهب الطبرى والجبائى إلا أنهما قالا : يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم . قال ناصر الحق من جملة أئمة الزيدية : يجب الجمع بين المسح والغسل ، وروى عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله فمسح على رجليه . وروى عنه أنه قال : إن فى كتاب الله المسح ، ويأبى الناس إلا الغسل . وقال : الوضوء غسلتان ومسحتان . وقال قتادة : فرض الله غسلتين ومسحتين . وروى ابن علية ، عن حميد ، عن موسى بن أنس : أنه قال لأنس ونحن عنده : إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم ، وإنه ليس شئ من بنى آدم أقرب من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقبهما ، فقال أنس : صدق الله وكذب الحجاج ، قال تعالى : «وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» .. قال : فكان أنس إذا مسح قدميه بلهما . وقال الشعبى : نزل جبريل عليه السلام بالمسح . وقال : إن فى التيمم يمسح ما كان غسلا ، ويلغى ما كان مسحاً .وقال يونس : حدثنى من صحب عكرمة إلى واسط . قال : فما رأيته غسل رجليه ، إنما كان يمسح عليهما - وأما ما روى عن سادة أهل البيت فى ذلك فأكثر من أن يحصى، فمن ذلك ما روى الحسين بن سعيد الأهوازى ، عن فضالة ، عن حماد بن عثمان ، عن غالب بن هذيل قال :=

. . . .

=سألت أبا جعفر عن المسح على الرجلين فقال : هو الذى نزل به جبريل . وعنه عن أحمد بن محمد قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عن المسح على القدمين كيف هو ؟ فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحهما إلى الكعبين ، فقلت له : لو أن رجلا قال بأصبعين من أصابعه هكذا إلى الكعبين ؟ قال : لا . إلا بكفه كلها . وأما وجه القراءتين فى "أرجلكم" فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على أنه عطف على رؤوسكم ، وقال : المراد بالمسح هو الغسل . وروى عن أبي زيد أنه قال : المسح خفيف الغسل ، فقد قالوا : تمسحت للصلاة ، وقوى ذلك بأن التحديد إنما جاء فى المغسول ولم يجئ فى الممسوح ، فلما وقع التحديد فى المسح علم أنه فى حكم الغسل لموافقة الغسل فى التحديد ، وهذا قول أبي على الفارسى .

وقال بعضهم : هو خفض على الجوار ، كما قالوا جحر ضب خرب . وخرب من صفات الجحر لا الضب ، وكما قال امرؤ القيس :

كأن ثبيرا فى عرانين وبله   كبير أناس بجاد مزمل

وقال الزجاج : إذا قرئ بالجر يكون عطفاً على الرؤوس فيقتضى كونه ممسوحاً . وذكر عن بعض السلف أنه قال : نزل جبريل بالمسح ، والسنة فيه الغسل . قال : والخفض على الجوار لا يجوز فى كتاب الله تعالى ، ولكن المسح على هذا التحديد فى القرآن كالغسل . وقال الأخفش : هو معطوف على الرؤوس فى اللفظ ، مقطوع فى المعنى ، كقول الشاعر :

* علفتها تبناً وماء بارداً *

المعنى : وسقيتها ماء بارداً .

وأما القراءة بالنصب ، فقالوا فيه : إنه معطوف على "أيديكم" ، لأنا رأينا فقهاء الأمصار عملوا على الغسل دون المسح ، ولما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى قوما توضأوا وأعقابهم تلوح . فقال : "ويل للعراقيب من النار" . ذكره أبو على الفارسى . وأما من قال بوجوب مسح الرجلين .. حمل الجر والنصب فى "أرجلكم" على ظاهره بدون تعسف ، فالجر للعطف على الرؤوس ، والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور ، وأمثال ذلك فى كلام العرب أكثر من أن تحصى . قالوا : ليس فلان بقائم ولا ذاهبا ، وأنشد :

معاوى إننا بشر فأسجح   فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وقال تأبط شرا : =

. . . .

= هل أنت باعث ديناراً لحاجتنا   أو عبد رب أخا عون بن مخراق

فعطف "عبد" على موضع "دينار" ، فإنه منصوب فى المعنى ، ومن ذلك قول الشاعر :

جئنى بمثل بنى بدر لقومهم   أو مثل إخوة منظور بن سيار

فإنه لما كان معنى "جئنى" هات وأحضر لى مثلهم ، عطف بالنصب على المعنى ، وأجابوا الأولين عما ذكروه في وجه الجر والنصب بأجوبة نوردها على وجه الإيجاز : قالوا : ما ذكروه أولا من أن المراد بالمسح الغسل فباطل من وجوه :

أحدها : أن فائدة اللفظين فى اللغة والشرع مختلفة ، وقد فرّق الله سبحانه بين الأعضاء المغسولة وبين الأعضاء الممسوحة ، فكيف يكون معنى المسح والغسل واحداً ؟

وثانيها : أن الأرجل إذا كان معطوفاً على الرؤوس ، وكان الفرض فى الرؤوس المسح الذى ليس بغسل بلا خلاف ، فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، لأن حقيقة العطف تقتضى ذلك .

وثالثها : أن المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه توضأ وغسل رجليه ، لأن على هذا لا ينكر أن يكون مسحهما فسموا المسح غسلا وفى هذا ما فيه .

فأما استشهاد أبى زيد بقولهم : تمسحت للصلاة ، فالمعنى فيه : أنهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز أن يقولوا : تغسلت للصلاة ، لأن ذلك تشبيه بالغسل ، قالوا بدلا من ذلك تمسحت ، لأن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضاً فتجوّزوا لذلك تعويلا على أن المراد مفهوم ، وهذا لا يقتضى أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل .

وأما ما قالوا فى تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى فى الجواب عنه : أن ذلك لا يدل على الغسل ، وذلك لأن المسح فعل قد أوجبته الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ، ولو صرح سبحانه وتعالى فقال : وامسحوا أرجلكم وانتهوا بالمسح إلى الكعبين لم يكن منكراً . فإن قالوا : إن تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضى الغسل قلنا : إنا لم نوجب الغسل فى اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما ، وليس كذلك فى الرجلين ، وإن قالوا : عطف المحدود على المحدود أولى وأشبه بترتيب الكلام . قلنا : هذا لا يصح ، لأن الأيدى محدودة وهى معطوفة على الوجوه التى ليست فى الآية=

. . . .

=محدودة ، فإذن جاز عطف الأرجل وهى محدودة ، على الرؤوس التى ليست بمحدودة ، وهذا أشبه مما ذكرتموه ، لأن الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه ، وعطف عضو محدود مغسول عليه ، ثم استؤنف ذكر عضو ممسوح غير محدود ، فيجب أن يكون "أرجل" ممسوحة محدودة معطوفة على الرؤوس دون غيره . ليتقابل الجملتان فى عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود ، وعطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدود .

وأما من قال : إنه عطف على الجوار ، فقد ذكرنا عن الزجاج أنه لم يجوِّز ذلك فى القرآن ، ومن أجاز ذلك فى الكلام فإنما يجوِّز مع فقد حرف العطف ، وكل ما استشهد به على الإعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك . وأيضاً فإن المجاورة إنما وردت فى كلامهم عند ارتفاع اللبس والأمن من الاشتباه ، فإن أحداً لا يشتبه عليه أن خرباً لا يكون من صفة الضب ، ولفظة مزمل لا يكون من صفة البجاد ، وليس كذلك الأرجل فإنها يجوز أن تكون ممسوحة كالرؤوس . وأيضاً فإن المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزاً فى كلام العرب ، وقالوا فى "جحر ضب خرب" : أنهم أرادوا خرب جحره ، فحذفوا المضاف الذى هو جحر وأقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه وإذا ارتفع الضمير استكن فى خرب . وكذلك القول فى : كبير أناس فى بجاد مزمل ، فتقديره مزمل كبيره ، فبطل الإعراب بالمجاورة جملة ، وهذا واضح لمن تدبره .

وأما من جعله مثل قول الشاعر : علفتها تبناً وماء بارداً ، كأنه قدر فى الآية : واغسلوا أرجلكم ، فقوله أبعد من الجميع ، لأن مثل ذلك لو جاز فى كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده فى سائر الكلام . فإنما يجوز إذا استحال حمله على ظاهر ، فأما إذا كان الكلام مستقيماً ومعناه ظاهراً فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد ؟

وأما ما قاله أبو على فى القراءة بالنصب على أنه معطوف على الأيدى ، فقد أجاب عنه المرتضى بأن قال : جعل التأثير فى الكلام للقريب أولى من جعله للبعيد ، فنصب الأرجل عطفاً على الموضع أولى من عطفها على الأيدى والوجوه ، على أن الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد انقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية ، ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الأولى أن تعطف على ما فيها ، فإن ذلك يجرى مجرى قولهم : ضربت زيداً وعمراً ، وأكرمت خالداً وبكراً ، فإن رد بكر إلى خالد فى الإكرام هو الوجه فى الكلام لا يسوغ الذى=

. . . .

=سواه ، ولا يجوز رده إلى الضرب الذى قد انقط حكمه ، ولو جاز ذلك أيضاً لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا تتنافيان .

فأما ما روى فى الحديث أنه قال : ويل للعراقيب من النار ، وغير ذلك من الأخبار التى رووها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه توضأ وغسل رجليه ، فالكلام فى ذلك أنه لا يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الأخبار الذى لا يوجب علماً وإنما يقتضى الظن ، على أن هذه الأخبار معارضة بأخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت فى كتبهم ، ونقلت عن شيوخهم ، مثل ما روى عن أوس بن أبى أوس أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى ، وعن حذيفة قال : أتى رسول الله سباطة قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قدميه ، وذكره أبو عبيدة فى غريب الحديث ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره .

وقوله : ويل للعراقيب من النار ، فقد روى فيه أن قوماً من أجلاف الأعراب كانوا يبولون وهم قيام ، فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ، ويدخلون المسجد للصلاة ، وكان ذلك سبباً لهذا الوعيد .

وأما الكعبان فقد اختلف فى معناهما ، فعند الإمامية هما العظمان النابتان فى ظهر القدم عند معقد الشراك ، ووافقهم فى ذلك محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وإن كان يوجب غسل الرجلين إلى هذا الموضع . وقال جمهور المفسرين والفقهاء : الكعبان هما عظما الساقين ، قالوا : ولو كان كما قالوه لقال سبحانه : وأرجلكم إلى الكعاب ، ولم يقل إلى الكعبين ، لأن على ذلك القول يكون فى كل رجل كعبان" (جـ ١ ، ص ٣١٤ - ٣١٦) .

ويرى الكاشى أن فرض الرجلين فى الوضوء مسحها لا غسلها ، كما يرى عدم جواز المسح على الخفين ، ولهذا نراه عند تفسيره لهذه الآية ، يقول بوجوب وصول الماء إلى بشرة سائر الأعضاء كما هو مقتضى الأمر بالغسل والمسح ، وعليه فلا يجزئ المسح على القلنسوة ولا على الخفين ، ثم يروى ما جاء فى التهذيب عن الباقر من أن عمر جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم على فقال : ما تقولون فى المسح على الخفين ؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على الخفين ، فقال علىّ : قبل المائدة أو بعد المائدة ؟ قال : لا أدرى ، فقال علىّ : سبق الكتاب الخفين ، إنما نزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة . وهنا يعقب ملا محسن على هذه الرواية=

. . . .

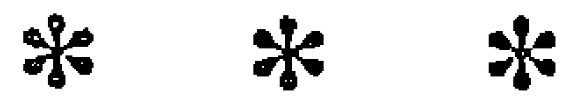
=فيقول : "أقول : المغيرة بن شعبة هذا هو أحد رؤساء المنافقين عن أصحاب العقبة والسقيفة لعنهم الله .. ثم يقول : وفى الفقيه روت عائشة عن النبى أنه قال : أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره . وروى عنها أنها قالت : لأن أمسح على ظهر عير بالفلاة أحب إلىَّ من أن أمسح على خفى . ولم يعرف للنبى خف إلا خف أهداه النجاشى وكان موضع ظهر القدمين منه مشقوقاً ، فمسح النبى صلى الله عليه وسلم على رجليه وعليه خفاه ، فقال الناس : إنه مسح على خفيه ، على أن الحديث فى ذلك غير صحيح الإسناد . أ هـ كلام الفقيه" (جـ ١ ، ص ١٥٤) .

وبعد هذا انتقل المؤلف إلى الكلام على فرض الرجلين فى الوضوء ، فقال بعد ما بين أولا أن قراءة نصب الأرجل مردودة عندهم : ".. ثم دلالة الآية على مسح الرجلين دون غسلهما أظهر من الشمس فى رابعة النهار ، وخصوصاً على قراءة الجر ، ولذلك اعترف بها جمع كثير من القائلين بالغسل ، وفى التهذيب عن الباقر أنه سئل عن قول الله عز وجل : **«وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين»** .. على الخفض هى أم على النصب ؟ قال : "بل هى على الخفض" ثم قال : "أقول : وعلى تقدير القراءة على النصب أيضاً تدل على المسح ، لأنها تكون حينئذ معطوفة على محل الرؤوس ، كما تقول : مررت بزيد وعمراً ، إذ عطفهما على الوجوه خارج عن قانون الفصاحة ، بل عن أسلوب العربية .. ثم روى من الأخبار عن أهل البيت ما يشهد لمذهبه" (جـ ١ ، ص ١٥٥) .

ويقول سلطان محمد الخراسانى فى كتابه "بيان السعادة" عند تفسيره لهذه الآية : "... وأرجلكم" بالجر عطف على رؤوسكم ، وبالنصب على محل رؤوسكم ، وعطفه على وجوهكم مع جواز العطف على رؤوسكم فى غاية البعد ، غاية الأمر أنها فى هذا العطف محتملة مجملة كسائر أجزاء الآية محتاجة إلى البيان ، ولم يكن رأينا مبيناً للقرآن لاستلزامه الترجيح بلا مرجح ، بل المبين : من نص الله ورسوله عليه ، لا من نصبوه لبيانه ، فإن نصب شخص إنسانى لبيان القرآن وخلافة الرحمن ليس بأقل من نصب الأصنام لعبادة الآنام ، أو العجل المصنوع للعوام ، وتفصيل الوضوء وكيفيته قد وصل إلينا مفصلا مبيناً عن أئمتنا المعصومين من الله ورسوله ، وقد فصله الفقهاء رضوان الله عليهم ، فلا حاجة إلى التفصيل ههنا" (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ١٠٩ - ١١٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٢١).

● المذى والودى لا ينقض الوضوء[1] :

"عن أبى عبد الله قال : إن سال من ذكرك شئ من مذى أو ودى وأنت فى الصلاة فلا تغسله ولا تقطع الصلاة ولا تنقض له الوضوء وإن بلغ عقبيك ، فإنما ذلك بمنزلة النخامة ، وكل شئ يخرج منك بعد الوضوء فإنه من الحبائل أو من البواسير وليس بشئ فلا تغسله من ثوبك إلا أن تقذره" (جـ ٣ ، ص ٣٩) .



● النكاح :

"عن زرارة . عن أبى عبد الله فى تزويج أم كلثوم فقال : إن ذلك فرج غصبناه" (جـ ٥ ، ص ٣٤٦) .

● "عن أبى عبد الله قال : لما خطب إليه قال أمير المؤمنين : إنها صبية ، قال : فلقى العباس فقال : مالى ، أبى بأس ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : خطبت إلى ابن أخيك فردنى ، أما والله لأعورن زمزم[2] و لا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها ولأقيمن عليه شاهدين بأنه سرق ، ولأقطعن يمينه ، فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر اليه فجعله إليه" (جـ ٥ ، ص ٣٤٦) .

● "عن أبى عبد الله أنه قال : تزوج اليهودية والنصرانية أفضل ، أو قال : خير من تزوج الناصب والناصبية"[3] (جـ ٥ ، ص . ٣٥) .

---

(١) المذى ماء رقيق يخرج من القبل عند الملاعبة ونحوها ، والودى ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول غالباً .. وفى الفقه على المذاهب الأربعة يقول فى مبحث نواقض الوضوء : "ينقض الوضوء أشياء ، منها : الخارج من أحد السبيلين ، وهو إما أن يكون معتادا كالبول والمذى والودى وكذا الهادى وهو ماء أبيض يخرج من قبل المرأة قرب ولادتها ، والمنى الخارج بغير لذة ، والغائط والريح ، وإما أن يكون غير معتاد كالدوود والحصا والدم والقيح والصديد وهى تنقض الوضوء سواء أكانت خارجة من القبل أو الدبر" (البلتاجى) .

(٢) تعوير البئر : فطيمه.

(٣) الناصب على حسب بيان كتب الشيعة هو من يُقدِّم الأول والثانى - يعنى : أبا بكر وعمر رضى الله عنهما - على علىٍّ كرم الله وجهه ، أو يعتقد إمامتهما (البلتاجى) .

● " عن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عن نكاح الناصب فقال : لا والله ما يحل ، قال الفضيل : ثم سألته مرة أخرى فقلت : جعلت فداك ، ما تقول محمد فى نكاحهم ؟ قال : والمرأة عارفة؟ قلت : عارفة ، قال : إن العارفة لا توضع إلا عند عارف" (جـ ٥ ، ص ٣٥) .

● " عن أبى عبد الله : لا تكون المتعة[1] إلا بأمرين : أجل مسمى وأجر مسمى" (جـ ٥ ، ص ٤٥٥) .

---

(١) نكاح المتعة : هو نكاح مؤقت عمل به لظروف معينة ثم نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الشيعة يقولون بجوازه ، ولا يعترفون بنسخه كغيرهم من المسلمين ، فلهذا حاول الطبرسى أن يأخذ هذا المذهب بدليله من كتاب الله تعالى فعندما فسر قوله تعالى : **«والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ، كتاب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة»** .. الآية (النساء : ٢٤) ، يقول ما نصه : **«فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ...»** .. الآية ، قيل : المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة .. عن الحسن ومجاهد وابن زيد . فمعناه على هذا : فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن . وقيل : المراد نكاح المتعة ، وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم .. عن أبى عباس والسدى وابن سعيد وجماعة من التابعين ، وهو مذهب أصحابنا الإمامية ، وهو الواضح ، لأن أصل الاستمتاع والتمتع وإن كان فى الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد ، لا سيما إذا أضيف إلى النساء ، فعلى هذا يكون معناه : فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن ، ويدل على ذلك أن الله علّق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضى أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ ، لأن المهر لا يجب إلا به . هذا ، وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم أبىّ بن كعب ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله ابن مسعود : أنهم قرأوا : "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن" .. وفى ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة ، وقد أورد الثعلبى فى تفسيره عن حبيب بن أبى ثابت قال : أعطانى ابن عباس مصحفاً فقال : هذا على قراءة أبىّ ، فرأيت فى المصحف : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى.=

. . . .

=وبإسناده عن أبى نضرة قال : سألت ابن عباس عن المتعة فقال : أما تقرأ سورة النساء ؟ فقلت : بلى ، فقال : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ، قلت : لا أقرؤها هكذا . قال ابن عباس : والله هكذا أنزلها الله تعالى (ثلاث مرات) . وبإسناده عن سعيد بن جبير أنه قرأ : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى . وبإسناده عن شعبة بن الحكم بن عيينة قال : سألته عن هذه الآية : **«فما استمتعتم به منهن»** أمنسوخة هى ؟ قال : قال الحكم : قال على بن أبى طالب : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شفى [بالفاء : أى إلا قليل] . وبإسناده عن عمران بن الحصين قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله تعالى ولم تنزل آية بعدها تنسخها ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات ولم ينهنا عنها ، فقال بعد رجل برأيه ما شاء . ومما أورده مسلم بن الحجاج فى الصحيح قال : حدثنا الحسن الحلوانى ، قال حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه فى منزله ، فسأله القوم عن أشياء ، ثم ذكروا المتعة ، فقال : استمتعنا على عهد رسول الله وأبى بكر وعمر . ومما يدل أيضاً على أن لفظ الاستمتاع فى الآية لا يجوز أن يكون المراد به الانتفاع والجماع ، أنه لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم شئ من المهر من لا ينتفع من المرأة بشئ ، وقد علمنا أنه لو طلقها قبل الدخول لزم نصف المهر ، ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد ، لأنه قال : **«فآتوهن أجورهن»** : أى مهورهن ، ولا خلاف فى أن ذلك غير واجب ، وإنما يجب الأجر بكماله بنفس العقد فى نكاح المتعة .

ومما يمكن التعلق به فى هذه المسألة ، الرواية المشهورة من عمر بن الخطاب أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالا ، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما ، فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله وأضاف النهى عنها إلى نفسه بضرب من الرأى ، فلو كان النبى صلى الله عليه وسلم نسخها أو نهى عنها أو أباحها فى وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه دون نفسه ، وأيضاً فإنه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء فى النهى ، ولا خلاف فى أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة ، فوجب أن يكون حكم متعة النساء حكمها . وقوله : **«ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة»** .. من قال إن المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع ، قال : المراد به ولا حرج ولا إثم عليه : عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر ونقصانه .=

. . . .

=أو حط ، أو إبراء ، أو تأخير. وقال السدى : معناه : لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل المضروب فى عقد المتعة ، يزيدها الرجل فى الأجر وتزيده فى المدة ، وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم" (جـ ١ ، ص ٢٥٥) .

ونرى ملا محسن الكاشى عند تفسيره لقوله تعالى : **«فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن»** (النساء : ٢٤) .. يتأثر بما يراه من حل نكاح المتعة فيحمل الآية على هذا ويجعلها دليلا على صحة مذهبه وذلك حيث يقول ما نصه : **«فما استمتعتم به منهن فآتوهن»** مهورهن ، سمى أجراً لأنه فى مقابلة الاستمتاع **"فريضة"** مصدر مؤكد ، فى الكافى عن الصادق : إنما أنزلت "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة" ، والعياشى عن الباقر أنه كان يقرأها كذلك ، ورونه العامة أيضا عن جماعة من الصحابة **«ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة»** .. من زيادة فى المهر أو الأجل ، أو نقصان فيهما ، أو غير ذلك مما لا يخالف الشرع . فى الكافى مقطوعاً والعياشى عن الباقر : "لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما ، تقول : استحللتك بأجل آخر يرضى منها ، ولا تحل لغيرك حتى تنقضى عدتها ، وعدتها حيضتان **«إن الله كان عليما»** بالمصالح ، فيما شرع من الأحكام . فى الكافى عن الصادق : المتعة نزل بها القرآن ، وجرت بها السنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن الباقر : كان على يقول : لولا ما سبقنى به ابن الخطاب ما زنى إلا شفى [بالفاء - يعنى إلا قليل] ، أراد أنه لولا ما سبقنى به عمر من نهيه عن المتعة وتمكن نهيه من قلوب الناس ، لندبت الناس عليها ، ورغبتهم فيها ، فاستغنوا بها عن الزنا ، فما زنى منهم إلا قليل ، وكان نهيه عنها تارة بقوله : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا محرمهما ومعاقب عليهما : متعة الحج ، ومتعة النساء . وأخرى بقوله : ثلاث كن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا محرمهن ومعاقب عليهن : متعة الحج ومتعة النساء وحى على خير العمل فى الأذان .

وفيه : جاء عبد الله بن عمر الليثى إلى أبى جعفر فقال له : ما تقول فى متعة النساء ، فقال : أحلها الله فى كتابه وعلى لسان نبيه ، فهى حلال إلى يوم القيامة ، فقال : يا أبا جعفر .. مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها ؟ فقال : وإن كان فعل ، قال : فإنى أعيذك بالله من ذلك أن تحل شيئاً حرمه عمر .. فقال له : فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله صلى الله=

. . . .

=عليه وسلم ، فهلم ألاعنك أن القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الباطل ما قال صاحبك ، وقال : فأقبل عبد الله بن عمر فقال : أيسرك أن نساءك ، وبناتك ، وأخواتك ، وبنات عمك ، يفعلن ذلك ، فأعرض عنه أبو جعفر حين ذكر نساءه وبنات عمه . وفيه : سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق فقال : يا أبا جعفر .. ما تقول فى المتعة ؟ أتزعم أنها حلال ؟ قال : نعم . قال : فما يمنعك أن تأمر نساءك ليستمتعن ويكسبن عليك ؟ فقال أبو جعفر : ليست كل الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالا ، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم ، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة فى النبيذ أتزعم أنه حلال ؟ قال : نعم ، قال : فما يمنعك أن تقعد نساءك فى الحوانيت نباذات فيكسبن عليك ؟ فقال أبو حنيفة : واحدة بواحدة ، وسهمك أنفذ ، ثم قال : يا أبا جعفر ، إن الآية التى فى "سأل سائل" تنطق بتحريم المتعة [يريد قوله تعالى : **«والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين»** (المعارج : ٢٩ ، ٣٠.)] والرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم قد جاءت بنسخها ، فقال أبو جعفر : يا أبا حنيفة .. إن سورة "سأل سائل" مكية وآية المتعة مدنية ، وروايتك شاذة ردية ، فقال أبو حنيفة : وآية الميراث أيضاً تنطق بنسخ المتعة ، فقال أبو جعفر : قد ثبت النكاح بغير ميراث ، فقال أبو حنيفة : من أين قلت ذاك ؟ فقال أبو جعفر : لو أن رجلا من المسلمين تزوج بامرأة من أهل الكتاب ثم توفى عنها . ما تقول فيها ؟ قال : لا ترث منه ، فقال : قد ثبت النكاح بغير ميراث .. ثم افترقا .

وعن الصادق أنه سأل أبو حنيفة عن المتعة فقال : عن أى المتعتين تسأل ؟ فقال : سألتك عن متعة الحج فأنبئنى عن متعة النساء أحق هى ؟ فقال : سبحان الله .. أما تقرأ فى كتاب الله : **«فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة»** ؟.. فقال أبو حنيفة : والله لكأنها آية لم أقرأها قط .

وفى الفقه عنه : ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا . أقول : الكرة : الرجعة ، وهى إشارة إلى ما ثبت عندهم من رجوعهم إلى الدنيا مع جماعة من شيعتهم فى زمن القائم لينصروه ، وقد مضت الإشارة إليه فيما سلف ، ويأتى أخبار أخر فيها إن شاء الله" أهـ (جـ ١ ، ص ١٢٦ ، ١٢٧) .

ونجد السيد عبد الله العلوى الشهير بـ"شبر" يتأثر برأيه الذى يقول بجواز نكاح المتعة وعدم نسخه .. فنراه عند تفسيره لقوله تعالى : **«..وأحل لكم ما=**

. . . .

=وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن» .. الآية (النساء : ٢٤) ، يقول : ".. والمراد به نكاح المتعة بإجماع أهل البيت ، ويدل عليه قراءة أبيّ وابن عباس وابن مسعود "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى" .. «فآتوهن أجورهن» مهورهن .. «فريضة» من الله «ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» . من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة بزيادة فى الأجر والمدة" (ص ١٢٢) .

وعندما فسر سلطان محمد الخراسانى هذه الآية نجده يقول : "وفى لفظ الاستمتاع وذكر الأجور ، وذكر الأجل - على قراءة إلى أجل - دلالة واضحة على تحليل المتعة .. «ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به» من إعطاء الزيادة على الفريضة أو إسقاطهن شيئاً من الفريضة «من بعد الفريضة» .. وفيه إشعار بكون الأجر من أركان عقد التمتع كما عليه من قال به . وعن الباقر : لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما ، تقول : استحللتك بأجر آخر برضا منها ولا تحل لغيرك حتى تنقضى عدتها .. وعدتها حيضتان «إن الله كان عليما حكيما» .. فحلل المتعة عن علم ، ولغايات منوطة بالمصالح والحكم" (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ١٠٧ ، ١٦٧ - ١٦٩ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، ٢٢٠) .

ونقول : كان نكاح المتعة جائزاً فى أول الاسلام لمن اضطر اليه - كأكل الميتة - ثم حرم يوم خيبر ، ثم رخص فيه عام الفتح أو عام حجة الوداع ، ثم حرم إلى يوم القيامة ، لأن الغرض منه هو مجرد التمتع دون التوالد وغيره من أغراض النكاح .. فقد روى البخارى عن يحيى بن قزعة ، عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن على عن أبيهما عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل الحمر الإنسية" ..

وفى تفسيره لقول الله تعالى : «والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ، كتاب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، إن الله كان عليما حكيما» (النساء : ٢٤) يقول القرطبى - بعد أن تحدث عن أدلة الشيعة فى إباحة المتعة وناقش هذه الأدلة :

"اختلف العلماء كم مرة أبيحت المتعة ونسخت .. ففى صحيح مسلم عن=

. . . .

=عبد الله قال : "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء ، فقلنا : ألا نستخصى ؟ فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل " .

قال أبو حاتم البستي في صحيحه : قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا نستخصى ؟ دليل على أن المتعة كانت محظورة قبل أن أبيح لهم الاستمتاع ، ولو لم تكن محظورة لم يكن لسؤالهم عن هذا معنى ، ثم رخص لهم في الغزو أن ينكحوا المرأة بالثوب إلى أجل ، ثم نهى عنها عام خيبر ، ثم أذن فيها عام الفتح ، ثم حرمها بعد ثلاث ، فهي محرمة إلى يوم القيامة .

وقال ابن العربي : وأما متعة النساء فهي من غرائب الشريعة ، لأنها أبيحت في صدر الإسلام ثم حرمت يوم خيبر ، ثم أبيحت في غزوة أوطاس ، ثم حرمت بعد ذلك ، واستقر الأمر على التحريم ، وليس لها أخت في الشريعة إلا مسألة القبلة ، فإن النسخ طرأ عليها مرتين ثم استقر بعد ذلك .

وقال غيره ممن جمع طرق الأحاديث فيها : إنها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات .. فروى ابن أبي عمرة أنها كانت في صدر الإسلام . وروى سلمة بن الأكوع أنها كانت عام أوطاس . ومن رواية علي : تحريمها يوم خيبر ، ومن رواية الربيع ابن سبرة إباحتها يوم الفتح" .

يقول القرطبي : "وهذه الطرق كلها في صحيح مسلم ، وفي غيره عن علي نهيه عنها في غزوة تبوك ، رواه إسحاق بن راشد عن الزهري عن عبد الله بن محمد بن عليّ عن أبيه عن عليّ ، ولم يتابع إسحاق بن راشد على هذه الرواية عن بن شهاب ، قاله أبو عمر رحمه الله .

وفي مصنف أبي داوود من حديث الربيع من سبرة النهي عنها في حجة الوداع ، وذهب أبو داوود أن هذا أصح ما روى في ذلك .

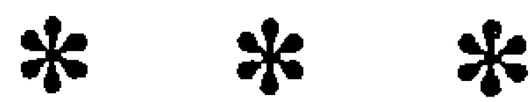
وقال عمرو عن الحسن : ما حلت المتعة قط إلا ثلاثاً في عمرة القضاء ، ما حلت قبلها ولا بعدها .. وروى هذا عن سبرة أيضاً ، فهذه سبع مواطن أحلت فيها المتعة وحرمت .

قال أبو جعفر الطحاوي : كل هؤلاء الذين رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم إطلاقها أخبروا أنها كانت في سفر ، وأن النهي لحقها في ذلك السفر بعد ذلك ، فمنع منها ، وليس أحد يخبر أنها كانت في حضر ... وكذلك روى عن ابن مسعود .

أما حديث سبرة الذي فيه إباحة النبي صلى الله عليه وسلم لها في حجة=

● "عن أبى عبد الله فى حديث الدعاء عند إتيان الرجل أهله : ".. إن الشيطان ليجئ حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها ويحدث كما يحدث وينكح كما ينكح .. قلت - أى أبو بصير راوى الحديث عن أبى عبد الله - بأى شئ يعرف ذلك ؟ قال : بحبنا وبغضنا ، فمن أحبنا كان نطفة العبد ، ومن أبغضنا كان نطفة الشيطان" (جـ ٥ ، ص ٥٠٢) .

● "عن أبى عبد الله قال : إن الله عز وجل نزع الشهوة من نساء بنى هاشم وجعلها فى رجالهم ، وكذلك فعل بشيعتهم ، وإن الله عز وجل نزع الشهوة من رجال بنى أمية وجعلها فى نسائهم وكذلك فعل بشيعتهم" (جـ ٥ ، ص ٥٦٤) .



● فضل الشيعة :

" وفى حديث لأبى عبد الله : ".. فوالله لقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على أمته ساخطاً إلا الشيعة . ألا وإن لكل شئ عزاً وعز الإسلام الشيعة ، ألا وإن لكل شئ دعامة ودعامة الإسلام الشيعة ، ألا وإن لكل شئ ذروة وذروة الإسلام الشيعة ، ألا وإن لكل شئ شرفاً وشرف

=الوداع ، فخارج عن معانيها كلها .. وقد اعتبرنا هذا الحرف فلم نجده إلا فى رواية عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز خاصة ، وقد رواه إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فذكر أن ذلك كان فى فتح مكة ، وأنهم شكوا إليه العُزْبة [بضم العين المهملة والزاى المعجمة : أى التجرد عن النساء ، ويحتمل أن تكون بعين معجمة وراء مهملة : أى الفراق عن الأوطان لما فيه من فراق الأهل] فرخص لهم فيها ، ومحال أن يشكوا اليه العُزْبة فى حجة الوداع ، لأنهم كانوا حجوا بالنساء ، وكان تزويج النساء بمكة يمكنهم ، ولم يكونوا حينئذ كما كانوا فى الغزوات المتقدمة .

ويحتمل أنه لما كانت عادة النبى صلى الله عليه وسلم تكرير مثل هذا فى مغازيه وفى المواضع الجامعة ، ذكر تحريمها فى حجة الوداع لاجتماع الناس حتى يسمعه من لم يكن سمعه ، فأكد ذلك حتى لا تبقى شبهة لأحد يدعى تحليلها ، ولأن أهل مكة كانوا يستعملونها كثيرا" (البلتاجي) .

الإسلام الشيعة ، ألا وإن لكل شئ سيداً وسيد المجالس الشيعة ، ألا وإن لكل شئ إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة ، والله لولا ما فى الأرض منكم ما رأيت بعين عشباً أبداً ، والله لولا ما فى الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات ، ما لهم فى الدنيا ولا لهم فى الآخرة من نصيب .. كل ناصب وإن تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية : **«عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية»**[1] ، فكل ناصب مجتهد فعمله هباء" (جـ ٨ ، ص ٢١٣) .

* * *

● **تفسير بعض الآيات :**

"عن أبى جعفر فى قوله عز وجل : **«قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلا ذكر للعالمين»**[2] ، قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ، **«ولتعلمن نبأه بعد حين»** ، قال : عند خروج القائم عليه السلام.

وفى قوله عز وجل : **«ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه»**[3] ، قال : اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة فى الكتاب ، وستختلفون فى الكتاب الذى مع القائم الذى يأتيهم به حتى ينكره ناس كثير فيقدمهم فيضرب أعناقهم.

وأما قوله عز وجل : **«ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم ، وإن الظالمين لهم عذاب أليم»**[4] ، قال : لولا ما تقدم فيهم من الله عز وجل ما أبقى القائم عليه السلام منهم أحداً ..

وفى قوله عز وجل : **«والذين يصدقون بيوم الدين»**[5] ، قال : بخروج القائم عليه السلام .

---

(١) الغاشية : ٣ ، ٤ .
(٢) سورة ص : ٨٦ - ٨٨ .
(٣) هود : ١١٠ .
(٤) الشورى : ٢١ .
(٥) المعارج : ٢٦ .

وقوله عز وجل : «**والله ربنا ما كنا مشركين**»[1] ، قال : يعنون بولاية عليّ عليه السلام.

وفى قوله عز وجل : «**وقل جاء الحق وزهق الباطل**»[2] ، قال : إذا قام القائم عليه السلام ، ذهبت دولة الباطل" (جـ ٨ ، ص ٢٨٧) .

* * *

---

(١) الأنعام : ٢٣ .

(٢) الإسراء : ٨١ .

٦- ترجمة مؤلف "مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار"(١)

"الفاضل العريف ، والباذل جهده فى سبيل التكليف ، أبو الحسن العاملى ، ثم الأصفهانى ابن المولى محمد طاهر بن عبد الحميد بن موسى ابن على بن معتوق بن عبد الحميد العاملى ، وقد كان من أعاظم فقهائنا المتأخرين ، وأفاخم نبلائنا المتبحرين ، سكن ديار العجم طوالا من السنين ، وهاجر إلى النجف .... وكان ميلاده ببلدة أصفهان(٢) لما أن والده المولى محمد طاهر كان قاطناً بها برهة من الزمان ، وناكحاً فيها والدته المرضية العلوية التى هى أخت سيدنا الأمير محمد صالح بن عبد الواسع الحسينى .. كما أن تعبيره عن نسب نفسه فى أواخر ما وجدناه من أرقامه المباركة : بأبى الحسين العاملى الأصفهانى الشريف دليل على ذلك أيضاً وعلى أن البلدة المزبورة هى ميلاده المنيف" .

---

(١) ملخصة من المقدمة التى كتبها محمود بن جعفر الموسوى الزرندى لمرآة الأنوار والتى ذيلها بتوقيعه وبأنه كتبها فى طهران بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣٧٥ هـ - ومرآة الأنوار طبع كالمقدمة لتفسير البرهان للبحرانى فى طهران فى سنة ١٣٧٤ هـ .

وكان المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبى قد عرض هذا الكتاب وناقشه فى الجزء الثانى من التفسير والمفسرون (ص ٤٢ - ٧٣) ، على أنه للمولى عبد اللطيف الكازرانى مولداً النجفى سكناً ، وأشار - رحمه الله - (فى هامش ص ٤٢) إلى أنه لم يقف على ترجمة للمؤلف أكثر من ذلك .. ثم تأتى هذه النقول الجديدة ، لتقرر أن هذا الكتاب لأبى الحسن العاملى الأصفهانى (المتوفى عام ١١٣٨ هـ) ، وأن ناشراً إيرانياً كان قد حصل على نسخة خطية منه فقام بنشرها فى طهران عام ١٢٩٥ هـ ، ناسباً إياه إلى المولى عبد اللطيف الكازرانى (البلتاجى) .

(٢) قال معلقه : لم نقف على شهر ولا سنة ولادته مع كثرة التتبع منا فى كتب الترجمات ، تراجع ترجمته فى روضات الجنات ، والزريعة جـ ١ ، ص ٤ - ١٤٩ .

ثم ذكر مشايخ إجازته وهم :

١- العلامة الثقة الثبت : ملا محمد بن باقر بن محمد تقى المجلس ، وتاريخ إجازته له : ثالث ربيع الأول سنة ١١٠٧هـ.

٢- الشيخ محمد حسين بن الحسن بن إبراهيم بن على بن عبد العالى الميسى ، وتاريخ إجازته له : شهر صفر سنة ١١٠٠ هـ .

٣- الأمير محمد صالح بن عبد الواسع بن محمد صالح الحسينى المتوفى سنة ١١١٦هـ ، وتاريخ إجازته له : سنة ١١٠٧ هـ .

٤- الشيخ عبد الواحد بن محمد بن أحمد البورانى[1] ، وتاريخ إجازته له ١٥ شوال سنة ١١٠٣هـ .

٥- الشيخ قاسم بن محمد الكاظمى نزيل النجف المتوفى سنة ١١٠٠ هـ .

٦- الحاج محمود بن على الميبدى (الميمندى) المشهدى ، وتاريخ إجازته له : المحرم سنة ١١٠٧ هـ .

٧- محمد بن المرتضى المدعو بملا محسن الكاشى صاحب الوافى والصافى والشافى.

٨- السيد البارع المحدث نعمت الله بن عبد الله الموسوى التسترى الجزائرى .

٩- المولى المحقق صاحب التصانيف آقا حسين الخوانسارى .

... قال : "إلا أن غالب رواياته الموجودة فى الإجازات المنتمية إلينا مقصورة على شيخه الأفعم الأقدم محمد باقر بن محمد تقى المجلس رضوان الله عليه .

---

(١) قال معلقه : وفى الروضات : الشيخ عبد الحميد بن محمد التوانى ، وهو غلط .

ثم ذكر تلاميذه وهم :

١- الشيخ أحمد بن إسماعيل بن الشيخ عبد النبى بن سعيد الجزائرى النجفى المتوفى بعد سنة ١١٤٩ هـ ، بقليل ، وهو صاحب آيات الأحكام .

٢- السيد السعيد نصر الله بن الحسين بن على الحسينى الفائزى الحايرى الشهيد فى حدود سنة ١١٦٨ هـ .

٣- الشيخ محمد مهدى بن بهاء الدين محمد الملقب بالصالح الأفتونى العاملى الغروى ابن عم المولى أبى الحسن صاحب الترجمة .

... ثم نقل صاحب المقدمة "محمود بن جعفر الموسوي" عن العلامة النورى فى الفيض القدسى نبذة عن أبى الحسن العاملى (المترجم له) ما ملخصه :

" العالم العامل الفاضل الكامل المدقق العلامة أفقه المحدثين ، وأكمل الربانيين الشريف العدل المولى أبو الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد ابن موسى بن على بن معتوق بن عبد الحميد الفتونى النباطى العاملى الأصفهانى الغروى .. وهذا الشيخ جليل القدر عظيم الشأن ، أفضل أهل عصره فيما أعلم ، وهو مؤلف مرآة الأنوار إلى أواسط سورة البقرة يقرب مقدماته من عشرين ألف بيت لا يوجد مثله ، وكتاب ضياء العالمين فى الإمامة يزيد عن ستين ألف بيت أجمع وأجل ما كتب فى هذا الفن ، وغيرهما مما جمع بعضه فى اللؤلؤة .. توفى فى أواخر عشر الأربعين بعد المائة والألف (١١٣٨هـ) وكان له ولد عالم فاضل محقق متتبع فى غاية الذكاء وحسن الإدراك ، متوسع فى العقليات والشرعيات اسمه المولى أبو طالب ، كما صرح به السيد عبد الله سبط الجزائرى فى إجازته"أ هـ .

... ثم ذكر مؤلفاته فقال ما ملخصه :

"وله من المصنفات المشهورة التى عثرنا عليها : كتاب لطيف طريف

جعله في خصوص الأصوليين .. وسماه : الفوائد الغروية لكونه من بركات زمن مجاورته بأرض الغريين .. وعندنا الجزء المتأخر الذى هو فى أصول الفقه منه بخط مؤلفه المبرور.

وله أيضاً رسالة غراء مبسوطة فى مسألة الرضاع . وكتاب كبير فى التفسير على النحو الذى ورد فى متون الأخبار سماه مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، لم يخرج منه سوى مجلدين : المجلد الأول يحوى مقدمات التفسير وعموم العلوم المتعلقة بالقرآن المجيد ، وجاء فى المجلد الثانى تفسير سورة الفاتحة وما يقارب النصف من تفسير سورة البقرة " .

ثم قال : قال شيخنا البحر المتلاطم الزخار الحاج ميرزا حسن النورى الطبرسى فى خاتمة كتابه المستدرك فى الفائدة الثالثة من ص ٣٨٥ فى الحاشية : ومن الحوادث الطريفة والسرقات اللطيفة أن مجلد مقدمات تفسير هذا المولى الجليل المسمى بمرآة الأنوار موجود الآن بخط مؤلفه فى خزانة كتب حفيده شيخ الفقهاء صاحب جواهر الكلام طاب ثراه واستنسخناه بتعب ومشقة ، وكانت النسخة معى فى بعض أسفارى إلى طهران فأخذها منى بعض أركان الدولة وكان عازماً على طبع تفسير البرهان للعالم السيد هاشم البحرانى ، وقال لى : إن تفسيره خال عن البيان فيناسب أن نلحق به هذه النسخة ليتم المقصود بها فاستنسخها ورجعت إلى العراق ، وتوفى هذا البانى قبل إتمام الطبع فاشترى ما طبع من التفسير ونسخة المرآة من ورثته بعض أرباب الطبع فأكمل الناقص وطبع المرآة فى مجلد ، ولما عثرت عليه فى المشهد الغروى رأيت، مكتوباً على ظهر الورقة الأولى منه : كتاب مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، وهو مصباح لأنظار الأبرار ، ومقدمة للتفسير الذى صنفه الشيخ الأجل والنحرير الأنبل العالم العلامة والفاضل الفهامة الشيخ عبد اللطيف الكازرانى مولداً والنجفى سكناً .. الخ ، فتحيرت وتعجبت من هذه السرقة فكتبت إلى بانى الطبع ما معناه : إن هذا التفسير للمولى الجليل أبى الحسن الشريف ، وأما عبد اللطيف فلم أسمع بذكره ولم نره فى

كتاب، ولعل الكاتب السارق المطفئ لنور الله اشتبه عليه ما فى صدر الكتاب بعد الخطبة من قوله : يقول العبد الضعيف الراجى لطف ربه اللطيف خادم كلام الله الشريف .. الخ ، فظن أنه أشار إلى اسمه فى ضمن هذه العبارة ولكن النسبة إلى كازران لا أدرى ما منشؤها ، فوعدنى فى الجواب أن يتدارك ويغير ويبدل الصفحة الأولى ويكتب على ظهرها اسم مؤلفه وشرح حاله الذى كتبته سالفاً على ظهر نسختى من التفسير ، وإلى الآن ما وفى بعهده وأعد نفسه لمؤاخذة المولى الشريف فى غده ، فليبلغ الناظر الغايب أن هذا التفسير المطبوع فى سنة ١٢٩٥هـ فى طهران المكتوب فى ظهره ما تقدم للمولى أبى الحسن الشريف الذى يعبر عنه فى الجواهر بجدى العلامة لا لعبد اللطيف الكازرانى الذى لم يتولد بعد .. إلى الله المشتكى وهو المستعان" أ هـ .

... ثم ذكر له ترجمة أخرى تتضمن ما سبق وفيها من مؤلفاته شرح على المفاتيح سماه : شريعة الشيعة ودلائل الشريعة .

" قال صاحب روضات الجنات : ويظهر من تضاعيف كتاب الأمل أن بيت بنى موسى بن على النباطيين العامليين بيت كبير من أهل الفقه والأدب والحديث ، وأكثرهم كانوا متوطنين إما بمحروسة أصفهان أو مجاورين بالنجف الأشرف" أ هـ .

وفى خطبة الكتاب للمؤلف ما نصه :

"أما بعد.. فيقول العبد الضعيف الراجى لطف ربه اللطيف خادم كلام الله أبو الحسن الشريف" (جـ ١ ، ص ٣) .

وقال الناشر فى آخر المقدمة ما نصه :

"والحمد لله على أن وفقنا لتجديد طبع هذا الكتاب الذى لم يأت بمثله ذوى العلوم من تأويلات آيات كتاب الله المبين والفرقان العظيم وحل مشكلاته مستدلا فيما جاء به من التأويل بالأحاديث المأثورة عن النبى والأئمة عليهم السلام . جزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين خير

الجزاء ، وقد صحح بمعرفتى وطبع فى مطبعة الأقتاب بطهران فى يوم الاثنين عاشر شعبان المعظم من شهور سنة ١٣٧٤هـ ، وعنى بطبعه ونشره الصالح الوفى خادم علوم الأئمة الطاهرين الحاج أبو القاسم بن محمد تقى المشتهر بالسالك ، سلك الله به طريقاً إلى جناته ورضوانه آمين ، وأنا الأحقر محمود بن جعفر الموسوى الزرندى"(١) أ هـ .

---

(١) إتماماً للفائدة واستكمالا للبحث رأينا أن نورد ما كتبه فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى فى هذا الموضوع .. وقد استبدلنا كلمة "المؤلف" بكلمة "المولى" ، حيث أثبتت هذه النقول الجديدة أن الكتاب لأبى الحسن العاملى ، وليس للمولى عبد اللطيف الكازرانى ..

يقول المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبى : هذا التفسير يعد فى الحقيقة مرجعاً مهماً من مراجع التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية ، وأصلا لا بد من قراءته لمن يريد أن يقف على مدى تأثير عقيدة صاحبه ومن على شاكلته فى فهمه لكتاب الله ، وتنزيله لنصوصه على وفق ميوله المذهبية وهواه الشيعى .. ولكن كيف نحكم بأهمية هذا التفسير كمرجع من مراجع التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية ، ونحن لم نعثر عليه فى مكتبة من مكاتبنا المصرية ؟ أليس هذا يعد من قبيل الحكم على ما نجهله ، والقول فيما ليس لنا به علم ؟؟ ... لا ، فالكتاب وإن لم نظفر به ولم نطلع عليه ، قد وجدنا ما هو عوض عنه إلى حد كبير ، ذلك هو مقدمته التى قدم بها مؤلفه لتفسيره هذا .

وجدت هذه المقدمة فى دار الكتب المصرية ، فقرأتها ، فرأيتها تكشف لنا عن منهج صاحبها فى تفسيره ، وتوضح لنا كثيراً من آرائه فى فهم كتاب الله وتبين فى صراحة تامة كيف تأثر المؤلف بعقيدته الزائفة ، فحمَّل كتاب الله ما لا يحتمله بأى حال من الأحوال . وها أنذا ألخص لك أهم المباحث التى تشتمل عليها هذه المقدمة . وبذلك نلقى ضوءاً على هذا التفسير المفقود ونعطى القارئ فكرة واضحة إلى حد كبير عن طريقة المؤلف ومنهجه فى تفسيره.

ويجد القارئ أول ما يقرأ فى هذه المقدمة ، بياناً مسهباً من المؤلف ، يكشف لنا فيه عن الباعث الذى حمله على تأليفه لهذا التفسير ، وعن المنهج الذى نهجه لنفسه فيه وسار عليه ، كما يكشف لنا فى أثناء بيانه هذا ، عن نظرته لكتاب الله وموقفه من تفسيره ، تلك النظرة التى لا نشك أنها نظرة رجل ينظر إلى القرآن من خلال عقيدته ، وذلك الموقف الذى لا نرتاب فى أنه موقف من أغراه مذهبه وخدعه هواه .

يقول المؤلف فى المقدمة ما نصه : "... إن من أبين الأشياء وأظهرها ،=

. . . .

=وأوضح الأمور وأشهرها ، أن لكل آية من كلام الله المجيد.. وكل فقرة من كتاب الله الحميد ، ظهراً وبطناً ، وتفسيراً وتأويلا ، بل لكل واحدة منها - كما يظهر من الأخبار المستفيضة - سبعة بطون وسبعون بطناً ، وقد دلت أحاديث متكاثرة ، كادت أن تكون متواترة ، على أن بطونها وتأويلها ، بل كثيراً من تنزيلها وتفسيرها ، فى فضل شأن السادة الأطهار ، وإظهار جلالة حال القادة الأخيار ، أعنى النبى المختار . وآله الأئمة الأبرار ، عليهم صلوات الله الملك الغفار - بل الحق المتين ، والصدق المبين ، كما لا يخفى على البصير الخبير بأسرار كلام العليم القدير ، المرتوى من عيون علوم أمناء الحكيم الكبير - أن أكثر آيات الفضل والإنعام ، والمدح والإكرام ، بل كلها فيهم وفى أوليائهم نزلت ، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع ، والتهديد والتفضيح ، بل جملتها فى مخالفيهم وأعدائهم وردت . بل التحقيق الحقيق - كما سيظهر عن قريب - أن تمام القرآن إنما أنزل للإرشاد اليهم ، والإعلام بهم ، وبيان العلوم والأحكام لهم ، والأمر بإطاعتهم وترك مخالفتهم ، وأن الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن فى دعوة الإمامة والولاية ، كما جعل جل ظهره فى دعوة التوحيد والنبوة والرسالة" (ص ٢ - ٣) .

وهذه الدعاوى من المؤلف لا نكاد نسلمها له ، إذ أنها لا تقوم على دليل صحيح ، وما ادعاه من دلالة الأخبار المستفيضة والأحاديث المتكاثرة على ما ذهب إليه ، أمر لا يلتفت إليه ولا يعول عليه . لأن ما يعنيه من الأخبار والأحاديث لا يعدو أن يكون موضوعاً لا أصل له . ومن هذا يتضح لنا أن هذا الشيعى مبالغ فى تشيعه إلى حد جعله يحمّل كتاب الله تعالى ما لا يحتمله ، ويجعله موزعاً بين دعوة الحق ودعوة الباطل ، تلك بظاهر القرآن وهذه بباطنه !!

ثم ذكر المؤلف بعد ذلك ما كان من تسامح مفسرى الشيعة الذين سبقوه ، وسكوتهم عن ذكر ما ثبت عن الأئمة فى تفاسيرهم ، وبين عذرهم فى ذلك .

ثم ذكر أنه كان يجيش بصدره ، ويدور بخاطره وخلده ، أن يجمع ما تفرق من الأخبار المأثورة عن آل البيت ويشرح مضامينها ، ثم يلحق نصوص كل آية بسورتها ، وذلك كله فى كتاب مستقل ، ولكن حال بينه وبين ما تطمح إليه نفسه - حقبة من الزمان - تفرق باله ، وتشتت حاله ، وكثرة أشغاله ، ثم ظفر بعد ذلك بجملة من الآثار التى كان حريصاً على جمعها ، فرأى أن الذى تطمح إليه نفسه لا يصح التغافل والتسامح فيه ، فاستخار الله واستعان بحوله وقوته على تحقيق مرامه ، فشرع فى جمع الروايات وتحريرها ، وتفسير الآيات وتقريرها . =

. . . .

=ثم بين لنا هدفه الذى يرمى إليه من وراء هذا التفسير ، وهو أنه أراد أن يفسر آيات القرآن ويقرر معانيها على وجه منيف ، وبيان لطيف ، وطور رشيق ، وطراز أنيق ، بطريق الإيجاز والاختصار ، مع ذكر لب المقصود من الآيات والأخبار ، بحيث يوضح غوامض أسرارها ، ويكشف عن خبايا أستارها ، ويتبين طريق الوصول إلى ذخائر كنوزها ، ويرفع النقاب عن وجوه رموزها ، من غير تطويل ممل ، ولا اختصار زائد مخل .

ثم بين لنا منهجه الذى سلكه فى تأليفه لهذا التفسير ، وهو يتلخص فيما يأتى :

١- يختصر الأخبار فلا يذكرها بتمامها ، بل يقتصر على موضع الحاجة . ويحذف الأسانيد رغبة منه فى الاختصار .

٢- أنه لا يتعرض لبيان جميع ما يتعلق بظاهر الآيات إلا إذا وجد أن التصريح بالمعنى الظاهر أمر لازم محتوم ، وقد جعل مدار هذا التفسير على بيان ما يتعلق بالبطون لخلو أكثر التفاسير منها أو من جلها .

٣- أنه إذا لم يعثر على نص يفسر به الآية اجتهد فى تفسيرها على وفق الأخبار العامة المطلقة التى يمكن استخلاص معنى الآية منها .

٤- أنه يحرص كل الحرص على ذكر ما يعرفه من قراءة أهل البيت عند كل آية من القرآن .

ثم ذكر أنه وُفقَ لما وُفق إليه من كتابة التفسير "ببركات أول من آمن بالله بعين الإيقان ، وثانى أول ما خلق الله قبل الكون والمكان ، قاسم درجات الجنان ودركات النيران ... إمام المشارق والمغارب. أمير المؤمنين أبى الحسنين على بن أبى طالب" .

ثم قال : "وكنت لا أرجو من الإقدام على هذا الأمر إلا أن يدخلنى فى شيعته الخاصين. وأوليائه الخالصين . وأن تدركنى شفاعته المقبولة ، وحمايته المأمولة وجعلته خدمة لسدته السنية ، وثوابه هدية إلى حضرته العلية ، وسميته "مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار" أ هـ .

وبالجملة ، فهذا تفسير أشبه ما يكون بالتفسير المأثور ، لالتزام صاحبه فيه بيان المعنى بما ورد من الأخبار عن علماء أهل البيت إما صريحاً أو استخلاصاً من عموم الأخبار ، غاية الأمر أن هذه الأخبار أخبار لا يوثق بصحتها ، ولا يعول على صدق نسبتها إلى من تنسب إليه من علماء آل البيت رضى الله عنهم .

بعد هذا البيان قال المؤلف : "ولنذكر قبل الشروع فى المقصود ثلاث مقدمات=

. . . .

=نافعة لا بد من بيانها ههنا" ونستعرض هذه المقدمات الثلاث فنراه قد جعل المقدمة الأولى فى بيان ما يوضح حقيقة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بدعوة الولاية والإمامة ، كما أن ورود ظهره فيما يتعلق بدعوة التوحيد والنبوة والرسالة ، وأن الأصل فى تنزيل آيات القرآن بتأويلها ، إنما هو الإرشاد إلى ولاية النبى والأئمة صلوات الله عليهم وإعلام عز شأنهم وذل حال شانئهم ، بحيث لا خير أخبر به إلا وهو فيهم وفى أتباعهم وعارفيهم ، ولا سوء ذكر فيه إلا وهو صادق على أعدائهم وفى مخالفيهم . قال : "ويستبين ذلك فى ثلاث مقالات" :

المقالة الأولى: فى بيان ما يوضح المقصود بحسب الأخبار الواردة فى خصوص هذه المقدمة ، وهى تتم بفصول ، ثم ذكر ثلاثة فصول .

جعل الفصل الأول منها فى بيان نبذ مما يدل على أن للقرآن بطوناً ولآياته تأويلات . وأن مفاد فقرات القرآن غير مقصور على أهل زمان واحد ، بل لكل منها تأويل يجرى فى كل أوان وعلى أهل كل زمان .. ثم ساق الروايات الدالة على ذلك وكلها مسندة إلى آل البيت ، فمن هذه الروايات ما رواه العياشى وغيره عن جابر قال : "سألت أبا جعفر عليه السلام عن شئ من تفسير القرآن فأجابنى ، ثم سألته ثانية فأجابنى بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك ، كيف أجبت فى هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ؟ فقال لى : يا جابر ، إن للقرآن بطناً ، وللبطن بطناً وظهراً . يا جابر ، وليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن .. إن الآية ليكون أولها فى شئ وآخرها فى شئ وهو كلام متصل يتصرف على وجوه " .

ثم عقب المؤلف على هذا الخبر فقال : "دلالة مبدأ هذا الخبر على وجود تأويل له باطن وظاهر ، وعلى تعدد تأويل آية واحدة ، وعلى عدم تنافى تأويل أول آية فى شئ وآخرها فى آخر ، بل عدم تنافى التفسير بالظاهر فى أولها والباطن فى آخرها أو بالعكس ظاهرة ، فإذا سمعت شيئاً من ذلك فلا تنكره ، لأنهم عليهم السلام أعلم بالتنزيل والتأويل ، وبما فيه إصلاح السائل والسامع ، ولهذا ورد : "إن القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه" ، ويؤيده ما فى الكافى عن الصادق عليه السلام أنه قال لعمر بن يزيد لما سأله عن قوله تعالى : **« والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل»** (الرعد : ٢١) : هذه نزلت فى رحم آل محمد صلى الله عليه وسلم وقد يكون فى قرابتك ، فلا تكونن ممن يقول للشئ إنه فى شئ واحد ".

ومن هذه الروايات ما نقله عن كتاب العلل بإسناده إلى أبى حكيم الزاهد=

. . . .

=قال : حدثنى أبو عبد الله بمكة قال : "بينما أمير المؤمنين عليه السلام مار بفناء الكعبة إذ نظر إلى رجل يصلى فاستحسن صلاته ، فقال : "يا هذا الرجل ، إن الله تبارك وتعالى ما بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر من الأمور إلا وله متشابه وتأويل وتنزيل ، وكل ذلك على التعبد ، فمن لم يعرف تأويل صلاته فصلاته كلها خداع ناقصة غير تامة" ثم عقب المؤلف على هذا فقال : "الظاهر أن المراد بالمتشابه الشبيه ، وبالتأويل الباطن ، وبالتنزيل الظاهر ، وبالتعبد سبيل الإطاعة ، والمعنى : أن كل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وأمر به فى الظاهر فله شبيه ونظير مأمور به فى الباطن ، ويلزم الإيمان بهما جميعاً ، فمن لم يعرف شبيه الصلاة وباطنها الذى هو الإمام وإطاعته - كما سيأتى - فصلاته الظاهرية ناقصة" . أ هـ (ص ٣ - ٤) .

وعند الفصل الثانى فى ذكر الأخبار الصريحة فى أن بطن القرآن وتأويله ، إنما - هو بالنسبة إلى الأئمة - وولايتهم وأتباعهم وما يتعلق بذلك ، فكان من جملة الأخبار التى ساقها : ما رواه الكلينى بإسناده إلى أبى بصير فقال : " قال الصادق عليه السلام : يا أبا محمد ، ما من آية تقود إلى الجنة ويذكر أهلها بخير إلا وهى فينا وفى شيعتنا ، وما من آية نزلت يذكر أهلها بشر وتسوق إلى النار إلا وهى فى عدونا ومن خالفنا" .

وما نقله عن الكافى وتفسير العياشى وغيرهما ، عن محمد بن ميمون ، عن الكاظم عليه السلام فى قوله تعالى : **«قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن»** (الأعراف : ٣٣) .. قال : القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرم الله فى الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل الله فى الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق .

وما رواه عن الباقر عليه السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الغدير : "معاشر الناس .. هذا علىّ أحقكم بى . وأقربكم إلىّ والله وأنا عنه راضيان ، وما نزلت آية رضا إلا فيه ، وما خاطب الذين آمنوا إلا بدأ به ، وما نزلت آية مدح فى القرآن إلا فيه . معاشر الناس .. إن فضائل علىّ عند الله عز وجل ، وقد أنزلها علىّ فى القرآن أكثر من أن أحصيها فى مكان واحد ، فمن نبأكم بها وعرفها فصدقوه ".

وما رواه عن عبد الله بن سنان أنه قال : قال ذريح المحاربى ، سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى **«ثم ليقضوا تفثهم»** (الحج : ٢٩) .. فقال : المراد لقاء الإمام ، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام وقلت له : جعلت=

. . . .

=فداك ، قوله عز وجل : «ثم ليقضوا تفثهم» .. قال : أخذ الشارب ، وقص الأظافر ، وما أشبه ذلك ، فحكيت له كلام ذريح فقال : صدق ذريح وصدقت ، إن للقرآن ظاهراً وباطناً ومن يحتمل ما يحتمل ذريح ؟ ثم عقب المؤلف على هذا فقال : "الكلام من الإمام عليه السلام صريح فى أنهم عليهم السلام كانوا يكتمون أمثال هذه التأويلات عن أكثر الناس، حتى عن ابن سنان الذى كان من فضلاء أصحابه" (ص ٥) .

وعقد الفصل الثالث فى بيان نبذ مما يدل على وجوه تناسب الظواهر مع البطون ، وجهات تشابه أهل التأويل مع أهل التنزيل فقال : "اعلم أن ما دلت عليه الأخبار الماضية ، وما تدل عليه الأخبار التى ستأتى من المعانى الباطنة والتأويلات . ليست جملتها مما استعمل فيها اللفظ على سبيل الحقيقة ، بل أكثرها ومعظمها على طريق التجوّز ، ونهج الاستعارة ، وسبيل الكناية ومن قبيل المجازات اللغوية والعقلية ، إذ أبواب التجوّز فى كلام العرب واسعة وموارده فى عبارات الفصحاء سائغة ، فلا استبعاد إن أراد الله عز وجل بحسب الاستعمال الذى يدل عليه ظاهر اللفظ معنى ، وبحسب التجوّز الذى تدل عليه القرائن ويجتمع مع الظاهر بنوع من التناسب معنى آخر وسنشير إلى كثير من وجوه التناسب فى المقدمة الثالثة وغيرها ، ولكن نذكر فى هذا المقام من كليات تلك الوجوه بعض ما يستفاد من أخبار الأئمة الأطياب ، ونرفع عن وجوه الآيات لطالب تأويلها الحجاب ، ونكشف عنها النقاب ، تبصرة لمن أراد التبصر من أولى الألباب . وأما إحاطة العلم بالجميع ، فهى للراسخين فى العلم ومن عنده علم الكتاب ... كما سيظهر فى الفصل الأخير .

فاعلم أنه يمكن تبيين المرام فى هذا المقام من وجوه وإن أمكن إرجاع بعضها إلى بعض ، ثم ساق وجوهاً خمسة يرجع بعضها إلى بعض كما قال ، فكان مما ذكره فى الوجه الرابع ما جاء فى البصائر عن نصر بن قابوس قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : **«وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة»** (الواقعة : ٣٠ - ٣٣) .. قال : يا نصر ، إنه ليس حيث يذهب الناس ، إنما هو العالم وما يخرج منه .

ثم قال المؤلف : "قال شيخنا العلامة - رحمه الله - "لعل المعنى ليس حيث يذهب الناس من انحصار جنة المؤمنين فى الجنة الصورية الأخروية ، بل لهم فى الدنيا أيضاً ببركة أئمتهم عليهم السلام جنات روحانية من ظل حمايتهم ولطفهم=

. . . .

=الممدود في الدنيا والآخرة . وماء مسكوب من علومهم الممتعة التي بها تحيا النفوس والأرواح ، وفواكه كثيرة من أنواع معارفهم التي لا تنقطع عن شيعتهم ولا يمنعون منها ، وفرش مرفوعة مما يتلذذون به من حكمهم وآدابهم بل لا يتلذذ المقربون في الآخرة أيضاً في الجنان الصورية إلا بتلك الملاذ المعنوية التي كانوا يتنعمون بها في الدنيا كما تشهد به الأخبار - انتهى كلامه أعلى الله مقامه ، فتأمل ولا تغفل عن جريان مثله في ساير نعم الجنة ، مثل أنهار الخمر وأمثالها ، كما يشهد له ما سيأتي في الأنهار واللبن من تأويل اللبن والخمر بعلوم الأئمة عليهم السلام . وسيأتي في الجنة والنار وما بمعناهما من تأويل الأولى بولاية الأئمة ، والثانية بعداوتهم ، وأمثال هذه التأويلات كثيرة ينادي بها كثير من الأخبار في الترجمات الجانية المناسبة لها فافهم . وكذا كل ما ورد ظاهره في العذاب ، والمسخ والهلاك ، والموت البدني ، ونحو ذلك ، فباطنه في الهلاك المعنوي بضلالاتهم وحرمانهم عن العلم والكمالات ، وموت قلوبهم ومسخها وعميها عن إدراك الحق ، فهم إن كانوا في صور البشر لكنهم كالأنعام بل هم أضل ، وإن كانوا ظاهراً بين الأحياء ، فهم أموات ، ولكن لا يشعرون ، إذ لا يسمعون الحق ، ولا يبصرونه ، ولا يعقلونه ، ولا ينطقون به ، ولا يأتي منهم أمر ينفعهم في أخراهم ، فهم شر من الأموات وكذا كل ما كان في القرآن مما ظاهره في النهي عن القبائح الصورية ، وتحريم الخبائث الظاهرية ، كالزنا ، والسرقة ، والإيذاء ، ونحوها مما هو علامة رذالة حال فاعله ، ودليل خباثة طبع مرتكبه ، كالخمر والميتة ، والدم ، ونحوها مما تستقذر منه الطبائع السليمة ، وتنفر منه القرائح المستقيمة ، فبطنه في النهي عن القبائح الباطنة التي هي معاداة الأئمة عليهم السلام ، والزجر عن الخبائث المعنوية التي هي أعاديهم ومنكرو ولايتهم ، والفضائل التي هي فيهم ، فإنها أيضاً - في استقذار الأرواح ، وتخبث القلوب ، واستنفار العقول .. ونحو ذلك مثل الخبائث الظاهرة والقبائح الصورية . بل أشد كما لا يخفى ، وهكذا حال بطون ما ظاهره في الترغيب بالمبرات والأمر بالخيرات بالنسبة إلى الأئمة وولايتهم ومعرفتهم ، وبالجملة المدار على تشبيه الأمور المعنوية بالصورية ، كالحياة والموت والانتفاعات والتصورات الروحانية بالجسمية .. وهكذا في البواقي . على أن في هذا الأخير تناسباً آخر أيضاً ، وهو أنه لا خفاء في كون النبي والأئمة صلوات الله عليهم وسائط معرفة العبادات والمأمورات ، وأنهم الأصل في قبولها فلا بُعد إن أريدوا بها في بطن القرآن . وكذا لا بُعد في كون أعدائهم من حيث مضادتهم لهم من المراد بالخبائث والمنهيات" .(ص ٨) . =

. . . .

= وفى الوجه الخامس من العلل ، علل ما ورد من تأويل معرفة الله ، وعبادته ومخالفته ، وأسفه ، وظلمه ، ورضاه ، وسخطه ، وأمثالها بمعرفة الإمام ، وإطاعته ومخالفته ، وأسفه وظلمه ورضاه ، وسخطه ، وكذا تأويل الإمام : يد الله ، وعينه ، وجنبه ، وقلبه وسائر ما هو من هذا القبيل مما نسبه الله إلى نفسه وخصه به ، بالإمام عليه السلام ، وما ورد من الأخبار فى تأويل روح الله ونفسه ، ولفظ الجلالة والإله والرب ، الإمام عليه السلام ... علل هذه التأويلات وما شاكلها بأن الذى جرى من عادة الأعاظم والملوك والأكابر أن ينسبوا ما وقع من خدمهم بأمرهم إلى أنفسهم تجوزاً ، وكذا قد ينسبون مجازاً ما يصيب خدمهم ومقربيهم من الإطاعة والخير والشر إلى أنفسهم ، إظهاراً لجلالة حال أولئك الخدم عندهم ، وإشعاراً بأنهم فى لزوم المراعاة والإطاعة ودفع الضر عنهم وجلب النفع إليهم بمنزلة مخاديمهم وفى حكمهم ، بحيث أن كل ما يصل إليهم فهو كالواصل إلى المخاديم .

قال الصادق عليه السلام - كما سيأتى عن الكافى وغيره : إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ، ولكن خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه ، وسخطهم سخط نفسه ، لأنهم جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه .. الخبر ... فى رواية أخرى : ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته ، ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيه ... الخبر .

قال المؤلف : "وسيأتى بقية الأخبار مفصلة . وهكذا كثيراً ما يطلق تجوزاً على مقربى الرجل وأعوانه أسامى جوارحه وأعضائه وسائر ما يختص به فى النفع كما يقال للوزير الكامل المقرب عند السلطان النافع له جداً : إنه يده وسيفه وعينه ... وهكذا بناء على أنه فى الدفع والنفع والقرب والعزة مثل ذلك ، حتى أنه قد يقال : إنه روحه ونفسه ، بل ربما يقال إنه السلطان تجوزاً ، بمعنى أنه جعل إطاعته إطاعته ، ومخالفته مخالفته ، بحيث لا يرضى بغير ذلك" (ص ٩) .

ثم عقد الفصل الرابع : فى بيان مايدل على أن الواجب على الإنسان أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه ، وتنزيله وتأويله معاً ، كما أن الواجب الإيمان بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ، وبسائر ما يتعلق بذلك جميعاً مفصلا أو على سبيل الإجمال إن لم يعلم التفصيل من طريق أهل البيت الذين هم أدرى بما فى البيت . وإن من أنكر الظاهر كافر وإن أقر بالباطن ، كما هو مذهب الباطنية من ملاحدة الخطابية والإسماعيلية وغيرهم القائلين بسقوط العبادات كما سيظهر ، وكذا بالعكس : أى إنكار الباطن وإن أقر بالظاهر ، على كل مؤمن أن=

. . . .

=لا يجترئ بإنكار ما نقل عن الأئمة عليهم السلام فى ذلك تفسيراً وتأويلا وإن لم يفهم معناه ولم يدرك مغزاه .. ثم ساق من الروايات ما يدل على ذلك ، وكلها منسوبة إلى أهل البيت ، فمن ذلك ما روى عن الباقر عليه السلام أنه قال : إن الله عز وجل قد أرسل رسله بالكتاب وبتأويله ، فمن كذَّب بالكتاب أو كذَّب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك" (ص ٩) .

ومنها ما روى عن الهيثم التميمى ، قال : "قال أبو عبد الله عليه السلام : يا هيثم ، إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئاً ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا ، لا إيمان بظاهر إلا بباطن ، ولا بباطن إلا بظاهر " (ص ٩) .

وعقد الفصل الخامس : فى بيان ما يدل على أن علم تأويل القرآن كله عند الأئمة عليهم السلام ، وما ذكر فى الأخبار الواردة فى المنع من تفسير القرآن بالرأى وبغير سماع من الأئمة ، وفى الجمع بينها وبين ما يعارضها من الآيات والروايات وتوجيه ما هو الحق فى ذلك ، فقال : اعلم أنه لا ريب فى اطلاع النبى والأئمة على جميع وجوه آيات القرآن ومعانيها كلها ، ظواهرها وبواطنها ، تنزيلها وتأويلها ، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب كله ، كما أنزله الله فى بيتهم ، فإن أهل البيت أدرى بما فى البيت ، وقد دلت على هذا أخبار متواترة .. فمنها ما فى البصائر بسند صحيح عن أبى الصباح قال : والله لقد قال لى جعفر ابن محمد عليهما السلام : إن الله علَّم نبيه صلى الله عليه وسلم التنزيل والتأويل . قال : فعلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً عليه السلام ، قال : وعلَّمنا ... الخبر .

وما فيه أيضاً بإسناده عن يعقوب بن جعفر قال : كنت مع أبى الحسن عليه السلام بمكة ، فقال له رجل : إنك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به ، فقال أبو الحسن : فنحن نعرف حلاله وحرامه ، وناسخه ومنسوخه ، وسفريه وحضريه ، وفى أى ليلة نزلت من آية ، فيمن نزلت ، وفيم أنزلت .. الخبر .

واستدل أيضاً بما فى الكافى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال : ما يستطيع أحد يدعى أن عنده علم جميع القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأولياء ...

ثم قال المؤلف بعد سياقه لهذه الروايات وغيرها : "وأما غيرهم عليهم السلام فلا شبهة فى قصور علومهم وعجز أفهامهم عن الوصول إلى ساحة إدراك كثير من تفسير الظواهر والتنزيل ، فضلا عن البواطن والتأويل ، بلا إسناد من الأئمة العاملين ، وعناية من الله رب العالمين" . =

. . . .

= ثم بعد أن استدل على ذلك بما ذكره من روايات سابقة ولاحقة قال : "ولهذا ورد المنع من التفسير بغير الأخذ منهم عليهم السلام" . ثم استدل على عدم جواز تفسير القرآن بالرأى وضرورة الرجوع إلى الأئمة فى فهم معانيه ، فكان مما استدل به ، ما رواه عن العياشى عن الصادق عليه السلام قال : "من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء" وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : "من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" ، وما ورد فى تفسير الإمام عليه السلام من قوله : "أتدرون من المتمسك بالقرآن الذى له الشرف العظيم ؟ هو الذى يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت ، أو عن وسائط السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين ، وقياس الفاسقين ، فأما من قال فى القرآن برأيه فإن اتفق له مصادفة صواب فقد جهل فى أخذه عن غير أهله ، وإن أخطأ القائل فى القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار" أ هـ . (ص ١١ - ١٢) .

ثم بعد ذلك وفق بين الأخبار الدالة بظواهرها على حرمة التفسير بالرأى وبين ما ورد من قوله تعالى : **«أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»** (محمد : ٢٤) .. وقوله : **«لعلمه الذين يستنبطونه منهم»** (النساء : ٨٣) .. وقوله عليه السلام " القرآن ذلول ذو وجوه ، فاحملوه على أحسن الوجوه" وغير ذلك من الآيات والأخبار الدالة على أن فى معانى القرآن لأرباب الفهم متسعاً بالغاً ومجالا رحباً فقال : لنا فى هذا المقام توجيهات عديدة نشير ههنا إلى ما هو الأكمل منها ، وهو ما ذكره بعض محققى علمائنا ، وقال : "الصواب أن يقال : إن من أخلص الانقياد لله ورسوله ولأهل البيت ، وأخذ علمه منهم ، وتتبع آثارهم ، واطلع على جملة من أسرارهم ، بحيث يحصل له المراس فى العلم والطمأنينة فى المعرفة ، وانفتح عينا قلبه ، وهجم به العلم على حقائق الأمور ، وباشر روح اليقين ، وأنس بما استوحش منه الجاهلون ، فله أن يستفيد من القرآن غرائبه ، ويستنبط منه نبذاً من عجائبه ، وليس ذلك من كرم الله بغريب ، ولا من جوده بعجيب ، وليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين ، وقد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم ، كما قالوا : سلمان منا أهل البيت ، فمن هذه صفته لا يبعد دخوله فى الراسخين فى العلم ، العالمين بالتأويل" أ هـ (ص ١٢ - ١٣) .

ثم قال : وأما التفسير المنهى عنه ، فقد نزله المحقق أيضاً على وجهين :أحدهما : أن يكون للمفسر فى الشئ رأى وإليه ميل من طبعه وهواه =

. . . .

= فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ، ليحتج به على تصحيح غرضه ومدعاه ، فيكون قد فسر القرآن برأيه ، أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه . وهذا كما أنه مع الجهل كأكثر تفاسير المخالفين مثلا كذلك قد يكون مع العلم ، كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ، ولكن يُلَبِّسْ على خصمه ، ومن هذا ما مر من تأويلات الباطنية ، وقد يصدر مثله عمن له غرض صحيح ، لكن يطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به ذلك ، كالذى يدعو مثلا إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول : قال الله تعالى : **«اذهب إلى فرعون إنه طغى»** (طه : ٢٤) .. ويشير إلى قلبه ويومئ إليه أنه المراد بفرعون . قال ذلك المحقق ، وهذا قد يستغله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع .

ثانيهما : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من غير استظهار بالسماع والنقل عن الأئمة فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة والمبدلة ، وما فيها من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير ، وفيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والرخص والعزائم والمحكم والمتشابه ، إلى غير ذلك من وجوه الآيات المفتقرة إلى السماع إذ من بادر إلى استنباط المعانى فيها بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى ، فلا بد له أولا من السماع وظاهر التفسير ليتقى مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط ، فإن ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ، ومن هذا القبيل قوله تعالى : **«وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها»** (الإسراء : ٥٩) .. فإن معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها ، والناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ، ولا يدرى أنهم بماذا ظلموا ، وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم ، ومن ذلك الآيات التى سنشير إلى كونها واردة على سبيل الكناية والرموز بحيث لا يطلع على ما فيها إلا من تجرع كؤوس علوم آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، كما سيأتى فى الفصل السادس من المقالة الأولى من المقدمة الثالثة فى قوله تعالى : **«وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»** (البقرة : ٥٧) .. من أن المراد ظلم محمد وآله . ومنها ما سيأتى أيضاً فى الفصل الثالث من المقالة المذكورة فى قوله تعالى : **«ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا»** (الإسراء : ٧٤) .. من أنه تعالى عنى بذلك غير النبى صلى الله عليه وسلم=

. . . .

=كما قال الصادق عليه السلام : " ما خاطب الله به نبيه فهو يعنى به من قد مضي" وقد روى الكلينى وغيره عنه عليه السلام أنه قال : "نزل القرآن بـ"إياك أعني واسمعى يا جارة " . وعن الباقر عليه السلام : "إذا علم الله شيئاً هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان" وقد مر فى حديث جابر قوله عليه السلام : "وليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، إن الآية ليكون أولها فى شئ وآخرها فى شئ" ... الخبر، وسنذكر عن قريب فى فصول المقالة المذكورة وغيرها ، ما يوضح حال تفسير الآيات التى كذا شأنها ، ليتبصر به الناظر فيما نذكره من تفسير تلك الآيات إن شاء الله تعالى" أ هـ (ص ١٣) .

ونحن لا نرى أدنى خلل فيما ذكره من الوجهين السابقين بصرف النظر عما ذكره من تفسير ، ولكن نأخذ عليه أنه لم يأخذ بما قال ، بل جعل القرآن تبعاً لرأيه . ونزله على معان تتفق وهواه ، ورمى غيره بالداء الذى هو فيه .

ثم ذكر المقالة الثانية ، فجعلها فى بيان ما يوضح اشتمال كلام الله تعالى ، الوارد فيما يتعلق بالتوحيد والنبوة صريحاً وتنزيلا ، على ما يتعلق بالولاية والإمامة بطناً وكناية وتأويلا ، بحسب الأخبار الواردة فى أن الولاية - أى الإقرار بنبوة النبى وإمامة الأئمة والتزام حبهم وطاعتهم وبغض أعدائهم ومخالفيهم - أصل الإيمان ، مع توحيد الله عز وجل ، بحيث لا يصح الدين إلا بذلك كله ، بل إنها سبب إيجاد العالم ، وبناء حكم التكليف ، وشرط قبول الأعمال والخروج عن حد الكفر والشرك ، وأنها التى عرضت كالتوحيد على الخلق جميعاً ، وأخذ عليهم الميثاق ، وبعث بها الأنبياء ، وأنزلت فى الكتب ، وكلف بها جميع الأمم ولو ضمناً ، وأن نسبة النبوة إلى الإمامة كنسبتها إلى التوحيد فى تلازم الإقرار بها وبقرينها ، بحيث إن الكفر بكل فى حكم الكفر بالآخر . ولا يفيد الإيمان ببعض دون بعض ، وأن الأئمة مثل النبى فى فرض الطاعة والأفضلية بعده على الخلائق أجمعين ، وكونهم وسائط ووسائل لسائر عباد الله المكرمين ، من الأنبياء والأوصياء والملائكة المقربين ... عقد هذه المقالة الثانية لهذا الغرض فقال : " اعلم أن الأحاديث الغير محصورة ، تدل على هذه الأمور المذكورة ، بل أكثرها مما هو مجمع عليه عند علمائنا الإماميين ، وقد نص على حقيقتها بل كون جلها من ضروريات هذا المذهب أعاظم أصحابنا المحدثين ، وكفى فى بيان ذلك ما ذكروه من مباحث الإمامة وكتب فضائل الأئمة ، وسنذكر فى هذا الكتاب لها شواهد كثيرة ، فلنكتف ههنا بنقل شئ من تصريحات محققى أصحابنا فى هذا الباب ، وذكر أقل قليل من نصوص الأئمة الأطياب إذ ليس هنا موضع البسط والإطناب ويكفى=

. . . .

= ما سنذكره فى تبصرة من هو من أولى الألباب "فههنا فصول خمسة" .. ثم ساق الفصول الخمسة :

فجعل الفصل الأول منها فى بيان نبذ من تصريحات علماء الشيعة الإمامية من عظم شأن الأمة وولايتهم وكفر منكريهم.

وجعل الفصل الثانى فى بيان نبذ من الأخبار التى وردت فى خصوص فرض ولاية أهل البيت وحبهم وطاعتهم ، وأن ذلك مناط صحة الإيمان ، وشرط قبول الأعمال والخروج عن حد الكفر والشرك ، وأورد فيه ما جاء من ذم إنكار الولاية والشك فيهم ، وكفر مبغضيهم ومخالفيهم .

وجعل الفصل الثالث فى بيان بعض الأخبار التى وردت فى أن الإقرار بإمامة الأئمة وحبهم وولايتهم يتلو الإقرار بنبوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مدخلية صحة الدين وصدق الإيمان ، كما أن الإقرار بالنبوة يتلو التوحيد فى ذلك ، وأن نسبة النبوة إلى الإمامية ، كنسبتها إلى التوحيد فى تلازم الإقرار بها وبقرينها ، بحيث إن الكفر بكل فى حكم الكفر بالآخر ولا يفيد الإيمان ببعض دون الآخر .

وجعل الفصل الرابع فى بيان بعض الأخبار التى وردت فى خصوص أن الولاية عرضت مع التوحيد على الخلق جميعاً ، وأخذ عليهم الميثاق ، وبعث بها الأنبياء ، وأنزلت فى الكتب ، وكلف بها جميع الأمم ، وأورد فيه ما يدل على أنها سبب إيجاد الخلق أيضاً .

وجعل الفصل الخامس فى بيان بعض الأخبار التى وردت فى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام أول المخلوقين ، وأفضلهم وأكملهم ، وأكرمهم بحيث كانت الملائكة والأنبياء تتوسل بهم وبولايتهم ، وتفخر الملائكة بخدمتهم ، وتعلموا التسبيح والتمجيد منهم ، وأنهم وولايتهم العلة فى الإيجاد ، والأصل فى الطاعة والمعرفة .

ثم ذكر المقالة الثالثة وجعلها فى بيان ما يوضح ورود بطون القرآن فيما يتعلق بالولاية والإمامة ، بحسب الأخبار التى تدل على أن هذه الأمة تقتفى سنن الأمم السابقة ، وسيرة من كان قبلهم فى كل أفعالهم وجميع أطوارهم وأعمالهم ، كما أنه كان كذلك فى سائر الأمم . قال : "فإنها بجملتها - يعنى بطون القرآن - تقتضى بحسب لطف الله تعالى أن لا يترك الإنذار والتبشير فيهم ، كما لم يترك بالنسبة إلى سابقهم ، وأن يشير إلى الزين والشين فى كل أوان بالنسبة إلى أهل كل زمان . وحيث لم يكن وقت نزول القرآن بعض ما علم الله صدوره من هذه =

. . . .

= الأمة صار أبعد منهم ، فلا بد من ألطافه الكاملة أن يجعل ذلك تأويل كلامه البليغ ، بحيث يستفاد من التنزيل والتبليغ ، ولا شك أن هذا أبلغ فى الإعجاز وأجمل للإيجاز ..." وقد أورد فى جملة ما أورد من الأخبار فى ذلك ، ما رواه الطبرسى فى الأحتجاج عن علىّ عليه السلام أنه قال فى قوله تعالى : **«لتركبن طبقاً عن طبق»** (الانشقاق : ١٩) : أى لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء . وما رواه الكلينى فى الصحيح عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : **«لتركبن طبقاً عن طبق»** .. قال : يازرارة ، أى لتركبن هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق فى أمر فلان ، وفلان .. وفلان" قال المؤلف : "أقول : أى كانت ضلالتهم بعد نبيهم مطابقة لما صدر من الأمم السابقة فى ترك الخليفة واتباع العجل والسامرى وأشباه ذلك" .
قال : "ويحتمل أن يكون المعنى تطابق أحوال خلفاء الجور فى الشدة والفساد" أ هـ (ص ٢٣ ، ٢٤) .

ثم ذكر المقدمة الثانية فتكلم فى بيان ما يوضح وقوع بعض تغيير فى القرآن وأنه السر فى جعل الإرشاد إلى أمر الولاية والإمامة والإشارة إلى فضائل أهل البيت وفرض طاعة الأئمة بحسب بطن القرآن وتأويله ، والإشعار بذلك على سبيل التجوّز والرموز والتعريض فى ظاهر القرآن وتنزيله فقال : "اعلم أن الحق الذى لا محيص عنه بحسب الأخبار الواردة المتواترة الآتية وغيرها ، أن هذا القرآن الذى فى أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شئ من التغييرات ، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات ، وأن القرآن المحفوظ عما ذكر ، الموافق لما أنزله الله تعالى ، ما جمعه علىّ عليه السلام وحفظه إلى أن وصل إلى ابنه الحسن عليه السلام .. وهكذا إلى أن ينتهى إلى القائم عليه السلام ، وهو اليوم عنده صلوات الله عليه . ولهذا - كما قد ورد صريحاً حديث سنذكره - لما أن الله عز وجل قد سبق فى علمه الكامل صدور تلك الأفعال الشنيعة من المفسدين فى الدين ، وأنهم بحيث كلما اطلعوا على تصريح بما يضرهم ويزيد فى شأن علىّ عليه السلام وذريته الطاهرين ، حاولوا اسقاط ذلك رأسا أو تغييره محرفين ، وكان فى مشيئته الكاملة ومن ألطافه الشاملة محافظة أوامر الإمامة والولاية ، ومحارسة مظاهر فضائل النبى صلى الله عليه وآله والأئمة ، بحيث تسلم عن تغيير أهل التضييع والتحريف ويبقى لأهل مفادها مع بقاء التكليف ، لم يكتف بما كان مصرحاً به منها فى كتابه الشريف ، بل جعل جلّ بيانها بحسب البطون على نهج التأويل ، وفى ضمن بيان ما تدل عليه =

. . . .

= ظواهر التنزيل ، وأشار إلى جمل من برهانها بطريق التجوّز والتعريض ، والتعبير عنها بالرموز والتورية وسائر ما هو من هذا القبيل ، حتى تتم حجته على الخلائق جميعاً ولو بعد إسقاط المسقطين ما يدل عليه صريحاً بأحسن وجه وأجمل سبيل" قال : "ويستبين صدق هذا المقال بملاحظة جميع ما نذكره فى هذه الفصول الأربعة المشتملة على هذه الأحوال .

ثم عقد الفصل الأول فى بيان نبذ مما ورد فى جمع القرآن ونقصه وتغييره ، من الروايات التى نقلها أصحابه من الإمامية فى كتبهم .

وعقد الفصل الثانى فى بيان نبذ مما ورد فى جمع القرآن ونقصه وتغييره ، والاختلاف فيه من الروايات التى نقلها المخالفون فى كتبهم .

وعقد الفصل الثالث فى بيان ما وعد به سابقاً ، من الخبر المشتمل على التصريح بتغيير القرآن ، وأنه هو السر فى الإشارة إلى ما يتعلق بالولاية والإمامة على سبيل الرمز والتعريض .

وعقد الفصل الرابع فى بيان خلاصة أقوال علمائهم فى تغيير القرآن وعدمه وتزييف استدلال من أنكر التغيير .

ثم ذكر المقدمة الثالثة وقد عقدها لبيان ما يوضح نبذاً من التأويلات المأثورة عن الأئمة السادات والمفهومة من بعض الروايات ، المرشدة إلى تأويل ما لم يظفر من تأويله على نص خاص من الكلمات القرآنية والآيات ، قال : ويستبان بها أيضاً ما بينته من صحة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بالولاية والإمامة ، وأن فى هذا الأمر تأويل ما ورد تنزيله فيما يتعلق بالتوحيد والنبوة .. عقد هذه المقدمة لبيان ما تقدم فقال :

"اعلم أن التأويلات التى ظفرنا عليها من أخبار الأئمة الأطهار على ثلاثة أقسام :

الأول : ما ورد مختصاً بكلمة أو آية مذكورة فى موضع واحد بحيث لا يجرى فى غيرها ، ومحل ذكر مورده .

الثانى : ما ورد فى آية أو كلمة قرآنية لكنه بحيث يجرى فى غيرها . بل ربما يكون الورود على سبيل العموم أيضاً ، ونحن نذكر هذا القسم فى هذه المقدمة مع نصه أو الإشارة إلى موضع ذكر النص .

الثالث : ما لم يرد فى تأويل آية إلا أنه مما يجرى فيها ، كقوله عليه السلام : "نحن يد الله" ، ونحوه ، وهذا أيضاً مما نذكره فى هذه المقدمة مع ذكر نصه أو الإشارة اليه ، وفى هذين الأخيرين إذا وصلنا فى كتابنا هذا إلى موضع=

. . . .

=يجرى فيه أحدهما أولناه على وفقه بعد الإشارة إلى ورود التأويل وموضعه ، بل مع إعادة ذكر أكثر النصوص فى مواردها . ثم من هذه التأويلات ما هو على نهج الكناية والتعريض والمجازات العقلية ، ومنها ما هو من قبيل المجاز اللغوى ، وها نحن نرتب هذه المقدمة على مقالتين ، نذكر فى إحداهما مظاهره على النهج الأول مما لابد من إفراد ذكره ، وفى الأخرى سائر التأويلات العامة مع نصوصها . ثم نلحقها بخاتمة نختم بها المقدمات" أ هـ (ص ٣٦) .

ثم ذكر المقالة الأولى : فجعلها فى بيان بعض التأويلات التى لا بد من إفراد ذكرها من حيث عظم فوائدها ، وجلها من قبيل المجازات العقلية ، والتجوّز فى الإسناد ، والكناية ، والتعريض ، وإن أمكن التكلف فى إدخال بعضها تحت المجاز اللغوى ، وقد جعل هذه المقالة مشتملة على سبعة فصول :

جعل الفصل الأول منها : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الله عز وجل كثيراً ما أراد فى كتابه بحسب الباطن بالألفاظ والخطابات الواردة ظاهراً على سبيل العموم خصوص بعض أفراد ما صدقت عليه ، كالأئمة أو شيعتهم أو أعدائهم أو نحو ذلك . قال : "ويدل على هذا أحاديث كثيرة ، منها ما سيأتى فى تأويل الكافرين بمن كفر بالولاية ، والمنافقين بمن نافق فيها ، والمشركين بمن أشرك مع الإمام من ليس بإمام ، وأشباه ذلك" .. ثم قال : "والحق أنه إذا تأمل بصير فى أكثر ما ورد من تفسير البطن علم أن معظم ذلك من هذا القبيل ، وهو مجاز شائع ذائع استعماله فى كثير من الألفاظ العامة والمطلقة ونحوها" ... الخ" (ص ٣٦) .

وجعل الفصل الثانى : فى بيان ما يظهر من الأخبار أن الله تعالى كثيرا ما يخاطب بخطاب أو وصف صادق على الماضين من أهل أزمان النبى صلى الله عليه وسلم والأمم السالفة بحسب الظاهر ، ومراده بحسب التأويل والباطن من صدق ذلك الخطاب أو الوصف عليه من هذه الأمة بالنظر إلى حال الإمامة والولاية وإن لم يكن فى ذلك الزمان .. ثم ذكر فى ضمن ما رواه من الأخبار الدالة على ذلك ما جاء فى تفسير العياشى عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله فى قوله عز وجل : **«ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»** (الأعراف : ١٥٩) .. قال : قوم موسى هم أهل الإسلام . قال المؤلف : "والظاهر أن مراده عليه السلام : أن نظيره جار فيهم ، وإنما ذكر فى الآية تمثيلا لحال هذه الأمة ، ويؤيده ما سيأتى فى الأئمة [لعله يريد قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة : **« وقطعناهم إثنتى عشرة أسباطاً أمماً»** ... الآية ، حيث =

. . . .

= يحمل على الأئمة الإثنى عشر]. فلا ينافى هذا ما هو الظاهر من الآية من وجود جماعة فى قوم موسى هادين إلى الحق صريحاً كما يظهر من بعض الأخبار" (ص ٣٧) .

وجعل الفصل الثالث : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الله سبحانه وتعالى قد يريد بخطابه فى كتابه بحسب التأويل والبطن مخاطباً غير من يفهم من الظاهر كون الخطاب متوجهاً إليه ، وكان ذلك فى أثناء الخطاب وبين الخطاب مع المخاطب المفهوم من الظاهر وفى آية واحدة ، وذلك كما ورد فى خبر جابر من قوله عليه السلام : "إن الآية لتكون أولها فى شئ وآخرها فى شئ" وما ورد فى الكافى وفى تفسير العياشى عن عبد الله بن بكير عن أبى عبد الله قال : "نزل القرآن بـ"إياك أعنى واسمعى يا جارة" وفيهما أيضاً عن أبى عمير عمن حدثه عن أبى عبد الله قال : "ما خاطب الله به فهو يعنى به من قد مضى ذكره فى القرآن مثل قوله : **«ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا»** (الإسراء : ٧٤) .. عنى بذلك غيره . قال بعض المحدثين : لعل المراد من مضى ذكره فى القرآن من الذين أسقط أسماءهم الملحدون فى آيات .. قال : وفى كنز الفوائد عن الأعمش قال : سمعت عطاء بن أبى رباح يقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : **«ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد»** (سورة ق : ٢٤) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا وعلىّ نلقى فى جهنم كل من عادانا"... الخبر . أ هـ (ص ٣٧) .

وجعل الفصل الرابع : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الضمير فى القرآن قد يكون بحسب التأويل راجعاً إلى شئ ليس بمذكور صريحاً ، بل مقصود بحسب الباطن ومعهود تأويلا ، كالضمائر التى ورد رجوعها إلى الولاية أو إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو نحو ذلك ، بلا سبق ذكر ظاهراً . ثم ذكر ما ورد من الأخبار فى ذلك ، منها : ما رواه الكلينى عن المفضل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : **«قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله»** (يونس : ١٥) .. قال : قالوا أو بدّل علياً .. وما ورد فى كنز الفوائد للكراكجى من تأويل أهل البيت فى حديث أحمد بن إبراهيم عنهم عليهم السلام قالوا : **«وتجعلون رزقكم»** أى أن شكر النعمة التى رزقكم وما مَنَّ عليكم بمحمد وآله **«أنكم تكذبون»** أى بوصيه **«فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون»** . إلى وصيه علىّ عليه السلام يبشر وليه بالجنة **«ونحن أقرب إليه منكم»** يعنى أقرب إلى أمير المؤمنين على منكم **«ولكن لا تبصرون»** (الواقعة : ٨٢ - ٨٥) أى لا تعرفون .=

. . . .

= ومنها ما ورد فى تفسير القمى عن أبى الشمال عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : **«إنها لإحدى الكبر . نذيراً للبشر»** (المدثر : ٣٥ ، ٣٦) .. قال : يعنى فاطمة ، وكذا قال فى سائر الضمائر التى فى السورة " أ هـ (ص ٣٨) .

وجعل الفصل الخامس : فى بيان ما يدل على أنه لا استبعاد فى أن يحمل ما عبّر عنه بالماضى على ما هو المستقبل الآتى كما يقتضيه كثير من التأويلات فقال : روى الكلينى فى الكافى بإسناده عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : إذا علم الله شيئاً هو كائن أخبر خبر ما قد كان ، يعنى إذا كان فى علم الله تعالى الكامل وقوع الشئ لا محالة وأنه سيكون قطعاً ، أخبر عنه على سبيل ما قد مضى وكان ، سواء أكان ذلك مما يدل عليه ظاهر القرآن وتنزيله ، أو باطنه وتأويله ، كما هو مقتضى التطابق كأحوال يوم القيامة مثلا ، والثواب والعقاب وسائر ما هو من هذا القبيل كالرَجعة وما يكون فيها ، وما يصدر من الأمة بالنسبة إلى الإمامة وأمثال ذلك ... قال : ولا يخفى أنه بناءً على هذا يرتفع الاستبعاد المذكور" أ هـ (ص ٣٨) .

وجعل الفصل السادس : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن إيراد أكثر الأشياء التى نسبها الله عز وجل إلى نفسه على صيغة الجمع وضميره كقوله سبحانه وتعالى : **«فلما آسفونا انتقمنا منهم»** (الزخرف : ٥٥) .. وقوله عز وجل : **«إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم»** (الغاشية : ٢٥ ، ٢٦) .. وأمثالها من الكلمات القرآنية فإن السر فيه إدخال النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة فيها ، بل إنهم هم المقصودون فى كثير منها . وعَدَّ هذا من قبيل المجازات الشائعة فى كلام الملوك والأعاظم .. ثم قال : فلنكتف ههنا بنقل بعض الأخبار الدالة عليه ، وذكر أخبارا ، منها : ما رواه الكلينى فى الصحيح عن حمزة بن بزيغ عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عز وجل : **«فلما آسفونا انتقمنا منهم»** ..فقال : إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون وهم مخلوقون مربوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه ، وسخطهم سخط نفسه ، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه .. الخ ، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه ، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك ، وقد قال : "من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ودعانى إليها" ، وقال : **«من يطع الرسول فقد أطاع الله»** (النساء : ٨٠) .. وقال : **«إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق=**

. . . .

=**أيديهم»** (الفتح : ١٠) ... قال : وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك الخبر ولا يخفى صراحة في المقصود ههنا .. قال : وفى الكافى وغيره عن زرارة عن أبى جعفر قال : سألته عن قول الله عز وجل : **«وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»** (البقرة : ٥٧) .. فقال : إن الله أعظم وأجل من أن يُظلم ، ولكن خلطنا بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته حيث يقول : **«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»** (المائدة : ٥٥) .. يعنى الأئمة منا " أ هـ (ص ٣٩) .

وجعل الفصل السابع : فى بيان ما يظهر من الأخبار من إطلاق لفظ الجلالة والإله والرب بحسب بطن القرآن وتأويله على الإمام فى مواضع عديدة ، بل هكذا حال بعض الضمائر الراجعة بحسب التنزيل إليه سبحانه وأن تأويل ما نسبه الله إلى نفسه بإضافته إلى هذه الألفاظ من العبادة ، والإطاعة ، والمعرفة ، والرضا ، والسخط ، والمخالفة ، والفقر ، والغنى ، إلى غير ذلك هو ما يتعلق بالإمام كمتابعته ، وإقامته ، وإطاعته ، ورضاه . وسخطه ، وسبه ، وأذاه ، ومخالفته ، وغناه ، وفقره ، ونحو ذلك . وعدَّ ذلك من قبيل المجازات العقلية والتجوّز فى الإسناد . قال : لكن يظهر من بعض ما سنذكره من الأخبار أن فى ذلك ما هو من قبيل المجاز اللغوى أو التشبيه بالمعنى العرفى . ثم ذكر بعض ما هو نص فى بيان المقصود ، فذكر من ذلك ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن علىّ عليه السلام أنه قال فى حديث له طويل : إن قوله تعالى : **«وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله»** (الزخرف : ٨٤) .. وقوله : **«وهو معكم أين ما كنتم»** (الحديد : ٤) .. وقوله : **«ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم»** (المجادلة : ٧) .. فإنما أراد بذلك استيلاء امنائه بالقدرة التى ركبها فيهم على جميع خلقه ، وأن فعلهم فعله .. الخبر ، وما رواه العياشى فى تفسيره عن أبى بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **«وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ، إنما هو إله واحد»** (النحل : ٥١) .. يعنى بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد ، وما جاء فى كنز الفوائد للكراكجى عن علىّ بن أسباط عن إبراهيم الجعفرى عن أبى الجارود عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى : **«أإله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون»** (النمل : ٦١) .. قال : أى أئمام هدى مع إمام ضلال فى قرن واحد ؟ وما رواه القمى فى تفسير قوله تعالى : **«وأشرقت الأرض بنور=**

. . . .

=**ربها** (الزمر : ٦٩) .. أن الصادق عليه السلام قال : أى رب الأرض ، يعنى إمام الأرض ، وما جاء فى تفسير القمى فى قوله تعالى : **«مثل الذين كفروا بربهم ، أعمالهم كرماد اشتدت به الريح»** ... الآية (إبراهيم : ١٨) ، قال : من لم يقر بولاية علىّ عليه السلام بطل عمله مثل الرماد الذى تجئ الريح فتحمله ، وما جاء فى كنز الفوائد من تأويل قوله تعالى : **«قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً»** (الكهف : ٨٧) .. أن الإمام عليه السلام قال : هو يرد إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيعذبه عذاباً نكراً ، ثم يقول : **«يا ليتنى كنت تراباً»** (النبأ : ٤٠) .. أى من شيعة أبى تراب" أ هـ (ص ٤١) .

وأما المقالة الثانية : فهى فى بيان سائر التأويلات العامة التى تجرى فى غير موضعها وتعم أكثر من موضع واحد مع نصوصها وأدلتها . وقد رتب المؤلف ما فى هذه المقالة على ترتيب حروف الهجاء ونهج فيها منهج كتب اللغة بملاحظة الحرف الأول ، ثم الآخر ثم الثانى . فمن ذلك الذى ذكره ما يأتى :

"الإصر" قال هو فى سورة البقرة ، وآل عمران ، والأعراف . وفى أساس البلاغة ، الإصر : الثقل . وفى القاموس : الإصر - بالكسر : الذنب ، وسيأتى فى الذنب تأويله . وقد روى الكلينى أيضاً عن الباقر عليه السلام فى قوله تعالى : **«ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم»** (الأعراف : ١٥٧) .. أنه قال " الإصر : الذنوب التى كانوا فيها قبل معرفة فضل الإمام ، فلما عرفوا فضل الإمام وضع عنهم الإصر ، قال : قال عليه السلام : الإصر الذنب ، وهى الآصار" .. الخبر . وتأويله ظاهر . وفى تفسير القمى عن الصادق عليه السلام أنه قال فى قوله تعالى : **«وأخذتم على ذلكم إصرى»** (آل عمران: ٨١) أى عهدى ، أى عهد الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم ونصرة علىّ عليه السلام " أ هـ (ص ٥٠) .

"الباطل" قال : الباطل والمبطلون ، والباطل ضد الحق وقد ورد تأويله بأعداء الأئمة ، وبدولة الباطل ، وبما كان عليه بنو أمية وأشباههم من غاصبى الخلافة ، كعداوة الأئمة وغيرها ، ومنه يظهر المراد بالمبطلين ، أى مدعى الباطل وأتباعهم ، ففى تفسير القمى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى : **«ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل»** (محمد : ٣) قال : هم الذين اتبعوا أعداء علىّ وآل الرسول" ... الخبر . أ هـ (ص ٧٠) . =

. . . .

"الراجفة" قال : الراجفة ، والرادفة ، والرجفة ، والمرجفون : أصل الرجفة الحركة والاضطراب ، ومنها الأرجوفة للكذب الذى يوقع فى الاضطراب . وفى سورة الأحزاب : «والمرجفون فى المدينة» (الآية ٦٠) قال : وسيأتى هناك عن الصادق عليه السلام : أن الراجفة الحسين عليه السلام ، والرادفة أبوه علىّ عليه السلام ، وأن أول من ينفض التراب عن رأسه فى الرجفة الحسين عليه السلام ، وقد فسرها المفسرون بالنفخ الأول ، والرادفة بالنفخ الثانى ، وهو أيضاً مناسب للتأويل المذكور كما سيأتى فى السور . وربما أمكن إجراء ما ذكرناه من التأويل فى بعض موارد الرجفة على حسب التناسب ، بل يمكن التأويل أيضاً بقيام القائم ورجعة الناس فلا تغفل" أ هـ (ص ١٠٩) .

"الزيت والزيتون" قال : أما الزيتون فمعروف . وأما الزيت ففرد منه . ويأتى إن شاء الله فى المشكاة ، وفى سورة النور عند تأويل آية النور ما يدل على تأويل الزيت بالعلم ، وفى سورة "التين" ما يدل على تأويل الزيتون بالحسين ، وقد أوّله القمى أيضاً بعلىّ عليه السلام كما سيظهر فى السورة المذكورة ، ولعله يمكن إجراء ذلك فى غير تلك السورة أيضاً . وقد قيل فى وجه هذه الاستعارة : إن الزيتون فاكهة وإدام ودواء وله دهن مبارك لطيف ، وعلىّ عليه السلام وكذا الحسين عليه السلام كل واحد ثمرة فؤاد المقربين ، وعلومه قوة قلب المؤمنين ، وبنوره ونور أولاده الطاهرين اهتدى جميع المهتدين ، وقد مثّل الله نوره بأنوارهم كما شاع فى أخبارهم ، ثم قد ورد تأويل الزيتون ببيت المقدس كما يأتى فى "الطور" أ هـ (ص ١١٣) .

"القبلة" قال فى القاموس : القبلة التى يُصلى نحوها ، والجهة ، والكعبة ، وكل ما يستقبل .. يقال : ما له قبلة ولا دبرة - بكسرهما - أى وجهة . هذا وقد مر فى الصلاة ما يدل على تأويل القبلة بالأئمة عليهم السلام ، وأنهم المراد بها بحسب بطن القرآن ، واستقبالها كناية عن التمسك بهم واتباعهم ونحو هذا . وفى تفسير العياشى عن الصادق عليه السلام : "نحن قبلة الله ونحن كعبة الله" وسيأتى بعض المؤيد فى "الكعبة" والله الهادى" أ هـ (ص ١٨٣) .

ثم ذكر الخاتمة ، وجعلها مشتملة على فصلين :

الفصل الأول : فى بيان نبذ مما ورد من تأويلات الحروف المقطعة التى فى أوائل بعض السور فقال : "اعلم أن أصل تركيب مقطعات أوائل السور من غير ملاحظة ما تكرر منها أربع عشرة بعدد المعصومين الأربعة عشرة : النبى =

. . . .

= وفاطمة والأئمة الإثنى عشر. والسور هى هذه : ألم . ألمص . ألر . ألمر كهيعص . طه . طسم . طس . يس . ص . حم . حمسعق . ق . ن . ثم قال وفى معانى الأخبار بإسناده إلى أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : "ألم" حروف من حروف اسم الله الأعظم المقطع فى القرآن ، الذى يؤلفه النبى والإمام عليه السلام ، فإذا دعا به أجيب" قال بعض الأفاضل : فى هذا الحديث دلالة على أن الحروف المقطعات أسرار بين الله ونبيه ، ورموز لم يقصد بها إفهام غيره وغير الراسخين فى العلم من ذريته . أقول : ويؤيده ما فى تفسير الإمام عليه السلام : أن معنى "ألم" : أن هذا الكتاب الذى أنزلته هو الحروف المقطعة التي منها "أ ل م" وهم بلغتكم وحروف هجائكم ، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين .. ثم قال : وسنشير فيما ورد فى "ص" إلى ما يدل على أن جميع المقطعات القرآنية اسم للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولنذكر بعض ما يتعلق بتأويلها على ترتيبها . فما ورد فى ألم ، وألمص ، وألر ، وألمر ، ما قيل من أن معنى "ألم" : أنا الله أعلم وأرى . و"ألمص" : أنا الله أعلم وأنصل . وعلى هذا يمكن التأويل بأنه علم حيث اختار محمداً وعلياً وآلهما الطيبين للنبوة والإمامة وأنزل لهم وفيهم كتابه المجيد ، وعلى هذا القياس تأويل ما يأتى بعده ..." الخ .أ هـ (ص ٢٣١) .
ثم قال : وأما "كهيعص" فمعناه أنا الكافى الهادى ، والوالى العالم الصادق الوعد.

أقول : تأويل هذا : ما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال : أى كاف لشيعتنا ، هاد لهم ، ولى لهم ، وعده الحق ، يبلغ بهم المنزلة التى وعدهم إياها فى بطن القرآن - وما فى الاحتجاج والمناقب وإكمال الدين عن سعد بن عبد الله عن الحجة القائم عليه السلام أنه سأل عن تأويل "كهيعص" فقال : إن هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عبده زكريا ، ثم فصلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه بأسماء الخمسة ، فأهبط الله عليه جبريل عليه السلام ، فعلّمه إياها ، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً ، وفاطمة ، والحسن ، سرى عنه همه وانجلى كربه ، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة . فقال ذات يوم : إلهى ، ما بالى إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومى ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عينى وتثور زفرتى ؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصته فقال : "كهيعص" فالكاف : اسم كربلاء ، والهاء : هلاك العترة ، والياء : يزيد لعنه الله - وهو ظالم الحسين - والعين:=

. . . .

=عطشه ، والصاد : صبره ، فلما سمع بذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ، ومنع فيها الناس من الدخول عليه ... الخبر .

قال : وسيأتي تتمته في سورته ". أ هـ (ص ٢٢٣) .

وجعل الفصل الثاني من الخاتمة في ذكر بعض الفوائد .

فالفائدة الأولى : بيَّن فيها أن دأبه في هذا التفسير على شيئين :

أحدهما : تأويل ما ورد بحسب التنزيل بالنسبة إلى الأمم السابقة وما صدر منهم بالنسبة إلى إطاعة أنبيائه وعصيانهم ، بأن المراد الإطاعة وعدمها فيما بلغوا إليهم وأمروهم به من الإقرار بولاية النبي والأئمة ، والأعتراف بحقهم ، والتمسك بهم ، مع التبري من أعدائهم . بعد الإقرار بالله ورسله . وتصديقهم فيما بلَّغوا جميعاً ، لا سيما الولاية .

وثانيهما : تطبيق كثير مما ورد بالنسبة إلى تلك الأمم وإلى طاعتهم وإلى معصيتهم وما ورد عليهم من الشر والنقم والخير والنعم وغير ذلك على طوائف هذه الأمة فيما صدر منهم بالنسبة إلى إطاعة النبي والأئمة في أمر الولاية وعدمها ، وما ورد ويرد عليهم من الشر والخير لذلك ، وذلك بتمثيل الأخيار بالأخيار ، والأشرار بالأشرار ، وتبيان وجه الشبه في تنظيم أفعالهم بأفعالهم ، كتنظير أصحاب السبت بقتلة ذرية النبي كبني أمية وبني العباس مثلا ، وأصحاب الكهف بأبي طالب ونظرائه مثلا ، وأصحاب العجل بأهل السقيفة ، وغير ذلك" أ هـ (ص ٢٣٥) .

والفائدة الثانية : بيَّن فيها أن المراد في الباطن بجميع ما حرَّم الله في القرآن أئمة الجور ، وبما أحل أئمة الحق ، وأنهم أصل كل خير ، ومن فروعهم كل بر ، وأعداؤهم أصل كل شر ، ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة ، وأن أعداءهم المراد بالفواحش والمناهي وما يعبد من دون الله" أ هـ (ص ٢٣٦) .

والفائدة الثالثة قال فيها : "إنه تقدم وجوب الإيمان بظاهر القرآن وباطنه معاً ، وأن كلاً منهما مقصود الباري ، ولكن لما كانت التفاسير المتداولة مشتملة على جل ما يتعلق بالظاهر ، وكان مقصدنا بالذات من وضع هذا الكتاب إبراز خبايا التأويلات المستفادة من الأئمة السادة ، لخلو أكثر التفاسير عنها جميعاً ، ومن أكثرها ، جعلنا مدار كلامنا على تبيين هذا الأمر وبيان ما يتعلق بالبطون فلا نتعرض لما يتعلق بالظواهر مفصلا ، حذراً من التطويل والخروج عن المقصود الأصلي " أ هـ (ص ٢٣٦) . =

. . . .

= والفائدة الرابعة : بيَّن فيها أن كل ما ذكره من تأويل الآيات والكلمات القرآنية في تفسيره ، فمبناه على التجوُّز في المعنى ، أو الإسناد ، أو نحو ذلك من وجوه الاستعارات وأمثالها . قال : ومع هذا لا يجوز ذلك في موضع إلا بعد وجدان مستند له فيه وفي مثله ، أو بحسب العموم والإطلاق الشامل" أ هـ (ص ٢٣٦) .

والفائدة الخامسة : بيَّن فيها أنه اقتصر في نقل الأخبار على موضع الحاجة منها وما يدل على المراد ، مخافة التطويل

قال : "فربما فرقنا مضمون خبر على مواضع ، وربما نقلنا خلاصة مضمون روايته ، ولكن كل ذلك بحيث لا يخل بالحديث ولا يتغير منه معناه" أ هـ (ص ٢٣٦) .

والفائدة السادسة : بيَّن فيها أن كل ما ذكره في تفسيره من التأويلات فهو غير خال من المستند المستفاد من الأئمة عليهم السلام" أ هـ (ص ٢٣٦) .

والفائدة السابعة : بيَّن فيها أن الرجعة من ضروريات مذهب الشيعي ، وادعى تواتر الأحاديث المثبتة لها في الجملة وإن كانت مختلفة في تفصيلها وقال :لقد وقفت على أزيد من مائتي حديث فيها ، ثم ذكر من الأخبار ما يدل على ذلك" أ هـ (ص ٢٣٧ - ٢٣٩) .

ثم قال : وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده في مقدمات تفسيرنا ، ونشرع بعد هذا في أصل التفسير إن شاء الله تعالى وبحوله وقوته وتوفيقه ، حامداً ومصلياً ومسلماً ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الأئمة المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، حمداً وصلاة وتسليماً كثيراً كثيراً كثيراً " أ هـ .

ولكن أين هذا التفسير؟؟ .. قلنا : لم نعثر عليه في مكتبة من مكاتبنا المصرية. وقلنا : إنه لو وقع لنا لكان خير مرجع يصوِّر لنا معالم التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية ... ولكن ألست معي في أن هذه المقدمة التي لخصت لك أهم مباحثها ، تكشف لنا إلى حد كبير عن مذهب صاحبها في تفسيره ، وعن مقدار تأثره بعقيدته في فهمه لكتاب الله ؟ أظن أنك معي في هذا وإليك أسوق أهم القواعد التي سار عليها المؤلف في تفسيره ، وهي قواعد استخلصتها ولخصتها من مقدمة تفسيره ، ولا أحسب أنه تخطاها أو شذ عنها بعد ما دافع عنها وقوَّاها بما استطاع من الأدلة . وهذه هي أهم القواعد : =

. . . .

= أولا : القرآن له ظهر وبطن ، بل كل فقرة من كتاب الله لها سبعة وسبعون بطناً ، وجملة باطن الكتاب فى الدعوة إلى الإمامة والولاية ، وجملة ظاهرة فى الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة ، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على المدح والإكرام ففى أئمتهم ، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على التهديد والوعيد والتوبيخ والتقريع ففى مخالفيهم وأعدائهم نزلت .

ثانياً : لا تقتصر معانى الآيات القرآنية على أهل زمان واحد ، بل لكل آية تأويل يجرى فى كل أوان وعلى أهل كل زمان .

ثالثاً : معانى القرآن الظاهرة متناسبة مع معانيه الباطنة .

رابعاً : المعانى الباطنة ليست جملتها مما استعمل فيها اللفظ على سبيل الحقيقة بل أكثرها ومعظمها على طريق التجوّز ونهج الاستعارة وسبيل الكناية ومن قبيل المجازات اللغوية والعقلية ، وهذا فى تقديره أمر لا غرابة فيه ولا استبعاد ، إذ أن أبواب التجوّز فى كلام العرب واسعة ، وموارده فى عبارات الفصحاء سائغة .

خامساً : يجب على الإنسان أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه على السواء ، كما يجب عليه أن يؤمن بمحكم القرآن ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وبسائر ما يتعلق بذلك تفصيلا أو إجمالا إن لم يعلم التفصيل من أهل البيت ، ومن أنكر الظاهر وأقر بالباطن أو العكس فهو ملحد كافر ، بل ويجب على كل إنسان أن يصدق بكل ما نقل عن الأئمة من تفسير وتأويل وإن لم يفهم معناه ، ومن الجرأة أن ينكر أحد شيئاً من ذلك لخفائه عليه .

سادساً : علم تأويل القرآن جميعه عند الأئمة ، وهذا أمر اختصوا به دون من عداهم ، فلهذا لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه وبدون سماع منهم : لأنه لا شبهة فى أن من عداهم تقصر علومهم وتعجز أفهامهم عن الوصول إلى كثير من ظواهر القرآن فضلا عن بواطنه وتأويله .

سابعاً : ما علم الله صدوره من هذه الأمة المحمدية فى الأزمنة المستقبلة - أى بعد نزول القرآن - أشار الله إليه ونبه عليه فى كتابه الكريم ، فكل ما جد ويجد من الحوادث بعد نزول القرآن يستفاد من آياته عن طريق تأويلها ، وهذا أبلغ فى الإعجاز وأجمل للإيجاز ، فقوله تعالى : **« ولتركبن طبقاً عن طبق »** (الانشقاق : ١٩) .. تأويله الإخبار من الله بأن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء . =

. . . .

= ثامناً : القرآن الذى جمعه علىّ عليه السلام وتوارثته الأئمة من بعده هو القرآن الصحيح ، وما عداه وقع فيه التغيير والتبديل ، فكل ما ورد صريحاً فى مدح أهل البيت وذم شانئيهم أسقط من القرآن أو حُرّف وبُدّل ، ولعلم الله بما سيكون من التغيير والتبديل لم يكتف الله تعالى بالإرشاد إلى أمر الإمامة والولاية وفضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم بما صرّح به القرآن ، بل أرشد إلى ذلك أيضاً بحسب ما يدل عليه باطن اللفظ وتأويله ، لتقوم بذلك الحجة على الناس وإن حُرّف القرآن وبُدّل .

تاسعاً : كثيراً ما يريد الله فى كتابه بحسب الباطن بالألفاظ والخطابات الواردة ظاهراً على سبيل العموم خصوص بعض أفراد ما صدقت عليه ، كالأئمة أو شيعتهم أو أعدائهم أو نحو ذلك ، كما ورد فى تأويل "المشركين" : بمن أشرك مع الإمام من ليس بإمام .

عاشراً : مما ورد من الخطاب للأمم السابقة كثيراً ما يراد به بحسب الباطن ما يصدق عليه الخطاب من هذه الأمة بحسب الإمامة والولاية وغيرهما ، مع إرادة الظاهر أيضاً مثل : **«ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»** (الأعراف : ١٥٩) .. أراد فى الباطن بقوم موسى : أهل الإسلام .

الحادية عشرة : قد يراد بالخطاب فى الباطن مخاطباً غير من نفهم من الظاهر كون الخطاب له ، كما ورد عن أبى عبد الله أنه قال : نزل القرآن بـ"إياك أعنى واسمعى يا جارة" فقوله تعالى : **«ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا»** (الاسراء : ٧٤) .. عنى به غير النبى .

الثانية عشرة : قد يرجع الضمير بحسب التأويل والباطن إلى ما لم يسبق له ذكر صريحاً ، مثل قوله تعالى : **«قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله»** (يونس : ١٥) ... يعنى أو بَدّلْ علياً .

الثالثة عشرة : ما نسبه الله إلى نفسه بصيغة الجمع أو ضميره كقوله : **«فلما آسفونا انتقمنا منهم»** (الزخرف : ٥٥) ... السر فيه إدخال النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة فى مفهومه وهذا مجاز شائع معروف .

الرابعة عشرة : لفظ الجلالة وما شاكله والضمائر الراجعة إلى الله فى الظاهر مراد به الإمام باطناً وتأويلا ، وهذا مجاز شائع معروف .

هذه هى أهم القواعد التى سار عليها المؤلف فى تفسيره ، وهى كما ترى ملخصة من مقدمة تفسيره . (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ٤٣ - ٧٣) .

٧- البرهان .. فى تفسير القرآن

للسيد هاشم بن السيد سليمان بن سيد إسماعيل بن سيد عبد الجواد الحسينى البحرانى التوبلى الكتكانى المتوفى سنة ١١٠٧ هـ - أو ١١٠٩ هـ - ... والكتاب طبع للمرة الأولى على الحجر فى طهران سنة ١٢٩٥ هـ فى مجلدين يبلغ عدد صفحاتهما ١١٤٨ صحيفة ، وطبع للمرة الثانية فى أربع مجلدات تبلغ عدد صفحاتها ١٩٩٦ صحيفة ، وذلك فى سنة ١٣٧٥هـ .

وها نحن نعتمد فى نقولنا على الطبعة الثانية ، التى جعلت مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار مقدمة لها وإن كانت فى مجلد وحدها .

● **التعريف بالمؤلف[١]:**

"مؤلف هذا الكتاب هو السيد هاشم بن سيد سليمان بن سيد إسماعيل ابن سيد عبد الجواد بن سيد على بن سيد سليمان بن سيد ناصر الحسينى الكتكانى[٢] .

ولد - رحمه الله تعالى - فى كتكان من قرى بلدة توبلى من أعمال البحرين ، لم يذكر مترجموه تاريخ ولادته ولم يشيروا إلى ما يوضح ذلك ، ولكنهم ذكروا سنة وفاته وقد توفى سنة ١١٠٧ (أو سنة ١١٠٩ هـ) فى قرية النعيم ونقل إلى القرية التوبلى ودفن بها .. وذكر صاحب اللؤلؤة "أنه كان فاضلا محدثاً جامعاً متتبعاً للأخبار بما لم يسبق له سابق سوى شيخنا المجلى وقد صنف كتباً عديدة تشهد بشدة تتبعه واطلاعه" . ومؤلفاته تبلغ خمسة وسبعين كتاباً بين صغير وكبير ووسيط . قال صاحب اللؤلؤة : "إنى

---

(١) نقلا عن الترجمة المذكورة له فى آخر المجلد الرابع ص ٥٥٥ وما بعدها .

(٢) قال معلقه : ريحانة الأدب جـ ٥ ، ص ١٤١ عن الكنى والألقاب جـ ٣ ، ص ٧٨ .

لم أقف له على كتاب فتاوى الأحكام الشرعية بالكلية ولو فى مسألة جزئية وأن ما كتبه مجرد جمع وتأليف ولم يتكلم فى شئ منها مما وقفت عليه على ترجيح فى الأقوال أو اختيار مذهب وقول فى ذلك المجال ، ولا أدرى أن ذلك لقصور درجته عن مرتبة النظر والاستدلال أم تورعاً من ذلك كما نقل عن السيد الزاهد العابد رضى الدين بن طاوس" قال المترجم : ولكنى أعتقد أن المرجح هو ورعه لا قصوره وقد استدل على ذلك بدليلين : ثانيهما ما جاء فى اللؤلؤة عنه "وانتهت رياسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد (المتقدم) إلى السيد المذكور فقام بالقضاء فى البلاد وتولى الأمور الحسبية أحسن قيام وقمع أيدى الظلمة والحكام ونشر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالغ فى ذلك وأكثر ، ولم تأخذه لومة لائم فى الدين ، وكان من الأتقياء المتورعين شديداً على الملوك والسلاطين" .

وها هى جملة من مؤلفاته :

١- إثبات الوصية - (ذكر المعلق أن صاحب الذريعة يستظهر أن هذا الكتاب هو كتاب البهجة المرضية الآتى بعد) .

٢- احتجاج المخالفين على إمامة أمير المؤمنين .

٣- إرشاد المسترشدين .

٤- الإنصاف فى النص على الأئمة الأشراف من آل عبد مناف .

٥- إيضاح المسترشدين فى بيان تراجم الراجعين إلى ولاية أمير المؤمنين .

٦- البرهان فى تفسير القرآن .

٧- البهجة المرضية فى إثبات الخلافة والوصية .

٨- تبصرة الولى فيمن رأى المهدى فى زمان أبيه أو فى غيبته الصغرى أو الكبرى .

٩- تحفة الإخوان.

١٠- ترتيب التهذيب .

١١- تفضيل الأئمة على الأنبياء الذين كانوا قبل جدهم النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم .

١٢- تفضيل عليّ على أولى العزم من الرسل .

١٣- تنبيه الأريب وتذكرة اللبيب فى إيضاح رجال التهذيب .

١٤- التيمية فى بيان نسب التيمى .

١٥- التنبيهات فى تمام كتاب الفقه من كتاب الطهارة إلى الديّات .

١٦- ثاقب المناقب فى المعجزات .

١٧- نزهة الأبرار فى خلق الجنة والنار .

١٨- حقيقة الإيمان .

١٩- حلية الآراء - (قال المترجم : والظاهر أنه مصحف الأبرار الآتى) .

٢٠- حلية الأبرار فى أحوال محمد وآله الأطهار .

٢١- حلية النظر فى فضل الأئمة الإثنى عشر .

٢٢- الدر النضيد فى خصائص الحسين الشهيد .

٢٣- سلاسل الحديد ، منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد .

٢٤- عمدة النظر فى الأئمة الإثنى عشر .

٢٥- غاية المرام وحجة الخصام فى تعيين الإمام من طريق الخاص والعام .

٢٦- لوامع الأنوار فى التفسير .

٢٧- مدينة المعجزات .

٢٨- المحجة فيما نزل فى القائم الحجة .

٢٩- معالم الزلفى فى النشأة الأخرى .

٣٠- معجزات النبى صلى الله عليه وسلم .

٣١- مناقب أمير المؤمنين .

٣٢- مناقب الشيعة .

٣٣- مولد القائم .

٣٤- الميثمية .

٣٥- نور الأنوار فى التفسير .

٣٦- نزهة الأبرار ومنار الأفكار فى خلق الجنة والنار .

٣٧- نهاية الآمال فى ما يتم به الأعمال .

٣٨- نسب عمر بن الخطاب .

٣٩ - الهادى وضياء النادى (مجلدان فى تفسير القرآن).

٤٠- وفاة الزهراء .

٤١- وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

٤٢- روضة العارفين .

٤٣- الهداية فى تفسير القرآن .

قال المترجم : "وهذا السيد كان يروى عن جملة من المشايخ منهم السيد عبد العظيم بن السيد عباس الإستراباذى الأخبارى ، والشيخ محمود بن عبد السلام ، والشيخ فخر الدين الطريحى النجفى صاحب كتاب مجمع البحرين . واعلم أن كتابه البرهان فى تفسير القرآن ستة أجزاء قد جمع فيه جملة الأخبار الواردة فى التفسير من الكتب القديمة العربية وغيرها" اهـ .

قال المؤلف فى مقدمة تفسيره[1] بعد أن ذكر فضل القرآن الكريم ما نصه : "غير أن أسرار تأويله لا تهتدى إليه العقول ، وأنوار حقائق خفياته لا تصل إليه قريحة المفضول ، ولهذا اختلف فى تأويله الناس ، وصاروا فى تفسيره على أنفاس وانعكاس ، قد فسروه على مقتضى أديانهم ، وسلكوا به على موجب مذاهبهم واعتقادهم ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، ولم يرجعوا فيه إلى أهل الذكر صلى الله عليهم وسلم أجمعين ، أهل التنزيل والتأويل القائل فيهم جل جلاله : **﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم﴾**[2] لا غيرهم ، وهم الذين أوتوا العلم وأولوا الأمر وأهل الاستنباط وأهل الذكر الذين أمر الناس

---

(١) جـ ١ ، ص ٢ وما بعدها .

(٢) آل عمران : ٧ .

بسؤالهم كما جاءت به الآثار النبوية والأخبار الإمامية ، ومن ذا الذى يحوى القرآن غيرهم ويحيط تنزيله وتأويله سواهم ؟ ففى الحديث عن مولانا باقر العلم أبى جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام قال : "ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء" . وفى حديث آخر عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : "ما من أحد من الناس ادعى أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذب ، وما جمعه وحفظه كما أنزل الله إلا علىّ بن أبى طالب والأئمة من بعده" . وفى الحديث عن مولى الأمة وإمامها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام : "أن عبد الله بن عباس جاءه عليه السلام يسأله عن تفسير القرآن فوعده بالليل ، فلما حضر قال : ما أول القرآن ؟ قال : الفاتحة ، قال : وما أول الفاتحة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال وما أول بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : بسم ، قال : وما أول بسم ؟ قال : الباء ، فجعل عليه السلام يتكلم فى الباء طول الليل ، فلما قرب الفجر قال : لو زادنا الليل لزدنا" . وقال عليه السلام فى حديث آخر : "لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً فى تفسير فاتحة الكتاب" .

ثم ساق أحاديث أخرى ثم قال :

"إذا عرفت ذلك فقد رأيت عكوف أهل الزمان على تفسير من لم يرووه عن أهل العصمة سلام الله عليهم الذى أنزل التنزيل والتأويل فى بيوتهم وأوتوا من العلم ما لم يؤته غيرهم ، بل كان يجب التوقف حتى يأتى تأويل عنهم لأن علم التنزيل والتأويل فى أيديهم مما جاء عنهم عليهم السلام فهو النور والهدى ، وما جاء عن غيرهم فهو الظلمة والعمى ، والعجب كل العجب من علماء علمى المعانى والبيان حيث زعموا أن معرفة هذين العلمين يطلع على مكنون سر الله جل جلاله من تأويل القرآن ، قال بعض أئمتهم : ويل ، ثم ويل ، ثم ويل لمن تعاطى التفسير وهو فى هذين العلمين راجل ، وذلك أنهم ذكروا أن العلمين مأخوذان من

استقراء تراكيب كلام العرب البلغاء ، باحثان عن مقتضيات الأحوال والمقام كالحذف ، والإضمار ، والفصل ، والوصل ، والحقيقة ، والمجاز ، وغير ذلك .

ولا ريب أن محل ذلك من كتاب الله جل جلاله يحتاج معرفته إلى العلم به من أهل التنزيل والتأويل ، وهم أهل البيت عليهم السلام الذين علّمهم الله سبحانه وتعالى فلا ينبغى معرفة ذلك إلا منهم ، ومن تعاطى معرفته من غيرهم ركب متن عمياء ، وخبط خبط عشواء ، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ؟

"وقد كنت أولا قد جمعت فى كتاب الهادى كثيراً من تفسير أهل البيت عليهم السلام قبل عثورى على تفسير الشيخ الثقة محمد بن مسعود العياشى ، وتفسير الشيخ الثقة محمد بن العباس بن ماهيار المعروف بابن الحجام ما ذكره عنه الشيخ الفاضل شرف الدين النجفى وغيرهما من الكتب الآتى ذكرها فى الباب الخامس عشر فى ذكر الكتب المأخوذ منها الكتاب وذكر مصنفيها فى مقدمة الكتاب ، وهذه الكتب من الكتب المعتمد عليها ، والمعوّل والمرجع إليها ، مصنفوها مشايخ معتبرون ، وعلماء منتجبون .

"وربما ذكرت فى الكتاب التفسير عن ابن عباس على قلة إذ هو تلميذ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وربما ذكرت التفسير من طريق الجمهور إذا كان موافقاً لرواية أهل البيت عليهم السلام ، أو كان فى فضل أهل البيت عليهم السلام .. عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "القرآن أربعة أرباع ، فربع فينا أهل البيت خاصة ، وربع حلال ، وربع حرام ، وربع فرائض وأحكام ، والله أنزل فينا كرائم القرآن" . والعجب من مصنفى تفسير الجمهور مع روايتهم هذه الرواية أنهم لم يذكروا إلا القليل فى تفاسيرهم من فضل أهل البيت ولا سيما متأخرى [هكذا] مفسريهم كصاحب الكشاف والبيضاوى .

" ثم إن لم أعثر على تفسير الآية من صريح رواية مسند عن أهل البيت ذكرت ما ذكره الشيخ أبو الحسن على بن إبراهيم الثقة فى تفسيره ، إذ هو منسوب إلى مولانا وإمامنا الصادق عليه السلام .

"وكتابى هذا يطلعك على كثير من أسرار علم القرآن ، ويرشدك إلى ما جهله متعاطى التفسير من أهل الزمان ، ويوضح لك عن ما ذكره من العلوم الشرعية والقصص والأخبار النبوية وفضائل أهل البيت الإمامية ، إذ صار كتاباً شافياً ودستوراً وافياً ومرجعاً كافياً ، حجة فى الزمان ، وعيناً من الأعيان ، إذ هو مأخوذ من تأويل أهل التنزيل والتأويل الذين نزل الوحى فى دارهم عن جبريل عن الجليل ، أهل بيت الرحمة ، ومنبع العلم والحكمة صلى الله عليهم أجمعين" .

ثم ذكر المؤلف أنه ألف تفسيره خدمة للسلطان شاه بهادر خان الذى أثنى عليه بالغ الثناء ، ووصل نسبه بنسب المصطفى عليه السلام ، ثم قال : "واعلم أيها الراغب فيما جاء عن أهل البيت عليهم السلام من التفسير ، والطالب لما سنح منهم من الحق المنير ، أنى قد جمعت ما فى تفسير الهادى ومصباح النادى الذى ألفته أولا إلى زيادات هذا الكتاب ليعم النفع ويسهل أخذه على الطلاب ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب ، وشفاء للمؤمنين ، ونوراً لمن إستضاء به من خلص الأصحاب ، فهو كتاب عليه المعوّل ، وإليه المرجع لا تفاسير الجمهور ، فهذا التفسير الظل وتفاسيرهم الحرور .

"فيقول مؤلفه فقيراً إلى الله الغنى ، عبده هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسينى البحرانى : إنى جعلت قبل المقصود مقدمة فيها أبواب تشتمل على فوائد فى الكتاب ، وسميته "البرهان فى تفسير القرآن" وهو قد اشتمل على كثير من أهل البيت عليهم السلام ، الذين نزل القرآن فى منازلهم ، فمرجع تنزيله وتأويله إليهم ، والله سبحانه نسأل أن يجعل محيانا محياهم ، ومماتنا مماتهم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل" .

ثم ذكر عدة أبواب :

الباب الأول : فى فضل العالم والمتعلم .

والباب الثانى : فى فضل القرآن .

والباب الثالث : فى الثقلين وهما : كتاب الله والعترة ، ويعنى بالعترة الأئمة الإثنى عشر كما صرح بذلك فى الحديث الثالث رواية عن علىّ ، وقيل : أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم عامة .

والباب الرابع : فى معنى الثقلين من طريق المخالفين وفى أنه ما من شئ يحتاج إليه العباد إلا وهو فى القرآن وفيه تبيان كل شئ .

والباب الخامس : فى أن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا الأئمة عليهم السلام وعندهم تأويله ، وذكر أحاديث منها : عن أبى عبد الله قال : "إنا أهل بيت لم ينبعث منا إلا مـن يعلم كتابه من أوله إلى آخره" . وعن أبى عبد الله أيضاً قال : "والله إنى لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه فى كفى ، فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن ، قال الله تعالى : «فيه تبيان كل شئ»[1] . وعن يعقوب بن جعفر قال : "كنت مع أبى الحسن عليه السلام بمكة ، فقال له رجل : إنك لتفسر من كتاب الله ما لم يسمع ، فقال : علينا نزل قبل الناس ولنا فسر قبل أن يفسر فى الناس ، فنحن نعلم حلاله وحرامه ، وناسخه ومنسوخه ، وسفريه وحضريه ، وفى أى ليلة نزلت من آية ، وفيمن نزلت ، فنحن حكماء الله فى أرضه ، وشهداؤه على خلقه ، وهو قوله تبارك وتعالى : **«ستكتب شهادتهم ويُسئلون»**[2] ، فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه ، فهذا قد أنهيته" . وعن أبى عبد الله قال : "إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث منا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره ، وإن عندنا من حلاله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به أحداً" .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : **«تبياناً لكل شئ»** (النحل : ٨٩) .
(٢) الزخرف : ١٩ .

والباب السادس : فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى والنهى عن الجدال ، ويروى فيه عن زيد الشحام قال : دخل قتادة بن دعامة على أبى جعفر عليه السلام فقال : يا قتادة ، أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون ، قال أبو جعفر : بلغنى أنك تفسر القرآن . قال له قتادة : نعم ، فقال له أبو جعفر : فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك ، قال قتادة : سل ، قال : أخبرنى عن قول الله عز وجل فى سبأ : **«وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين»**[1] .

فقال قتادة : ذاك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله ، فقال أبو جعفر : ناشدتك الله يا قتادة ، هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وكراء حلال يريد هذا البيت فتُقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها احتياجه ؟ ، قال قتادة : اللهم نعم ، فقال أبو جعفر : ويحك قتادة ، إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت ، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ، ويحك ياقتادة ، ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل : **«فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم»**[2] ، ولم يعن البيت فيقول : "إليه" ، فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التى من هواها قبلت حجته وإلا فلا ، ياقتادة ، فإن كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة ، قال قتادة : لا جرم والله لا فسرتها إلا هكذا ، فقال أبو جعفر : ويحك يا قتادة ، إنما يعرف القرآن من خوطب به" (جـ ١ ، ص ١٨) .

والباب السابع : فى أن القرآن له ظهر وبطن ، وعام وخاص ، ومحكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، والنبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته يعلمون ذلك وهم الراسخون فى العلم ، وروى فيه عن أبى جابر قال : سألت أبا جعفر عن شئ فى تفسير القرآن فأجابنى ، ثم سألته ثانية

---

(١) سبأ : ١٨ .　　(٢) إبراهيم : ٣٧ .

فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك ، كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ، فقال لي : يا جابر ، إن للقرآن بطناً ، وللبطن بطناً وظهراً ، وللظهر ظهراً ، يا جابر ، وليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، إن الآية لتكون أولها في شئ وأوسطها في شئ وآخرها في شئ ، وهو كلام متصل ينصرف على وجوه" (جـ ١ ، ص ٢٠) .

"وروى فيه أيضاً عن حماد بن عثمان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن الأحاديث تختلف عنكم ، قال : فقال : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وأذن للإمام أن يفتي على سبعة وجوه ، ثم قال : **«هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»**[1] (جـ ١ ، ص ٢١) .

والباب الثامن : فيما نزل عليه القرآن من الأقسام . وروى فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : "أنزل القرآن أثلاثاً ، ثلث فينا وفي عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام" (جـ ١ ، ص ٢١) .

والباب التاسع : في أن القرآن نزل بـ : "إياك أعني واسمعي يا جارة" . وروى فيه عن أبي عبد الله قال : نزل القرآن بـ : "إياك أعني واسمعي يا جارة" ، ثم قال الكليني : وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام ، معناه : ما عاتب الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم فهو يعني به ما قد مضى في القرآن مثل قوله : **«ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا»**[2](جـ ١ ، ص ٢٢) .

والباب العاشر : فيما عني به الأئمة في القرآن ، وروى فيه عن أبي جعفر قال : "إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأمة بخير فهم نحن ، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا" (جـ ١ ، ص ٢٢) .

"وروى عن أبي عبد الله قال : لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين" (جـ ١ ، ص ٢٢) .

---

(١) سورة ص : ٣٩ .　　(٢) الإسراء : ٧٤ .

"وعن أبى جعفر قال : لولا أن زيد فى كتاب الله ونقص منه ما خفى حقنا على ذى الحجى ، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن" (جـ ١ ، ص ٢٢) .

"وروى عن داوود بن فرقد قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : أنتم الصلاة فى كتاب الله عز وجل ، وأنتم الزكاة ، وأنتم الحج ؟ فقال : يا داوود ، نحن الصلاة فى كتاب الله عز وجل ، ونحن الزكاة ، ونحن الصيام ، ونحن الحج ، ونحن الشهر الحرام ، ونحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله ، ونحن وجه الله ، ونحن الآيات ، ونحن البينات ، وعدونا فى كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغى والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير ، يا داوود ، إن الله خلقنا وأكرم خلقنا ، وفضلنا ، وجعلنا أمناءه وحفظته وخزانه على ما فى السموات وما فى الأرض ، وجعل لنا أضداداً وأعداء ، فسمانا فى كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنية عن العدو[1] ، وسمى أضدادنا وأعداءنا فى كتابه ، وكنى عن أسمائهم ، وضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين" (جـ ١ ، ص ٢٣) .

والباب الحادى عشر : فى معنى الباب العاشر .

والباب الثانى عشر : فى معنى الثقلين والخليفتين من طريق المخالفين .

والباب الثالث عشر : فى العلة التى من أجلها أن القرآن باللسان العربى ، وأن المعجزة فى نظمه ، ولم صار جديداً على مر الأزمان .

والباب الرابع عشر : فى أن كل حديث لا يوافق القرآن فهو مردود .

---

(١) كأنه أيضاً يأخذ بالتقية ! !

والباب الخامس عشر : فى أول سورة نزلت وآخر سورة .

والباب السادس عشر : فى ذكر الكتب المأخوذ منها الكتاب ، وعد ما يزيد عن ستين كتاباً منها ما هو فى التفسير كتفسير الحسن العسكرى ، والطوسى ، والطبرسى ، والزمخشرى ، ومنها ماهو فى الحديث كالكافى ، ومن لا يحضره الفقيه ، والاستبصار ، ومنها ما هو فى المناقب ، ومنها ما هو فى الزهد والمواعظ .

ثم ذكر أن فى القرآن ناسخاً ومنسوخاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وعاماً وخاصاً .. الخ ، وذكر أمثلة لكل ذلك ، كما ذكر أن فى القرآن ما هو على خلاف ما أنزل الله وضرب مثلا لذلك قوله تعالى : **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»**[1] ، قال أبو عبد الله لقارئ هذه الآية : خير أمة يقتلون أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين ابنى علىّ عليهم السلام ؟ فقيل له : وكيف أنزلت يابن رسول الله ؟ فقال : إنما نزلت : «كنتم خير أئمة أخرجت للناس» ألا ترى مدح الله لهم فى آخر الآية : **«تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»** (جـ ١ ، ص ٣٤) .

● ومثله أنه قرئ على أبى عبد الله : **«والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً»**[2] فقال أبو عبد الله : لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً ، فقيل له : يابن رسول الله ، كيف نزلت هذه الآية ؟ فقال : إنما نزلت "الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إماماً".

وقوله : **«له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله»**[3] ، فقال أبو عبد الله : كيف يحفظ الشئ من أمر الله ؟ وكيف

---

(١) آل عمران : ١١٠ .
(٢) الفرقان : ٧٤ .
(٣) الرعد : ١١ .

يكون المعقب من بين يديه؟ فقيل له : وكيف يكون ذلك يابن رسول الله ؟ فقال : إنما نزلت : "له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله" . قال : ومثله كثير" (جـ ١ ، ص ٣٤) .

● ثم ذكر ما هو محرف فى القرآن ، وذكر من أمثلة ذلك قوله : «لكن الله يشهد بما أنزل اليك فى علىّ» كذا أنزلت "أنزله بعلمه والملائكة يشهدون"(١) .

وقوله : "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فى علىّ فإن لم تفعل فما بلغت رسالته" (٢) .

وقوله : "إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم"(٣) .

وقوله : "وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أى منقلب ينقلبون"(٤) .

وقوله : "ولو ترى الذين ظلموا آل محمد حقهم فى غمرات الموت"(٥) .. قال : ومثله كثير نذكره فى مواضعه" (جـ ١ ، ص ٣٤) .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : «لكن الله يشهد بما أنزل اليك ، أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيداً» (النساء : ١٦٦) .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : «ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين» (المائدة : ٦٧) .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : «إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً» (النساء : ١٦٨) .

(٤) يشير إلى قوله تعالى : «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» (الشعراء : ٢٢٧) .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : «ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت» (الأنعام : ٩٣) .

● ثم ذكر أن بعض الآيات في سورة وتمامها في سورة أخرى ، فقوله في سورة البقرة في قصة بني إسرائيل "حين عبر بهم موسى البحر وأغرق الله فرعون وأصحابه وأنزل موسى بني إسرائيل [هكذا] وأنزل عليهم المن والسلوى فقالوا لموسى : **«لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها»**[1] فقال لهم موسى : **«أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم»**[2] فقالوا له : **«يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون»**[3] ، فنصف الآية في سورة البقرة ، ونصفها في سورة المائدة" (جـ ١ ، ص ٣٤) .

وقوله : **«اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا»**[4] ، فرد عليهم : **«وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون»**[5] ، فنصف الآية في سورة الفرقان ونصفها في سورة العنكبوت . قال : ومثله كثير نذكره في مواضعه إن شاء الله" .

● ثم ذكر أن في القرآن رداً على الزنادقة والثنوية وعبدة الأوثان والدهرية والمعتزلة و ... و ... و ... ، وعلى من أنكر الرجعة ، وهنا عرض لقوله تعالى : **«ويوم نحشر من كل أمة فوجاً»**[6] ، فروى عن حماد عن أبي عبد الله قال : ما يقول الناس في هذه الآية : **«ويوم نحشر من كل أمة فوجاً»** : يقولون إنها في القيامة ؟ قال : ليس كما يقولون ، إن ذلك في الرجعة ، يحشر الله في القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقين ؟ إنما آية يوم القيامة قوله : **«وحشرناهم فلم نغادر منهم**

---

(١) البقرة : ٦١ .
(٢) البقرة : ٦١ .
(٣) المائدة : ٢٢ .
(٤) الفرقان : ٥.
(٥) العنكبوت : ٤٨ .
(٦) النمل : ٨٣ .

أحداً»[1] ، وقوله : «**وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون**»[2] ، فقال الصادق عليه السلام : كل قرية أهلك أهلها بالعذاب لا يرجعون فى الرجعة ، وأما فى القيامة فيرجعون ، والذين محضوا الإيمان محضاً وغيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً يرجعون" (جـ ١ ، ص ٣٩) .

"وروى عن أبى عبد الله فى قوله : «**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه**»[3] ، قال : ما بعث الله نبياً من لدن آدم إلا ويرجع إلى الدينا فينصر أمير المؤمنين وهو قوله ": "لتؤمنن به" يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،"ولتنصرنه" يعنى أمير المؤمنين" (جـ ١ ، ص ٤٠) .

"وروى عن معمر بن شمر قال : ذكر عند أبى جعفر عليه السلام جابر فقال : رحم الله جابراً ، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية : «**إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**»[4] ، يعنى الرجعة ، قال : ومثله كثير نذكره فى مواضعه" (جـ ١ ، ص ٤٠) .

وفى خاتمة الكتاب ذكر أبواباً هى :

الباب الأول : فى أن المعوذتين من القرآن .

والباب الثانى : فى رد متشابه القرآن إلى تأويله ، وساق أمثلة كثيرة من الآيات التى توهم الاختلاف والتناقض ووفّق بينها بما يتفق مع اللغة والشرع تارة ، وبما يتفق مع مذهبه الشيعى تارة أخرى[5] .

---

(١) الكهف : ٤٧ . (٢) الأنبياء : ٩٥ .
(٣) آل عمران : ٨١ . (٤) القصص : ٨٥ .
(٥) نقل المؤلف هذا الباب من كتاب الاحتجاج عن أبى طالب الطبرسى ، قال : جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين على عليه السلام وقال له : لولا ما فى القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت فى دينكم ، فقال له عليه السلام : وما هو ؟ قال قوله : «**نسوا الله فنسيهم**» (التوبة : ٦٧) ، وقوله : «**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**» (الأعراف : ٥١) ، وقوله : «**وما كان ربك نسياً**» (مريم : ٦٤) ... الخ (جـ ٤ ، ص ٥٣٢) .

والباب الثالث : فى فضل القرآن ، وساق فيه رواية عن علىّ عليه السلام أنه قال : "والذى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأكرم أهل بيته ، ما من شئ تطلبونه من حرز : من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها أو ضالة أو آبق إلا وهو فى القرآن فمن أراد ذلك فليسألنى عنه" . ثم ذكر أن رجالا سألوا علياً عما يؤمنهم من الغرق والحرق وغير ذلك فكان عليه السلام يعلم كل واحد من القرآن ما يدفع عنه هذا المكروه ، فى روايات متعددة (جـ ٤ ، ص ٥٤٦ - ٥٤٧) .

والباب الرابع : فى أن حديث أهل البيت صعب مستصعب ، وساق روايات متعددة فى هذا المعنى ، منها : "عن أبى جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن حديث آل محمد صلى الله عليه وسلم صعب متصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب ، أو نبى مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وسلم فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه ، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد ، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشئ منه لا يحتمله فيقول : والله ما كان هذا ، والله ما كان هذا ، والإنكار هو الكفر" (جـ ٤ ، ص ٥٤٧) .

والباب الخامس : فى وجوب التسليم لأهل البيت فيما جاء عنهم عليهم السلام وساق روايات كثيرة ... منها :

"عن أبى سفيان بن السمط قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، يأتينا الرجل من قبلكم يُعرف بالكذب فيحدث بالحديث فنستبشعه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يقول لك أنى قلت الليل إنه نهار والنهار إنه ليل ؟ قلت : لا ، قال :" فإن قال لك هذا أنى قلته فلا تُكذّب به فإنك إنما تكذبنى" (جـ ٤ ، ص ٥٤٨) .

"وروى عن عليّ بن سويد السائى . عن أبى الحسن الأول عليه السلام أنه كتب إليه فى رسالته : ولا تقل لما يبلغك عنا أو ينسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه ، فإنك لا تدرى لم قلناه وعلى أى وجه وضعناه" (جـ ٤ ، ص ٥٤٨) .

"وروى عن كامل التمار عن أبى جعفر قال : كنت عنده فهو يحدثنى إذ نكس رأسه إلى الأرض فقال : قد أفلح المسلّمون[١] ، إن المسلمين هم النجباء ، يا كامل : الناس كلهم بهائم إلا قليلا من المؤمنين ، والمؤمن غريب" (جـ ٤ ، ص ٥٤٩) .

ثم قال المؤلف:

"ثم اعلم أيها الأخ فى الدين ، والطالب للحق المستبين ، والراغب فى علوم أهل اليقين محمد وآله والأئمة الراشدين والأمناء المعصومين حجة الله على الخلق أجمعين ، وأفضل الأولين والآخرين ، فقد اشتمل الكتاب على كثير من الروايات عنهم عليهم السلام فى تفسير كتاب الله العزيز ، وانطوى على الجم الغفير من فضلهم وما نزل فيهم عليهم السلام واحتوى على كثير من علوم الأحكام والآداب ، وقصص الأنبياء وغير ذلك مما لا يحتويه كتاب ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب ، فليس لأحد أن يعمل بتفسير المخالفين بعد إظهار الحق وزهوق الباطل ، والالتماس من الإخوان الناظرين فى هذا الكتاب إن صح عندهم ما هو أصح من الأصول التى أخذت منها هذا الكتاب فليصلحوا ما تبين فيه من الخلل ، لأن بعض الكتب التى أخذت منها هذا الكتاب كتفسير عليّ بن ابراهيم وكان يحضرنى فيه نسخ عديدة ، والعياشى وكان يحضرنى منه نسختان من أول القرآن إلى آخر سورة الكهف ، فأصلحت وصححت بحسب الإمكان من ذلك والله سبحانه هو الموفق" (جـ ٤، ص ٥٥١) .

---

(١) بجر اللام مع تشديدها .

ثم ذكر اصطلاحاته ورموزه إلى من نقل عنهم ، ثم ذكر أن كتابه هذا مبنى على كتب المشايخ الثلاثة : الشيخ محمد بن يعقوب ، والشيخ محمد ابن علىّ بن الحسين بن بابويه ، والشيخ محمد بن الحسن الطوسى ، ثم ذكر طريقه إليهم .

وفى آخر الكتاب ما نصه :

"وكان الفراغ من تسويد هذا الكتاب المبارك المسمى بالبرهان فى تفسير القرآن على يد مؤلفه الفهامة العلامة بحر العلوم الكامل العالم السيد هاشم بن السيد سليمان بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد الحسينى البحرانى لخزانة مؤلفه [هكذا] وفقه الله تعالى لتأليف مثله بحق محمد وآله باليوم الثالث من شهر ذى الحجة الحرام سنة الخامسة والتسعين بعد الألف من الهجرة المحمدية على مهاجرها وآله الصلاة والسلام" (جـ ٤ ، ص ٥٥١ - ٥٥٢) .

* * *

● **الكتاب فى جملته تفسير بالرواية عن آل البيت :**

من سورة الفاتحة

"روى عن أبى عبد الله فى قوله تعالى : **«اهدنا الصراط المستقيم»**(١) ، قال : الطريق هو معرفة أمير المؤمنين ، ومعرفة الإمام" (جـ ١ ، ص ٤٦) .

-"وفى رواية أخرى عنه قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته ، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله : **«وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم»**(٢) وهو أمير المؤمنين عليه السلام فى أم الكتاب فى قوله : **«الصراط المستقيم»** (جـ ١ ، ص ٤٧) .

- "وعن أبى عبد الله فى قوله تعالى : **«غير المغضوب عليهم ولا الضالين»**(٣) ، قال : المغضوب عليهم الغصَّاب ، والضالين الشكاك الذين لا يعرفون الإمام" (جـ ١ ، ص ٤٧) .

* * *

سورة البقرة

"عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى : **«ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين»**(٤) . قال : الكتاب علىّ لا شك فيه ، **«هدى للمتقين»** ، قال :فيه تبيان لشيعتنا" (جـ ١ ، ص ٥٣) .

- "وعنه فى قوله تعالى : **«الذين يؤمنون بالغيب»**(٥) قال : من آمن بقيام القائم عليه السلام أنه حق" (جـ ١ ، ص ٥٣) .

---

(١) الفاتحة : ٦
(٢) الزخرف : ٤.
(٣) الفاتحة : ٧ .
(٤) البقرة : ١ ، ٢ .
(٥) البقرة : ٣ .

- "وفى رواية عن الصادق : أن الغيب هو الحجة الغائب ، وذلك فى قوله تعالى : **«ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ، فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم من المنتظرين»**[1] (جـ ١ ، ص ٥٣ - ٥٤) .

- "وعند قوله تعالى : **«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم»**[2] ، روى عن الإمام العسكرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيكم وقى بنفسه نفس رجل مؤمن البارحة ؟ فقال على عليه السلام : أنا هو يا رسول الله ، وقيت بنفسى نفس ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حدّث بالقصة إخوانك المؤمنين ولا تكشف عن اسم المنافقين الكائدين لنا فقد كفاكم الله شرهم وأخرهم للتوبة لعلهم يتذكروا أو يخشوا" .

فقال علىّ عليه السلام : إننى بينا أسير فى بنى فلان بظاهر المدينة وبين يدى بعيداً منى ثابت بن قيس ، إذ بلغ بئراً عارية قديمة بعيدة القصر ، وهناك رجل من المنافقين فدفعه ليرميه فى البئر فتماسك ثابت بى ، ثم عاد فدفعه والرجل لا يشعر بى حتى وصلت إليه وقد اندفع ثابت فى البئر ، فكرهت أن أشتغل بطلب المنافقين خوفاً على ثابت فوقعت فى البئر لعلى آخذه ، فنظرت فإذا أنا قد سبقته إلى قرار البئر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وكيف لا تسبقه وأنت أرزن منه ، ولو لم يكن من رزانتك إلا ما فى جوفك من علم الأولين والآخرين الذى أودع الله رسوله لكان من حقك أن تكون أرزن من كل شئ ، فكيف كان حالك وحال ثابت" ؟

قال : يا رسول الله ، فصرت إلى البئر واستقررت قائماً وكان ذلك أسهل علىّ وأخف على رجلى من خطاى التى كنت أخطوها رويداً رويداً ،

---

(١) يونس : ٢٠ .   (٢) البقرة : ٧ .

ثم جاء ثابت فانحدر فوقع على يدى وقد بسطتها إليه ، وخشيت أن يضرنى سقوطه علىّ أو يضره ، فما كان إلا كطاقة ريحان تناولتها بيدى ، ثم نظرت فإذا ذلك المنافق ومعه آخران على شفير البئر وهو يقول لهما : أردنا واحداً فصارا اثنين ، فجاءوا بصخرة فيها مائة "مَنٌ" فأرسلوها فخشيت أن تصيب ثابتاً فاحتضنته وجعلت رأسه إلى صدرى وانحنيت عليه فوقعت الصخرة على مؤخر رأسى فما كانت إلا كترويحة بمروحة تروحت بها فى حمارة القيظ ، ثم جاءوا بصخرة أخرى فيها قدر ثلاثمائة "مَنٌ" فأرسلوها علينا وانحنيت على ثابت فأصابت مؤخر رأسى فكان كماء صب على رأسى وبدنى فى يوم شديد الحر ، ثم جاءوا بصخرة ثالثة فيها قدر خمسمائة "مَنٌ" يديرونها على الأرض لا يمكنهم أن يقلبوها فأرسلوها علينا فانحنيت على ثابت فأصابت مؤخر رأسى وظهرى فكانت كثوب ناعم صببته على بدنى ولبسته فنعمت به ، فسمعتهم يقولون : لو أن لابن أبى طالب وابن قيس مائة ألف روح ما نجت منها واحدة من بلاء هذه الصخور ، ثم انصرفوا فدفع الله عنا شرهم ، فأذن الله لشفير البئر فانحط ، ولقرار البئر فارتفع ، فاستوى القرار والشفير بعد بالأرض فخطونا وخرجنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا الحسن ، إن الله عز وجل أوجب لك من الفضائل والثواب ما لا يعرفه غيره ، ينادى مناد يوم القيامة : أين محبو علىّ بن أبى طالب ؟ فيقوم قوم من الصالحين فيقال لهم : خذوا بأيدى من شئتم من عرصات يوم القيامة فأدخلوهم الجنة ، وأقل رجل منهم ينجو بشفاعته من أهل تلك العرصات ألف ألف رجل ، ثم ينادى مناد : أين البقية من محبى علىّ بن أبى طالب ؟ فيقوم قوم مقتصدون فيقال لهم : تمنوا على الله ما شئتم فيتمنون فيفعل بكل واحد منهم ما تمناه ثم يضعف له مائة ألف ضعف ، ثم ينادى مناد : أين البقية من محبى على بن أبى طالب ؟ فيقوم قوم ظالمون لأنفسهم معتدون عليها ، ويقال : أين المبغضون لعلىّ بن أبى طالب ؟ فيؤتى بهم جم غفير وعدد كثير ، فيجعل كل ألف من هؤلاء فداء لواحد من محبى

عليّ بن أبى طالب عليه السلام ليدخلوا الجنة ، فينجى الله عز وجل محبيك ويجعل أعداءهم فداءهم .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام : "انظر" ، فنظر إلى عبد الله بن أبىّ وإلى سبعة من اليهود ، قال : قد شاهدت ، ختم الله على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنت يا عليّ أفضل شهداء الله فى الأرض بعد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، قال : فذلك قوله : **«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة»** تبصرها الملائكة فيعرفونهم بها ، ويبصرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبصرها خير خلق الله بعده عليّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم قال : **«ولهم عذاب عظيم»** فى الآخرة ، **«بما كانوا يكذبون»** من كفرهم بالله وكفرهم بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم" (جـ ١ ، ص ٥٨ - ٥٩) .

- "وعند قوله تعالى : **«ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين»**(١) ، يروى عن جعفر الصادق أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوقف أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام فى يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ، ثم قال : "يا عباد الله انسبوني" ، فقالوا : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ثم قال : "أيها الناس ، ألست أولى بكم من أنفسكم ، فأنا مولاكم أولى بكم من أنفسكم" ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء فقال : "اللهم إنى أستشهدك بقول هؤلاء" - ويقول ذلك ثلاث - ثم قال : "ألا فمن كنت مولاه وأولى به ، فهذا مولاه وأولى به ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله" ، ثم قال : "قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين" ، فقام ففعل ذلك وبايع له ، ثم قال : "قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين" ، فقام

---

(١) البقرة : ٧ - ١٠ .

وبايع له ، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار ، فبايعوا كلهم ، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب عليه اللعنة[1] ..

---

(١) مرة ثانية نعود لنؤكد أنه لا يجوز سب الصحابة رضوان الله عليهم فضلا عن لعنهم لقوله صلى الله عليه وسلم : "لاتسبوا أصحابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ، ولانصيفه" (متفق عليه) .

فضلا عن أنه قد وردت فى كتب السنن الكثير من فضائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فعن سعد بن أبى وقاص قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر رضى الله عنه قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ! قال : "عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب" قال عمر : فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن . ثم قال : أى عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! قلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك" (متفق عليه) .

وقد شهد له على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وُضع عمر على سريره فتكفنه الناس ، يدعون ويصلون قبل أن يُرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعنى إلا رجل آخذ منكبى ، فإذا على ، فترحم على عمر وقال : ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وإيم الله ، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أنى كنت كثيراً أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : "ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر" (متفق عليه) .

فكيف يجيز هؤلاء القوم لأنفسهم سب عمر رضى الله عنه ولعنه ، وقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ؟(البلتاجى) .

وقد دأبت الشيعة على سب الصحابة رضوان الله عليهم - ممن خالفوا علياً كرم الله وجهه - وطعنوا فيهم ...

فهذا ملا محسن الكاشى يطعن فى تفسيره على أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرميهم بما لا =

. . . .

=يليق بمؤمن فضلا عن صحابى جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل فى سبيل نصرته دمه وماله ، كما يطعن فى بنى أمية ويرميهم بكل نقيصة ، وهو فى حملته هذه مدفوع بدافع الخصومة المذهبية والنزعة الشيعية .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : **«وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون»** (البقرة : ٨٤ ، ٨٥) ... نجده يفسر الآية تفسيراً مختصراً مقبولا ، ثم يروى عن القمى "أنها نزلت فى أبى ذر – رحمة الله عليه – وفيما فعل به عثمان بن عفان وكان سبب ذلك : أنه لما أمر عثمان بنفى أبى ذر – رحمة الله عليه – إلى الربذة ، دخل عليه أبو ذر وكان عليلا وهو متكئ على عصاه ، وبين يدى عثمان مائة ألف درهم أتته من بعض النواحى ، وأصحابه حوله ينظرون اليه ويطمعون أن يقسمها فيهم ، فقال أبو ذر لعثمان : ما هذا المال ؟ فقال : حُمل إلينا من بعض الأعمال مائة ألف درهم أريد أن أضم اليها مثلها ثم أرى فيها رأيى .. قال أبو ذر : يا عثمان ، أيما أكثر ؟ مائة ألف درهم أم أربعة دنانير ؟ قال عثمان : بل مائة ألف درهم ، فقال : أما تذكر إذ أنا وأنت دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشاء فوجدناه كئيباً حزيناً فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام ، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً ، فقلت له : بأبى أنت وأمى ... دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً ، وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً ، فقال : نعم .. قد بقى عندى من فئ المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها ، وخفت أن يدركنى الموت وهى عندى ، وقد قسمتها اليوم فاسترحت . فنظر عثمان إلى كعب الأحبار فقال له : يا أبا اسحاق ، ما تقول فى رجل أدى زكاة ماله المفروضة .. هل يجب عليه فيها بعد ذلك شئ ؟ فقال : لا ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه شئ ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب ، فقال : يابن اليهودية المشركة ، ما أنت والنظر فى أحكام المسلمين ؟ قول الله عز وجل أصدق من قولك حيث قال : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»=**

. . . .

= إلى قوله : **«فذوقوا ما كنتم تكنزون»** (التوبة : ٣٤ ، ٣٥) .. قال عثمان : يا أبا ذر ، إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، ولولا صحبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلتك ، فقال : كذبت يا عثمان .. ويلك .. أخبرنى حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك .. أما عقلى فقد بقى منه ما أذكرنى حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فيك وفى قومك ، قال : وما سمعت من رسول الله فىَّ وفى قومى ؟ قال : سمعته يقول - وهو قوله صلى الله عليه وسلم - إذا بلغ آل أبى العاص ثلاثون رجلا صيروا مال الله دولا ، وكتاب الله دغلا ، وعباد الله خولا ، والصالحين حزباً ، والفاسقين حزباً . قال عثمان : يا معشر أصحاب محمد ، هل سمع أحد منكم هذا الحديث من رسول الله ؟ قالوا : لا ، ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عثمان : ادعوا علياً ... فجاء أمير المؤمنين فقال له عثمان : يا أبا الحسن اسمع ما يقول هذا الشيخ الكذاب ، فقال أمير المؤمنين : يا عثمان ، لا تقل كذاباً ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر . قال أصحاب رسول الله : صدق علىٌّ ، سمعنا هذا من رسول الله ، فعند ذلك بكى أبو ذر وقال : ويلكم .. كلكم قد مد عنقه إلى هذا المال ، ظننتم أنى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نظر إليهم فقال : من خيركم ؟ فقالوا : أنت تقول إنك خيرنا ، قال : نعم .. خلفت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره . وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة ، والله سائلكم عن ذلك ولا يسألنى ، فقال عثمان : يا أبا ذر ، أسألك بحق رسول الله إلا ما أخبرتنى عما أنا سائلك عنه ؟ فقال أبو ذر : والله لو لم تسألنى بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخبرتك ، فقال : أى البلاد أحب اليك أن تكون فيها ؟ فقال : مكة حرم الله وحرم رسوله ، أعبد الله فيها حتى يأتينى الموت ، فقال : لا ولا كرامة لك ، قال : المدينة حرم رسول الله ، فقال : لا ولا كرامة لك ، قال : فسكت أبو ذر . فقال : وأى البلاد أبغض إليك أن تكون بها ؟ قال : الربذة التى كنت بها على غير دين الإسلام ، فقال عثمان : سر إليها ، فقال أبو ذر : قد سألتنى فصدقتك ، وأنا أسألك فأصدقنى ، قال : نعم ، قال : أخبرنى لو أنك بعثتنى فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسرونى وقالوا لا نفديه إلا بثلث ما تملك ؟ .. قال : كنت أفديك ، قال : فإن قالوا : لا نفديه إلا بكل ما تملك ، قال : كنت أفديك ، فقال أبو ذر : الله أكبر .. قال لى حبيبى=

. . . .

=رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً : يا أبا ذر ، كيف أنت إذا قيل لك أى البلاد أحب اليك أن تكون فيها ؟ فتقول مكة حرم الله وحرم رسوله .. أعبد الله فيها حتى يأتينى الموت ، فيقال : لا ولا كرامة لك ، فتقول المدينة حرم رسول الله ، فيقال : لا ولا كرامة لك ، ثم يقال لك : فأى البلاد أبغض اليك أن تكون فيها ؟ فتقول : الربذة التى كنت بها على غير دين الاسلام ، فيقال لك : سر إليها ، فقلت : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ فقال : والذى نفسى بيده إنه لكائن ، فقلت : يا رسول الله أفلا أضع سيفى على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً ؟ قال : لا .. اسمع واسكت ولو لعبد حبشى ، وقد أنزل الله فيك وفى عثمان خصمك آية ، فقلت : وما هى يا رسول الله ؟ فقال : قول الله .... وتلا الآية" (جـ ١ ، ص ٤٢ ، ٤٣) .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى : **«ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا»** ... الآية (التوبة : ٤٠)، نجده لا يعترف بهذه المنقبة لأبى بكر ، رضى الله عنه ويحاول بكل جهوده أن يأخذ منها مغمزاً وطعناً على أبى بكر ، وذلك حيث يقول ما نصه : **«إذ يقول لصاحبه»** .. وهو أبو بكر **«لا تحزن»** .. لا تخف **«إن الله معنا»**... بالعصمة والمعونة .. فى الكافى عن الباقر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول لأبى بكر فى الغار : اسكن فإن الله معنا ، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن ، فلما رأى رسول الله حاله قال له : تريد أن أريك أصحابى من الأنصار فى مجالسهم يتحدثون ؟ وأريك جعفر وأصحابه فى البحر يغوصون ؟ قال : نعم ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون ، وإلى جعفر وأصحابه يغوصون ، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر **«فأنزل الله سكينته»** .. أمنته التى تسكن إليها القلوب **«عليه»** .. فى الكافى عن الرضا : أنه قرأها "على رسوله" قيل له : هكذا ؟ قال : هكذا نقرؤها ، وهكذا تنزيلها . والعياشى عنه : إنهم يحتجون علينا بقوله تعالى **«ثانى اثنين إذ هما فى الغار»** وما لهم فى ذلك من حجة ، فو الله لقد قال الله " فأنزل الله سكينته على رسوله" وما ذكره فيها بخبر ، قيل : هكذا تقرأونها ؟ قال : هكذا قرأتها" (جـ ١ ، ص ٢٥٧) .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى : **«يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك»** .. الآيات إلى قوله : **«فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ، قال نبأنى العليم الخبير»** (التحريم : ١ - ٣) .. نراه ينقل عن القمى فى سبب=

. . . .

=نزول هذه الآية "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بعض بيوت نسائه ، وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه ، وكانت ذات يوم فى بيت حفصة ، فذهبت حفصة فى حاجة لها ، فتناول رسول الله مارية ، فعلمت حفصة بذلك فغضبت ، وأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ... فى يومى ؟ وفى دارى وعلى فراشى ؟ فاستحى رسول الله منها فقال : كفى فقد حرمت مارية على نفسى ، ولا أطؤها بعد هذا أبدا ، وأنا أفضى اليك سراً إن أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فقال : نعم .. ما هو ؟ فقال : إن أبا بكر يلى الخلافة بعدى ، ثم بعده أبوك ، فقالت : من أنبأك هذا ؟ قال : نبأنى العليم الخبير ، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك ، وأخبرت عائشة أبا بكر فجاء أبوبكر إلى عمر فقال له : إن عائشة أخبرتنى عن حفصة بشىء ولا أثق بقولها فاسأل أنت حفصة ، فجاء إلى حفصة فقال لها : ما هذا الذى أخبرت عنك عائشة ، فأنكرت ذلك وقالت : ما قلت لها من ذلك شيئاً ، فقال لها عمر : إن ذلك حق فأخبرينا حتى نتقدم فيه ، فقالت : نعم ... قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا أربعة على أن يسموا رسول الله ، فنزل جبريل على رسول الله بهذه السورة ، قال : **«وأظهره الله عليه»** .. يعنى أظهره على ما أخبرت به وما هموا به من قتله **«عرف بعضه»** .. أخبرها وقال : لم أخبرت بما أخبرتك ؟ **«وأعرض عن بعض»** .. قال : لم يخبرهم بما يعلم مما هموا به من قتله" (جـ ٢ . ص . ٣٢) .

ويطعن السيد عبد الله العلوى الشهير بـ"شبر" على الصحابة ويرميهم بالكفر أو ما يقرب منه ، ويجردهم من كل فضل نسب إليهم فى القرآن تنقيصاً لهم ، وحطاً من قدرهم .

فمثلا عندتفسيره لقوله تعالى : **«..ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها»** ... الآية (التوبة : ٤٠) نجده يعرض عن تعيين هذا الذى صحب النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، وهو أبوبكر ، ثم يصرح أو يلمح بما ينقص من قدره ، أو يذهب بفضلة المنسوب إليه والمنوه به فى القرآن الكريم فيقول : **«ثانى اثنين»** .. حال أى معه واحد لا غير **«إذ هما فى الغار»** .. نقب فى ثور ، وهو جبل بقرب مكة ، **«إذ»** .. بدل ثان **«يقول لصاحبه»** .. ولا مدح فيه إذ قد يصحب المؤمن الكافر كما قال **«قال له صاحبه وهو يحاوره»** (الكهف : ٣٧) .. **«لا تحزن»** .. فإنه خاف على=

فقال : بخ بخ لك يابن أبى طالب ، أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ثم تفرقوا عن ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق . ثم إن قوماً من متمردى جبابرتهم تواطئوا بينهم إن كان لمحمد صلى الله عليه وسلم كائنة ليدفعن هذا الأمر عن علىّ عليه السلام ولا يتركونه له ، فعرف الله ذلك فى قلوبهم ، وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : لقد أقمت علينا أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا ، وكفيتنا مؤنة الظلمة والجبابرة فى سياستنا ، وعلم الله فى قلوبهم خلاف ذلك مواطأة بعضهم لبعض أنهم على العداوة مقيمون ، ولدفع الحق عن مستحقه مؤثرون ، فأخبر الله عز وجل محمداً عنهم فقال : يا محمد : **«من الناس من يقول آمنا بالله»** الذى أمرك بنصب علىّ عليه السلام إماماً وسائساً لأمتك ومدبراً ، **«وما هم بمؤمنين»** بذلك ولكنهم مواطئون على هلاكك وإهلاكه ، يواطئون أنفسهم على التمرد على علىّ عليه السلام إن كانت بك كائنة" (جـ ١ ، ص ٥٩) .

ثم ساق تفسير الآيات بعد على هذا النحو الغريب العجيب ، وذكر أن "الجبال انقلبت لعلىّ بن أبى طالب فضة ، ثم ذهباً ، ثم مسكاً وعنبراً وجواهر ويواقيت ، ونادته انها مسخرات له فليأمرها بما يشاء ، وأنها نادته بأن له عند الله من الشأن العظيم ما لو سأل الله أن يحط السماء إلى الأرض أو ينقل الأرض إلى السماء لفعل ...... وأن هذا كله وغيره وقع أمام القوم وشاهدوه فمرضت قلوبهم بالإضافة إلى مرض أجسامهم لما شاهدوه من فضل علىّ ، فقال الله عند ذلك : **«فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً»** .. الخ " (جـ ١ ، ص ٦٠ ، ٦١) .

=نفسه وقبض واضطرب حتى كاد أن يدل عليهما فنهاه عن ذلك **«إن الله معنا»** .. عالم بنا **«ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم»** .. إلى قوله : "**إلا هو معهم»** (المجادلة : ٧) .. أى عالم بهم **«فأنزل الله سكينته»** . طمأنينته **«عليه»** .. على الرسول .. وفى إقرانه صلى الله عليه وسلم ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفى ، وجعل الهاء لصاحبه بنفيه كونها للرسول قبل وبعد" (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٨ ، ١٨٤ - ١٨٥) .

- وعند تفسيره لقوله تعالى فى سورة البقرة : **«إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ، وما يضل به إلا الفاسقين»**[1] .. قال ما نصه : "على بن إبراهيم قال : حدثنى أبى عن النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان عن معلى بن خنيس عن أبى عبد الله عليه السلام : أن هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام ، وما فوقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك قوله : **«فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم»** يعنى أمير المؤمنين كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الميثاق عليهم له ، **«وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً»** فرد الله عليهم فقال : **«وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه»** فى على **«ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل»** يعنى من صلة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام **«ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون»** (جـ ١ ، ص ٧٠) .

* * *

● انتقام الله والقائم من ذرية قتلة الحسين :

وعند تفسيره لقوله تعالى فى سورة البقرة : **«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين»**[2] قال ما نصه : "...عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى : **«لا عدوان إلا على الظالمين»** قال : أولاد قتلة الحسين عليه السلام" .

---

(١) البقرة : ٢٦ ، ٢٧ .   (٢) البقرة : ١٩٣ .

- "وعن عبد السلام بن صالح الهروى قال : قلت لأبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام : يابن رسول الله ، ما تقول فى حديث روى عن الصادق عليه السلام أنه قال : إذا قام القائم عليه السلام ، قتل ذرارى قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها ، فقال : هو كذلك ، قلت : فقول الله عز وجل : **«ولا تزر وازرة وزر أخرى»**[1] ما معناه ؟ فقال : صدق الله فى جميع أقواله، لكن ذرارى قتلة الحسين يرضون فعال آبائهم ويفتخرون بها ، ومن رضى شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أن رجلا قتل فى المشرق فرضى بقتله رجل فى المغرب لكان الراضى عند الله عز وجل شريك القاتل ، وإنما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم ، قال : فقلت له : بأى شئ يبدأ القائم فيكم ؟ [هكذا] قال : يبدأ ببنى شيبة ويقطع أيديهم لأنهم سراق بيت الله عز وجل" (جـ ١ ، ص ١٩١) .

* * *

سورة آل عمران

- **النقص فى القرآن :**

"عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة آل عمران : **«إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»**[2] قال ما نصه :

"الشيخ فى أماليه عن أبى محمد الفحام قال : حدثنى محمد بن عيسى عن هارون قال : حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام يقرأ [هكذا] : "إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين" قال : هكذا نزلت .

"على بن إبراهيم قال العالم عليه السلام : نزل : "آل عمران وآل محمد على العالمين" فأسقطوا آل محمد من الكتاب" . (جـ ١ ، ص ٢٧٧) .

* * *

(١) الأنعام : ١٦٤ .

(٢) آل عمران : ٣٣ .

سورة النساء

وعند تفسيره لقوله تعالى فى سورة النساء : **«إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا»**[1] ، قال ما نصه : "عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله عز وجل : «إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم» [هكذا فى الأصل] قال : نزلت فى فلان وفلان وفلان ، آمنوا بالنبى فى أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام ، ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقروا بالبيعة ، ثم ازداودا كفراً بأخذهم من بايعهم بالبيعة لهم ، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شئ" (ج ١ ، ص ٤٥١) .

* * *

سورة المائدة

وعند قوله تعالى فى أول سورة المائدة : **«يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»**[2] يقول ما نصه : "عن عكرمة أنه قال : ما أنزل الله جل ذكره : **«يا أيها الذين آمنوا»** إلا ورأسها علىّ بن أبى طالب عليه السلام" .

– "عن عكرمة عن ابن عباس قال : "ما نزلت آية : **«يا أيها الذين آمنوا»** إلا وعلىّ شريفها وأميرها ، ولقد عاتب الله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى غير مكان ، وما ذكر علياً إلا بخير" .

– "وفى صحيفة الرضا عليه السلام قال : ليس فى القرآن آية : **«يا أيها الذين آمنوا»** إلا فى حقنا" .

---

(١) النساء : ١٣٧ .　　(٢) المائدة : ١ .

- "...عن أبي جعفر في قوله : **«يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»** ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عليهم لعليّ عليه السلام بالخلافة في عشرة مواطن ، ثم أنزل الله : "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود التي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام" (جـ ١ ، ص ٤٣١) .

- وعند قوله في سورة المائدة : **«ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين»**[١] يقول ما نصه : "...عن أبي حمزة قال : سألت أبا جعفر عن -ول الله تبارك وتعالى : **«ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين»** قال : تفسيرها في بطن القرآن : ومن يكفر بولاية عليّ عليه السلام ، وعليّ هو الإيمان" (جـ ١ ، ص ٤٥٠) .

- وعند قوله تعالى في سورة المائدة : **«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»**[٢] ، قال ما نصه : "... العياشي عن أبي جميلة عن بعض أصحابه عن أحدهما عليه السلام قال : قد فرض الله في الخمس نصيبا لآل محمد فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة ، وقد قال الله : **«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»** وكان أبوبكر أول من منع من آل محمد حقهم فظلمهم وحمل الناس على رقابهم ، ولما قبض أبو بكر استخلف عمر على غير شورى من المسلمين ولا رضا من آل محمد فعاش عمر بذلك لم يعط آل محمد حقهم وصنع ما صنع أبوبكر" (جـ ١ ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨) .

- وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة المائدة : **«إنما وليكم الله ورسوله»** .. الآية [٣] يقول ما نصه : "...عن أبي جعفر عليه السلام قوله عز وجل : **«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»** قال : إن رهطاً من اليهود أسلموا ، منهم عبد الله بن سلام ، وأسيد بن ثعلبة ،

(١) المائدة : ٥ . (٢) المائدة : ٤٧ .
(٣) المائدة : ٥٥ .

وابن يامين ، وابن صوريا ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يانبى الله ، إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون ، فمن وصيك يا رسول الله ومن ولينا بعدك ؟ فنزلت هذه الآية : **«إنما وليكم الله ورسوله»** – إلى قوله : **«وهم راكعون»** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا ، فقاموا وأتوا المسجد فإذا سائل خارج فقال : يا سائل ، ما أعطاك أحد شيئاً ؟ قال : نعم ، هذا الخاتم ، قال : "ومن أعطاكه" ؟ قال : أعطانيه ذلك الرجل الذى يصلى ، قال : "على أى حال أعطاك" ؟ قال : راكعاً .. فكبَّر النبى صلى الله عليه وسلم وكبَّر أهل المسجد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "علىّ بن أبى طالب وليكم بعدى" ، قالوا : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبعلىّ بن أبى طالب ولياً ، فأنزل الله عز وجل : **«ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون»**[1] ، فروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل الله فىّ ما نزل فى علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فما نزل" (جـ ١ ، ص ٤٨) .

---

(١) المائدة : ٥٦ .

ويقول فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى " بدهى أن هذا الأتجاه فى تفسير ما سبق من الآيات ، إنما دفع قائليه إليه ما يعتقدون فى الإمامة والأئمة .

ولسنا بحاجة إلى الإطالة فى إبطال هذا الاتجاه ، بعد ما أثبت لنا علماء الحديث ونقاده ، أن كل الروايات فى ولاية على ليس لها أساس من الصحة ، وأنها من وضع الشيعة أنفسهم ليروِّجوا بها مذهبهم فى الإمامة والأئمة .

ثم ألا ترى معى أن ما ذكره البحرانى فى آخر روايته لحديث الولاية من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : "والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل الله فىّ ما نزل فى على بن أبى طالب عليه السلام فما نزل" فيه رائحة الكذب والافتراء على عمر رضى الله عنه؟ (الاتجاهات المنحرفة ، ص ٥٨) .

ولا يفوتنا أن ننبه على أن الكثير من الأحاديث التى يرويها الشيعة فى تفاسيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أهل البيت كشاهد لصحة ما يقولون ، هى فى الغالب مكذوبة موضوعة لا أصل لها ، وقد مر بك الكثير من هذه الروايات ، وهى ناطقة على نفسها بالوضع ، فلست فى حاجة إلى بيان=

. . . .

=وضعها بميزان نقد الرواة ، إذ نحن في غنى عن هذا بعد ما حمل الحديث تكذيب نفسه بنفسه في ثنايا ألفاظه ومعانيه . والمصنف بعد هذا لا يفوته أن يذكر فى نهاية تفسير كل سورة من الروايات عن أهل البيت ما يشهد لفضل هذه السورة ، وما أعد الله لقارئها من الأجر والثواب ، وفي اعتقادى أن هذه الروايات لا تعدو أن تكون مكذوبة كالروايات المنسوبة إلى أبيّ وابن عباس فى فضائل السور ، وليس بغريب أن يذكروا مثل هذه الروايات المكذوبة فى تفاسيرهم بعد ما سودوا كتبهم من أولها إلى آخرها بالأحاديث الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته عليهم رضوان الله .

كما لا يفوتنا أن نقول : إن الطبرسي – مثلا – لم يكن صادقاً فى وصفه لكتابه هذا بأنه محجة للمحدث ، ذلك لأنا تتبعناه فوجدناه غير موفق فيما يروى من الأحاديث فى تفسيره ، فقد أكثر من ذكر الموضوعات ، خصوصاً ما وضعه الشيعة ونسبوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم أو إلى أهل البيت مما يشهد لمعتقداتهم ويدل على تشيعهم . وإذا نحن تتبعنا ما يرويه من الأحاديث فى فضائل السور لوجدناه قد وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من الاغترار بما جاء من الأحاديث فى فضائل السور مسنداً إلى أبيّ وغيره ، ومرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم .

كذلك لوتتبعنا هذا التفسير لوجدنا صاحبه يروى فى تفسيره من الأحاديث ما يشهد لمذهبه أو يتصل به ، وهى أخبار نقرؤها ولا نكاد نرى عليها صبغة الصدق ورواء الحق .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : **«إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد»** (الرعد : ٧) .. نجد أنه يذكر من الروايات ما هو موضوع على ألسنة الشيعة ، ثم يمر عليها بدون تعقيب منه ، مما يدل على أنه يصدقها ويقول بها . فهو بعد أن ذكر أقوالا أربعة فى معنى هذه الآية نقل عن ابن عباس أنه قال : "لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا المنذر وعليّ الهادى من بعدى ، يا عليّ ... بك يهتدى المهتدون" . ونقل بسنده إلى أبى بردة الأسلمى أنه قال : "دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهور وعنده عليّ بن أبى طالب ، فأخذ رسول الله بيد عليّ بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال : **«إنما أنت منذر»** .. ثم ردها إلى صدره ، ثم قال : **«ولكل قوم هاد»** .. ثم قال : إنك منارة الأنام ، وغاية الهدى ، وأمير القرى وأشهد على ذلك أنك كذلك" (جـ ٢ ، ص ٥) .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى : **« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا=**

. . . .

= **المودة فى القربى»** (الشورى : ٢٣) .. نجده يذكر أقوالا ثلاثة فى معنى هذه الآية :

أحدها : لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً إلا التوادد والتحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح .

وثانيها : أن معناه : إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وتحفظونى لها .

وثالثها : إلا أن تودوا قرابتى وتحفظونى فيهم .. وهنا يسوق من الروايات عن أهل البيت وغيرهم مما يصرح بأن الذين أمر الله بمودتهم : علىّ وفاطمة وولدهما ، ويروى فيما يروى هذا الحديث الغريب الذى نقله من كتاب "شواهد التنزيل لقواعد التفضيل" مرفوعاً إلى أبى أمامة الباهلى .. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى ، وخُلقت أنا وعلىّ من شجرة واحدة ، فأنا أصلها ، وعلىّ فرعها ، وفاطمة لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، وأشياعنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاغ عنها هوى ، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالى ، ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخريه فى النار ، ثم تلا : **«قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى»** (جـ ٢ ، ص ٣٨٧ - ٣٨٩) .

وكثيراً ما يروى الطبرسى فى تفسيره الروايات الإسرائيلية معزوة إلى قائليها ونلاحظ عليه أنه يذكرها بدون أن يعقب عليها ،.. اللهم إلا إذا كانت مما يتنافى مع العقيدة ، فإنه ينبه على كذب الرواية ، ويبين ما فيها من مجافاتها للحق وبعدها عن الصواب ، فمثلا عند قوله تعالى : **«وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . إذ دخلوا على داوود»** ... الآيات (سورة ص : ٢١ ، ٢٢) نجده يقول : "واختلف فى استغفار داوود من أى شئ كان ، إنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود ، كما أخبر سبحانه عن إبراهيم بقوله : **«والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين»** (الشعراء : ٨٢) . وأما قوله : **«فغفرنا له ذلك»** ..فالمعنى : أنا قبلناه منه وأثبتناه ، فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله : **«يخادعون الله وهو خادعهم»** (النساء : ١٤٢) .. وقوله : **«الله يستهزئ بهم»** (البقرة : ١٥) . فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل فى جوابه : غفرنا . وهذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم . ومن جوّز على الأنبياء الصغائر قال : إن استغفاره كان لذنب صغير وقع منه ، ثم=

. . . .

=إنهم اختلفوا في ذلك على وجوه :

أحدها : أن أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه ، فبلغ داوود جمالها فخطبها أيضاً فزوجوها منه ، فقدموه على أوريا ، فعوتب داوود على الدنيا ... عن الجبائى .

وثانيها : أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته ، فعوتب على ذلك بنزول الملكين .

وثالثها : أنه كان فى شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأته فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزوج بها ، فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج .. فلما قُتل أوريا خطب داوود امرأته ومنعت هيبة داوود وجلالته أولياءه من أن يخطبوها فعوتب على ذلك .

ورابعها : أن داوود كان متشاغلا بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك مباح ، فمالت نفسه إليها ميل الطباع ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه ، فشغله الفكر فى أمرها عن بعض نوافله فعوتب .

وخامسها : أنه عوتب على عجلته فى الحكم قبل التثبت ، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها ويحكم عليه قبل ذلك ، وإنما أنساه التثبت فى الحكم فزعه من دخولهما عليه فى غير وقت العادة .

وأما ما ذكر فى القصة أن داوود كان كثير الصلاة فقال : يارب فضلت عليَّ إبراهيم فاتخذته خليلا ، وفضلت على موسى فكلمته تكليماً . فقال : يا داوود إنا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتليت ، فقال : نعم يارب فابتلنى ، فبينما هو فى محرابه ذات يوم وقعت حمامة ، فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب ، فذهب ليأخذها فأطلع من الكوة فإذا بامرأة أوريا بن حيان تغتسل فهواها وهم بتزوجها ، فبعث بأوريا إلى بعض سراياه وأمر بتقديمه أمام التابوت الذى فيه السكينة ففعل ذلك وقُتل ، فلما انقضت عدتها تزوجها وبنى بها فولد له منها سليمان ، فبينا هو ذات يوم فى محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلان ففزع منهما ، فقالا : **«لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض»** إلى قوله : **«وقليل ما هم»** ..(سورة ص : ٢٢ - ٢٤) ، فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبه داوود على أنهما ملكان بعثهما الله إليه فى صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه ، فمما لا=

= شبهة فى فساده ، فإن ذلك مما يقدح فى العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله تعالى الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته وعلى حالة تنفر عن الاستماع إليه والقبول منه ؟ جل أنبياء الله عن ذلك . وقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال : لا أوتى برجل يزعم أن داوود تزوج امرأة أوريا إلا جلدته حدين ، حداً للنبوة وحداً للإسلام" (جـ ٢ ، ص ٣٤٩) .

والطبرسى مع أنه فى كتابه هذا يفسر القرآن تفسيراً يتمشى مع الظاهر المتبادر إلى الذهن إلا أنا نلاحظ عليه أحياناً أنه يذكر المعانى الباطنية ، أو بعبارة أخرى يذكر التفسير الرمزى الذى يقول به الشيعة ، وهو وإن كان ناقلا لهذه الأقوال إلا أنه يرتضيها ولا يرد عليها ، كثيراً ما يؤيدها بأدلة من عنده .

مثال ذلك أنه عندما فسر قوله تعالى : **«الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح»** ... الآية (النور : ٣٥) ، نجده يقول بعد كلام طويل : "واختلف فى هذا المشبه والمشبه به على أقوال ... ثم ذكر هذه الأقوال ، فكان من جملة ما ذكره هذه الروايات التى لا تعدو أن تكون من وضع الشيعة ، وهى ما روى عن الرضا أنه قال : "نحن المشكاة فيها المصباح محمد صلى الله عليه وسلم يهدى الله لولايتنا من أحب" . وما نقله من كتاب التوحيد لأبى جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبى جعفر الباقر فى قوله : **«كمشكاة فيها مصباح»** .. قال : نور العلم فى صدر النبى **«المصباح فى زجاجة»** .. الزجاجة صدر علىّ، صار علم النبى إلى صدر علىّ ، علم النبى علياً **«يوقد من شجرة مباركة»** .. نور العلم **«لا شرقية ولا غربية»** .. لا يهودية ولا نصرانية **«يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار»** .. قال : يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم قبل أن يُسئل **«نور على نور»** ، أى إمام مؤيد بنور العلم والحكمة فى إثر إمام من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، ذلك من النبى آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة . فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء فى أرضه ، وحججه على خلقه ، لا تخل الأرض فى كل عصر من واحد منهم ، ويدل عليه قول أبى طالب :

أنـت الأميـر محمد — قـرم أغر مسود
لمسـودين أطـاهر — كرموا وطاب المولد
أنت السعيد من السعو — د تكنفتك الأسعد
من لـدن آدم لم يزل — فينـا وصـى مرشد
ولقـد عرفتك صادقا — والقـول لا يتفنـد
مازلـت تنطـق بالصوا — ب وأنت طفل أمرد =

- وعند تفسيره لقوله تعالى فى سورة المائدة : **«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ...»** إلى قوله : **«إن الله لا يهدى القوم الكافرين»**[1] ، قال ما نصه : "...عن أبى الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : فرض الله عز وجل على العباد خمساً ، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة ، قلت : أتسميهن لى . جعلت فداك ؟ فقال : الصلاة ، وكان الناس لا يدرون كيف يعملون فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ، أخبرهم بمواقيت صلواتهم ، ثم نزلت الزكاة فقال : يا محمد ، أخبرهم عن زكاتهم مثل ما أخبرتهم عن صلاتهم ، ثم نزل الصوم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى من حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم ، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال ، ثم نزل الحج فنزل جبريل فقال : أخبرهم عن حجهم مثل ما أخبرتهم عن صلاتهم وزكاتهم وصومهم ، ثم نزلت الولاية ، وإنما آتاه ذلك فى يوم الجمعة بعرفة ، أنزل الله تعالى : **«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى»**[2] ، وكان كمال الدين بولاية على بن أبى طالب فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أمتى حديثو عهد بالجاهلية ، ومتى أخبرتهم بهذا فى ابن عمى يقول قائل ، ويقول قائل ، فقلت فى نفسى من غير أن ينطق به لسانى ، فأتتنى عزيمة من الله عز وجل بتلة أوعدنى إن لم أبلغ أن يعذبنى [هكذا العبارة بالأصل] فنزلت : **«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين»** فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بيد علىّ عليه السلام فقال : "يا أيها الناس ، إنه لم يكن نبى من الأنبياء

= تحقيق هذه الجملة يقتضى أن الشجرة المباركة المذكورة فى الآية هى دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والإيمان ، شجرة أصلها النبوة ، وفرعها الإمامة ، وأغصانها التنزيل ، وأوراقها التأويل ، وخدمها جبريل وميكائيل" . (التفسير والمفسرون جـ ٢ ، ص ١٣١ - ١٣٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ بتصرف)

(١) المائدة : ٦٧ .
(٢) المائدة : ٣

فيمن كان قبلى إلا وقد عمّره الله تعالى ثم دعاه فأجابه ، فأوشك أن أدعى فأجيب ، وأنا مسئول وأنتم مسئولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ فقالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين . فقال : "اللهم اشهد" - ثلاث مرات - ثم قال : "يا معشر المسلمين ، هذا وليكم من بعدى فلبلغ الشاهد منكم الغائب" . قال أبو جعفر عليه السلام : كان والله أمين الله على خلقه وعيبة علمه ودينه الذى ارتضاه لنفسه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضره الذى حضره فدعا علياً فقال : "يا على ، إنى أريد أن أئتمنك على ما ائتمننى الله عليه من غيبة علمه ومن خلقه ومن دينه الذى أرتضاه لنفسه ، فلم يشرك والله فيها - يازياد - أحداً من الخلق ، ثم إن علياً حضره الذى حضره فدعا ولده وكانوا اثنى عشر ذكراً ،فقال لهم : يابنى ، إن الله عز وجل قد أبى إلا أن يجعل فىّ سنة من يعقوب ، وإن يعقوب دعا ولده وكانوا اثنى عشر ذكراً فأخبرهم بصاحبهم ألا إنى أخبركم بصاحبكم ، ألا إن هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ، فاسمعوا لهما وأطيعوا ووازروهما فإنى قد أئتمنتهما على ما ائتمننى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذى ارتضاه لنفسه ، فأوجب الله لهما من علىّ عليه السلام ما أوجب لعلىّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لأحد منهما فضل على صاحبه إلا بكبره ، وإن الحسين عليه السلام كان إذا حضر الحسن عليه السلام لم ينطق فى ذلك المسجد حتى يقوم ، ثم إن الحسن حضره الذى حضره فسلم ذلك إلى الحسين ، ثم إن حسيناً حضره الذى حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليها السلام فدفع اليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة ، وكان على بن الحسين عليه السلام مبطوناً لا يرون إلا أنه لما به ، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علىّ بن الحسين عليه السلام ، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا" (جـ ١ ، ص ٤٨٨) .

* * *

● **فضائل السور :**

سورة الأعراف

فى أول تفسيره لسورة الأعراف يذكر روايات فى فضائل السورة منها : "...عن أبى عبد الله عليه السلام قال : من قرأ سورة الأعراف فى كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فإن قرأها فى كل جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيامة لأن فيها محكماً ، فلا تدعوا قراءتها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها" (جـ ٢ ، ص ٢) .

– وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قرأ هذه السورة جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً و وكان لآدم رفيقاً ، ومن كتبها بماء ورد وزعفران وعلقها عليه لم يضر به سبع ولا عدو ما دامت عليه بإذن الله" (جـ ٢ ، ص ٢) .

– وعند تفسيره لقوله تعالى فى أول سورة الأعراف : **«المص»** قال ما نصه : "...أتى رجل من بنى أمية – لعنهم الله[1] وكان زنديقاً – إلى جعفر بن محمد عليه السلام فقال له : قول الله عز وجل فى كتابه **«المص»** أى شئ أراد بهذا ؟ وأى شئ فيه من الحلال والحرام ؟ وأى شئ فيه مما ينتفع به الناس ؟ قال : فاغتاظ عليه السلام من ذلك فقال : أمسك ويحك ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، كم معك ؟ فقال الرجل : مائة وإحدى وستون . فقال عليه السلام : إذا انقضت سنة إحدى وستين ومائة ينقضى ملك أصحابك ، قال : فنظرنا ، فلما انقضت سنة إحدى وستين ومائة ، يوم عاشوراء ، دخل المسودة الكوفة وذهب ملكهم" (جـ ٢ ، ص ٣) .

* * *

---

(١) وهذا شأنهم دائماً مع مخالفيهم ، تراهم يوزعون اللعنات بغير حساب .

سورة الرعد

وفى سورة الرعد عند قوله تعالى : **«أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى»**[1] ، يقول : ".. عن مروان عن السدى عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى : **«أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى»** قال عليّ عليه السلام : " كمن هو أعمى" قال : الأول " (جـ ٢ ، ص ٢٨٧) .

* * *

سورة إبراهيم

وعند قوله تعالى فى سورة إبراهيم : **«ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء»** .. الخ الآية[2] ، يقول ما نصه : "... عن عمرو بن حريث قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : **«كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء»** قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا أصلها وأمير المؤمنين فرعها والأئمة من ذريتهما أغصانها وعلم الأئمة ثمرتها وشيعتهم المؤمنون ورقها" هل فى هذا فضل؟ قال : قلت : لا والله ، قال : والله ، إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها ، وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها" (جـ ٢ ، ص . ٣١) .

- وساق رواية أخرى بعد ذلك وفيها : "إن المولود ليولد من شيعتنا فتورق ورقة منها ، وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها" (جـ ٢ ، ص . ٣١) .

- وفى رواية بعدها قال : "قلت له : جعلت فداك ، قوله : **«تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها»** قال : هو ما يخرج من الإمام من الحلال والحرام فى كل سنة إلى شيعته" (جـ ٢ ، ص . ٣١) .

---

(١) الرعد : ١٩ .

(٢) إبراهيم : ٢٤ وما بعدها .

- وقال : "... عن أبي عبد الله : **«ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة»** .. الآيتين ، قال :هذا مثل ضربه الله لأهل بيت نبيه ، ولمن عاداهم هو : **«ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار»** (جـ ٢ ، ص ٣١١) .

* * *

سورة الحجر

وفي سورة الحجر عند قوله تعالى : **«رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم»**(١) ، روى عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول إبليس : **«رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم»** قال له وهب : جعلت فداك ، أي يوم هو ؟ قال : يا وهب ، أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس ؟ إن الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا ، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول : يا ويله من هذا اليوم ، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه ، فذلك اليوم الوقت المعلوم" (جـ ٢ ، ص ٣٤٣) .

* * *

سورة النحل

وفي سورة النحل عند قوله تعالى : **«وعلامات ، وبالنجم هم يهتدون»**(٢) ، روى بسنده إلى داوود الجصاص قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **«وعلامات ، وبالنجم هم يهتدون»** قال : النجم : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعلامات الأئمة عليهم السلام" (جـ ٢ ، ص ٣٦٢) .

* * *

---

(١) الحجر : ٣٦ - ٣٨.

(٥٩) النحل : ١٦ .

سورة الإسراء

وفى سورة الإسراء عند قوله تعالى : **«يوم ندعوا كل أناس بإمامهم»**[1] يروى بسنده إلى يعقوب بن شعيب قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : **«يوم ندعوا كل أناس بإمامهم»** قال : يدعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم ، قلت : فيجئ الرسول صلى الله عليه وسلم فى قرنه ، وعلىّ فى قرنه ، والحسن فى قرنه ، والحسين فى قرنه ، وكل إمام فى قرنه الذى هلك بين أظهرهم؟ قال : نعم" (جـ ٢ ، ص ٤٢٩) .

* * *

سورة الكهف

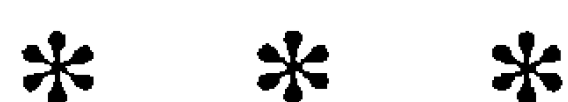
وفى سورة الكهف عند قوله تعالى : **«واضرب لهم مثلا رجلين»** .. إلى قوله **«ثم سواك رجلا»**[2] ، يروى عن أبى عبد الله أنه قال : دخل أبو بكر على علىّ عليه السلام فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحدث إلينا فى أمرك حدثاً بعد يوم الولاية ، وأنا أشهد أنك مولاى ، مقر بذلك ، وقد سلمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمرة المؤمنين ، وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك وصيه ووارثه وخليفته فى أهله ونسائه ، ولم يخبرنا بأنك خليفته من بعده ولا جرم لنا فى ذلك فيما بيننا وبينك ولا ذنب بيننا وبين الله ، فقال له عليه السلام : أرأيتك إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخبرك بأنى أولى بالمجلس الذى أنت فيه ، وإن لم تنح عنه كفرت فما تقول ؟ فقال : إن رأيت رسول الله حتى يخبرنى ببعض هذا اكتفيت به ، قال : فوافنى إذا صليت المغرب ، قال : فرجع بعد المغرب فأخذه بيده وأخرجه إلى مسجد قباء فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى القبلة فقال : "يا عتيق ، وثبت على علىّ عليه السلام وجلست مجلس النبوة وقد تقدمت إليك فانزع هذا السربال الذى تسربلته فخله لعلىّ وإلا

---

(٦٠) الإسراء : ٧١ .

(٦١) الكهف : ٣٢ - ٣٧ .

فموعدك النار" ، ثم أخذ بيده فأخرجه فقام النبى صلى الله عليه وسلم عنهما ، وانطلق أمير المؤمنين إلى سلمان فقال : يا سلمان ، أما علمت أنه كان من الأمر كذا وكذا ؟ فقال سلمان : ليشهرن بك وليبد منه إلى صاحبه وليخبرنه بالخبر ، فضحك أمير المؤمنين وقال : أما أن يخبر صاحبه فيفعل ، ثم قال : لا والله لا يذكرانه أبداً إلى يوم القيامة مما نظرا إلى أنفسهما من ذلك ، فلقى أبو بكر عمر فقال : إن علياً أتى كذا وكذا لموضع كذا وكذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا . فقال له عمر : ويلك ، ما أقل عقلك ، فوالله ما أنت فيه الساعة إلا من بعض سحر ابن أبى كبشة ، قد نسيت بنى هاشم ؟ تقلد هذه السربال ومن فيه" (جـ ٢ ، ص ٤٦٧) .



سورة النور

وفى سورة النور عند قوله تعالى : **«إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم..»**...الخ[١] ، يروى عن على بن إبراهيم أنه قال : إن العامة روت أنها نزلت فى عائشة وما رميت به فى غزاة بنى المصطلق من خزاعة ، وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت فى مارية القبطية وما رمتها به عائشة ، ثم قال على بن إبراهيم : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا محمد بن عيسى عن الحسن بن على بن فضال قال : حدثنا عبد الله بن بكير عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لما هلك إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن عليه حزناً شديداً ، فقالت عائشة : ما الذى يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً عليه السلام وأمره بقتله ، فذهب علىّ عليه السلام ومعه السيف وكان جريج القبطى فى حائط فضرب علىّ عليه السلام باب البستان فأقبل جريج ليفتح الباب ، فلما رأى علياً عليه السلام عرف فى

(١) النور : ١١ .

وجهه الشر فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان ، فوثب عليّ عليه السلام على الحائط ونزل إلى البستان واتبعه ، وولى جريج مدبراً ، فلما خشى أن يرهقه صعد فى نخلة وصعد عليّ عليه السلام فى إثره فلما دنا منه رمى جريج بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته ، فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء ، فانصرف عليّ عليه السلام إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، إذا بعثتنى فى الأمر أكون فية كالمسمار المحمى فى الوبر أم أثبت ؟ قال : بل اثبت . فقال : والذى بعثك بالحق ، ما له ما للرجال ولا ما للنساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى يصرف عنا السوء أهل البيت" (جـ ٣ ، ص ١٢٦ ، ١٢٧) .

* * *

سورة الفرقان

وفى سورة الفرقان عند قوله تعالى : **«وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً»**(١) روى عن الباقر أنه قال : هو محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام" .

– وفى رواية : "البشر والنسب فاطمة ، والصهر عليّ صلوات الله وسلامه عليهما" (جـ ٣ ، ص ١٧١) .

* * *

سورة القصص

وفى سورة القصص عند قوله تعالى : **«إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»**(٢) ، قال : "... عن أبى جعفر أنه سئل عن جابر فقال : رحم الله جابراً ، بلغ من فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه

---

(١) الفرقان : ٥٤ .   (٢) القصص : ٨٥ .

الآية : **«إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»** يعنى الرجعة" (جـ ٣ ، ص ٢٣٩).

* * *

سورة الشورى

وعند تفسيره لسورة الشورى يقول : "... ومن خواص القرآن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : : من قرأ هذه السورة صلت عليه الملائكة وترحموا عليه بعد موته ، ومن كتبها بماء المطر وسحق بذلك الماء كحلا واكتحل به من بعينه بياض قلعه وزال عنه كل ما كان عارضاً بعينه من الآلام بإذن الله ، وقال الصادق عليه السلام : من كتبها وعلقها عليه أمن من الناس ، ومن شربها فى سفر أنس" (جـ ٤ ، ص ١١٥) .

* * *

سورة الجاثية

وفى سورة الجاثية عند قوله تعالى : **«أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات»**[١] ، يروى " عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : الذين آمنوا : بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، والذين اجترحوا السيئات : بنو عبد شمس" (جـ ٤ ، ص ١٦٨) .

* * *

سورة الأحقاف

وفى سورة الأحقاف عند قوله تعالى : **«ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً»** .. الخ [٢] ، يروى "عن

---

(١) الجاثية : ٢١ .   (٢) الأحقاف : ١٥ .

أبى عبد الله قال : لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن فاطمة تلد غلاماً تقتله أمتك من بعدك ، فلما حملت فاطمة بالحسين عليه السلام كرهت حمله ، وحين وضعته كرهت وضعه ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : لم تر فى الدنيا أم تلد غلاماً تكرهه ، ولكنها كرهته لما علمت أنه سيقتل ، وفيه نزلت هذه الآية" (جـ ٤ ، ص ١٧٢) .

* * *

سورة الفتح

وعند تفسيره لسورة الفتح يقول : "ومن خواص القرآن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قرأ هذه السورة كتب الله له من الثواب كمن بايع النبى صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة . وأوفى بيعته ، وكمن شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، ومن كتبها وجعلها تحت رأسه أمن من اللصوص ، ومن كتبها فى صحيفة وغسلها بماء زمزم وشربها كان عند الناس مسموع القول ولا يسمع شيئاً يمر عليه إلا وعاه" (جـ ٤ ، ص ١٩١) .

* * *

سورة الذاريات

وفى سورة الذاريات عند قوله تعالى : **«إنكم لفى قول مختلف . يؤفك عنه من أفك»**[1] ، يروى "عن أبى جعفر أنه قال : **«إنكم لفى قول مختلف»** ، اختلف فى ولاية هذه الأمة ، فمن استقام على ولاية علىّ دخل الجنة ، ومن خالف ولاية علىّ دخل النار ، وأما قوله : **«يؤفك عنه من أفك»** قال : يعنى علياً ، من أفك عن ولايته أفك عن الجنة ، فذلك قوله : **«يؤفك عنه من أفك»** (جـ ٤ ، ص ٢٣١) .

* * *

(١) الذاريات : ٨ ، ٩ .

سورة المدثر

وعند قوله تعالى فى سورة المدثر : **«كل نفس بما كسبت رهينة»** - إلى قوله : **«لم نك من المصلين»**[1] ، روى "عن أبى جعفر عن أبيه عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ عليه السلام : يا علىّ ، قوله عز وجل : **«كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين . فى جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم فى سقر»** فالمجرمون هم المنكرون لولايتك ، **«قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين»**[2] . فيقول لهم أصحاب اليمين : ليس من هذا أوتيتم ، فما الذى سلككم فى سقر يا أشقياء ؟ قالوا : **«وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين»**[3] ، فقالوا لهم : هذا الذى سلككم فى سقر يا أشقياء ، ويوم الدين . يوم الميثاق ، حيث جحدوا وكذبوا بولايتك وعتوا عليك واستكبروا" (جـ ٤ ، ص ٤٠٤) .

* * *

سورة النبأ

وفى سورة النبأ عند قوله تعالى : **«يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً»**[4] ، يروى "عن أبى عبد الله أنه قال : **«لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً»** قال : نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صواباً ، قلت : ما تقولون إذا تكلمتم ؟ قال : نحمد ربنا ونصلى على نبينا ، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا" (جـ ٤ ، ص ٤٢٤) .

* * *

---

(١) المدثر : ٣٨ - ٤٣ .
(٢) المدثر : ٣٨ - ٤٥ .
(٣) المدثر : ٤٦ ، ٤٧.
(٤) النبأ : ٣٨ .

تمت بحمد الله النقول التى كتبها فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله ، وقد راعينا - بقدر الإمكان - أن تكون التعليقات عليها مما كتبه فضيلته فى الجزء الثانى من التفسير والمفسرون حيث لم يتيسر له - رحمه الله - التعليق على هذه النقول فى حياته ، والله نسأل أن يتغمد الفقيد برحمته ، وأن يجعل عملنا فى هذا الكتاب فى ميزان حسناتنا : «يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم» ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد الأنور البلتاجى

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

تمهيد ٣
مقدمة : فى تاريخ الشيعة ٨
١- الكيسانية ١١
المختارية ١٢
الهاشمية ١٤
البيانية ١٦
الرزامية ١٨
٢- الزيدية ١٩
الجارودية ٢١
السليمانية ٢٣
الصالحية والبشرية ٢٤
٣- الإمامية ٢٥
الباقرية .والجعفرية الواقفة ٢٨
الناووسية - الأفطحية ٢٩
الشميطية - الموسوية أو المفضلية ٣٠
أسماء الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية ٣١
الإسماعيلية الواقفية ٣٣
شجرة نسب الأئمة من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٣٤
الإثنا عشرية أو الجعفرية ٣٥
٤- الغلاة ٣٨
السبئية ٣٩
الكاملية ٤٠
العليائية ٤١
المغيرية ٤٢
المنصورية ٤٤
الخطابية ٤٥

الصفحة

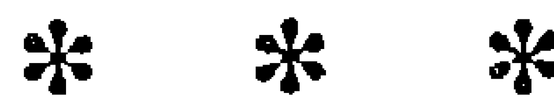
الكيالية ٤٦
الهشامية ٤٩
النعمانية ٥١
اليونسية ٥٢
النصيرية والإسحاقية ٥٣
رجال الشيعة ومصنفو كتبهم ٥٤
٥- الإسماعيلية ٥٥
تاريخ الشيعة عند ابن حزم ٦٥
بين يدى البحث : الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن ٨٢
كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم ٨٢
الزيدية ٨٤
قوام مذهب الزيدية ٨٥
الإمامية ٨٦
الإمامية الإثنا عشرية - أشهر تعاليمهم ٨٧
الإمامية الإسماعيلية ٨٩
موقف الإمامية الإثنا عشرية من تفسير القرآن الكريم ٩٠
موقفهم من الأئمة وأثر ذلك فى تفسيرهم ٩١
تأثر الإمامية الإثنا عشرية بآراء المعتزلة وأثر ذلك فى تفسيرهم ... ٩٣
تأثرهم بمذاهبهم الفقهية والأصولية فى تفاسيرهم ٩٤
احتيالهم على تركيز عقائدهم وترويجها ٩٥
١- ظاهر القرآن وباطنه ٩٦
حرصهم على التوفيق بين ظاهر القرآن وباطنه ٩٦
حملهم الناس على التسليم بما يدعون من المعانى الباطنة للقرآن ٩٧
أثر التفسير الباطنى فى تلاعبهم بنصوص القرآن ٩٨
مخلصهم من تناقض أقوالهم فى التفسير ١٠٠
٢- موقف القرآن من الأئمة وأوليائهم وأعدائهم ١٠١
٣- تحريف القرآن وتبديله ١٠٢
٤- موقفهم من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة ١٠٥

الصفحة

الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) ، وموقفهم من تفسير القرآن الكريم ١٠٧
مؤسسو هذه الطائفة ١٠٧
احتيالهم على الوصول إلى أغراضهم ١٠٨
مراتب الدعوة عند الباطنية ١٠٨
انتاج الباطنية فى تفسير القرآن الكريم ١١١
موقف متقدمى الباطنية من تفسير القرآن الكريم ١١١
من تأويلات الباطنية القدامى ١١٣
مقالة محمد بن مالك اليمانى فى الباطنية ١١٨
موقف متأخرى الباطنية من تفسير القرآن الكريم ١٢٤
البابية والبهائية ١٢٥
بهاء الله ١٢٧
الصلة بين عقائد البابية وعقائد الباطنية القدامى ١٢٨
موقف البابية والبهائية من تفسير القرآن الكريم ١٣٤
أبو الفضائل الإيرانى يعيب تفاسير أهل السنة ١٣٤
الزيدية - وموقفهم من التفسير والقرآن الكريم ١٣٥
الصفحة الأولى من الكراسة الأولى ١٣٧
الصفحة الأخيرة من الكراسة الأولى ١٣٨
الصفحة الأولى من الكراسة الثانية ١٣٩
الصفحة الأخيرة من الكراسة الثانية ١٤٠
١- نقول عن كتاب "أساس التأويل" ١٤١
مؤلف الكتاب ١٤١
٢- مختارات من كتاب "مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية" ١٥١
٣- نقول من رسالة "الإيضاح والتبيين" ١٦٤
٤- نقول من كتاب "مزاج التسنيم" ١٦٥
تعريف بالكتاب ١٦٥
٥- نقول عن كتاب الكافى (الجزء الأول) ١٧٨
الجامعة - القياس ١٧٨

الصفحة

علم علىّ رضى الله عنه ١٧٨
التقية ١٨٠
الأئمة حجة الله ١٨٢
ولاية الأئمة ولاية الله ، وظلمهم ظلمه ١٨٢
معرفة الإمام ١٨٣
فرض طاعة الأئمة ١٨٤
مصحف فاطمة ١٩٨
الأئمة يزدادون علماً كل ليلة جمعة ٢٠٢
الأولياء يخيرون فى موتهم ٢٠٣
عند الأولياء علم ما كان وما يكون ٢٠٣
الغيبة ٢١٨
مميزات الأئمة وعلاماتهم ٢١٩
نقول من الجزء الثانى ٢٢٥
التقية ٢٢٦
تحريف القرآن ٢٢٧
فرض الرجلين (المسح) ٢٢٩
المذى والودى لا ينقض الوضوء ٢٤٠
النكاح ٢٤٠
فضل الشيعة ٢٤٧
تفسير بعض الآيات ٢٤٨
٦- ترجمة مؤلف "مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار" ٢٥٠
٧- البرهان فى تفسير القرآن ٢٨١
التعريف بالمؤلف ٢٨١
الكتاب فى جملته تفسير بالرواية عن آل البيت ٢٩٩
انتقام الله والقائم من ذرية قتلة الحسين ٣٠٩
النقص فى القرآن ٣١٠
فضائل السور ٣٢٠
محتويات الكتاب ٣٣١



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٣٨٦ / ٨٨

الترقيم الدولى ٦ - ١٦٢ - ٣٠٧ - ٩٧٧

